دراسات فى المسيحية

الكنيسة وأسرارها السبعة



ع.م/ جمال الدين شرقاوى

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية عابدين
القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

دراسات فى المسيحية



الكنيسة وأسرارها السبعة

(mysteries)
(sacrament)
؟ ؟ ؟
!

ع . م / جمال الدين شرقاوى

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

اسم الكتاب:
الكنيسة وأسرارها السبعة
الطبعة: الأولى.
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
اسم المؤلف:
ع.م / جمال الدين شرقاوى
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
١٩٢ صفحة ١٧ × ٢٤سم
رقم الإيداع: ٢٣٨٠٥ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977-17-5226-X

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة هذا الكتاب

الحمد لله عالم السِّر وأخفى ، الظاهر والباطن وهو على كل شىء قدير . **الحمد لله** الذى خلق الإنسان على دين الفطرة ، وجعله مختارا فى تقرير مصيره عند نضجه وبلوغه . **والصلاة والسلام** على المبعوث بالحجة والبيان ، الصادع بالحق للإنس والجان .

أمَّا بعد :

إنَّ للكهنوت سطوة وجبروتا على أتباعه ، وعقول الناس مُقيَّدة بالأغلال أمام قوانين مجمعية كنسية يُتعبَّدُ بها مِن دون الله ، وحواجز جمركية مِن الأسرار والولاء للكنيسة . وكم هناك من كنائس ذات عقائد مختلفة وقوانين إيمان ما أنزل الله بها من سلطان . كل ذلك يجده الباحثون فى المسيحية وتاريخها . فهى ديانة قُنِّنَت شريعتها وقوانين إيمانها عبر التاريخ الكنسى بمساعدة سيف الحاكم الرومانى وتسلط أقوال وآراء رجال الكهنوت ، وإن زعموا بأنها أمانة استلموها ممن كان قبلهم ، ألا وهى التقليد .

ولم تُقَنَّن الشريعة المسيحية بواسطة تشريعات إلهية منزلة ومسجلة فى الأناجيل . وإنما عن طريق رجال الكنائس وانعقاد المجامع والمسكونيات وبإلهام ما يسمى عندهم بالشبح المقدَّس (holy gost حسب ما جاء فى نسخة الملك جيمس المعتمدة) . وحتى بعد زوال سيطرة الكنيسة وجبروتها مِن على أتباعها فى الغرب حاليا ، فلا يزال أدعياء النبوَّة الكاذبة يظهرون بين الحين والآخر مُكونين كنائس جديدة وطوائف مختلفة . وشرائع ما أنزل الله بها من سلطان .

ولقد بدأت **مسيحية الإسكندرية** منذ نهاية القرن الأول وحتى منتصف القرن الثانى تأخذ منحى الاتجاه الغنوصى الصوفى الرمزى . وأول اشارة لظهور ما يسمى بالمسيحية فى مصر كانت فى نهاية القرن الثانى . أمَّا الذى جاء فى التقليد

المسجل بواسطة يوسابيوس من أنَّ الرسول مرقس علَّمَ فى مصر وكون أول كنيسة بها فيعتبر فبركة لملأ الفراغ الغنوصى . ويكفى فبركة يوسابيوس قوله من أنَّ **فيلو** الفيلسوف اليهودى الإسكندرانىّ قابل القديس **بطرس** الرسول فى روما ..!!

وتعتبر الإسكندرية هى الرحم الواقعى للمسيحية الحالية فمن فكرها استقى بولس وأبولس وصاحب العبرانيين وأضرابهم فلسفاتهم الوثنية عن مسيح روحانى وسيط بين الآب والخلق . ومن أقوال أفلاطون وأفلوطين بدأ الكلام عن الثالوث .

مسيحية اليوم وكنائسها قائمة على أكبر **فبركة** عرفها التاريخ . والغريب أنها لا تزال قائمة إلى عصر العلم والتمدين ، معتمدة فى وجودها على ما يسمى بالتقليد عن مؤسسيها الأوائل وعلى سلطة أسرارها .

ولنُدِر آلة الزمن ونتوقف قليلا عند القرن السادس عشر الذى تغيرت فيه المسيحية كثيرا وتقلصت سلطاتها أمام عصر النهضة ، فأخذت فى حفظ كيانها تحت ستار الأسرار الكنسية ثم إنزوت بعيدا عن حركة الإصلاح الدينى والنهضة العلمية فى الغرب المسيحى . أمَّا فى الكنائس الشرقية فأخذت بما قررته الكنائس الغربية من أسرار ثم انغلقت على نفسها وشعبها المزعوم خوفا من الضياع فى بحر النور والتنوير ..!!

فعندما تصدرت المسيحية ممثلة فى كنائسها وباباواتها مسيرة الإنسان أودت بالبشرية إلى عصور الظلام والفساد والحروب الصليبية ، وعندما انخلعت عن مكانتها وتراجعت عن قيادة الناس والحكام والمفكرين ظهرت النهضة وثورة العلم التكنولوجية . عكس تاريخ الإسلام تماما . والتاريخ لا يكذب وإنما هو تجارب الناس فى معمل الواقع . **عندما تتصدر الكنيسة المسيرة وتقوى يضمحل العلم ويقل العلماء وتكثر الحروب المفتعلة باسم الصليب** . والعكس بالعكس . وهذا دليل على أنَّ **دين الكنيسة يخالف فطرة الناس** وما جاء به المسيح عليه السلام . فالكنيسة عامل أساسى وعلامة واضحة لعصور الظلام .

إنَّ وحدة الكنيسة الأولى ما هى إلا أسطورة . فلم نجد فى التاريخ كنيسة واحدة وعقيدة واحدة منذ نشأة المسيحية إلى الآن ..!! ولذلك تكلم العلماء النقاد فى كتبهم عن الكنيسة بعد تلميعها وتنظيفها وتعديلها (whitewashed or sanitized) بمعنى أنَّ هناك شيئا حاولوا اخفائه ، وهو الذى أزالوه عن الكنيسة السابقة من معتقدات باطلة - فى زعمهم - وإضافة قوانين إيمان جديدة .

فلا توجد فى المسيحية كنيسة قانونية (Authorized) يتم الرجوع إليها فى الإيمان والكتاب والسلوك مهما رجعنا فى تاريخ المسيحية إلى الوراء ..!!
لقد وصف بولس التلاميذ بأنهم يبشرون بيسوع آخر وبإنجيل آخر وأن حاديهم الشيطان وليس مسيح بولس (غلاطية وكورنثوس الثانية) . فأين إذا الكنيسة الواحدة التى نأخذ عنها الإيمان القويم ..!!؟

وأول أسماء الطوائف ظهورا فى التاريخ المسيحى كانت النصارى ثم المسيحيين ثم المرقونيين ثم الأبيونيين ثم الغنوصيين ثم ... الخ . ثم اليعقوبية والملكانية والنسطورية حتى نصل إلى الكاثوليك والأورثودكس سنة ١٠٥٤ م عقب الانشقاق الكبير بين الشرق والغرب ثم البروتستانت فى القرن السابع عشر . بمعنى أنَّ الهراطقة والخارجين عن الإيمان القويم وُجدوا أولا ثم ظهرت منهم فيما بعد تلك الطوائف الحالية . فأين الكنيسة الأم الجامعة التى يرجع إليها الإيمان القويم الذى يزعمونه ..!؟

وإن رجعنا إلى زمن يوحنا اللاهوتى صاحب الرؤيا نجده يتكلم عن طائفتين من المسيحيين لا يوجد بينهما الأورثودكس أو الكاثوليك الحاليين : فالمسيحيون المؤمنون عنده عددهم ١٤٤٠٠٠ وهم لم يقربوا النساء فى حياتهم " هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ . هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ يَتْبَعُونَ الْحَمَلَ حَيْثُمَا ذَهَبَ . هَؤُلاَءِ اشْتُرُوا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بَاكُورَةً للهِ وَلِلْحَمَلِ " (رؤيا ١٤ : ٤) . وقطعا لا يوجد مثل هؤلاء فى مسيحى اليوم . أمَّا الطائفة الثانية عنده فهى من الغنوصيين (the Gnostic sect of the Nicolaitans) وهم أعداء الطائفة الأولى .

وفى مصر (كنيسة الإسكندرية) مبكرا جدا نجد نفس الموضوع حيث ظهر فيها أكابر الغنوصيين أمثال فالنتينوس (Valentinus) وباسيلدس (Basilides) وأبيليس (Apelles) وكاربوكراتيس (Carpocrates) وابنه ايزدور (Isidore) . لدرجة أن أطلق علماء النقد الكتابى الغربيين على مصر أنها كانت ولا تزال **بيت الغنوصية** . وأناجيل نجع حمادى المكتشفة حديثا أكبر دليل على ذلك . أمّا عن حكاية وصول مرقس لمصر كاتب الإنجيل المعروف فهى فبركة لتأصيل مذهب الأورثوذكس بمصر مثل خطاب المسيح للملك أبجر لتأصيل مسيحية المشرق . كلاهما فبركة ولا دليل تاريخى مسجل صحيح عليهما .

ففى القرون الثلاثة كانت الطوائف أتباع مارقونى (Marcionites) وأتباع مانى (Manichean) والغنوصيين (Gnostics) هم المنتشرون فى آسيا الصغرى وشرقى أوربا ومصر . وطوائف الموحدين كانت منتشرة فى المشرق العربى وجنوب مصر أى فى صعيدها .

وأول مكان تعبدى مسيحى جاء ذكره عند جاستن (I, chs. 65; 67) فى قوله أنهم كانوا يجتمعون فى **منزل** خاص يسمعون بعض الخطب والمواعظ ثم صلوات ثم قبلة السلام ثم **تعاطى الخبز والخمر** . هذا هو واقعهم وأخبار **كنيستهم الأولى** حتى نهاية القرن الأول . ثم تحول هذا العشاء البسيط إلى طقس تعبدى فيما بعد وأصبح من أسرار الكنيسة السبعة ..!!

والمسيحيون منساقون كالخراف بين يدى جزاريهم [(١)] الذين يلبسون ثياب الحِملان . والجميع فى حقيقة الأمر ينطبق عليهم القول " لا فى الدين يفقهون ولا عن الله يعقلون .. " فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

---

(١) .. والغريب أنَّ بكل كنيسة **مجزر** يقدسونه ويتعبدون به وعليه ، وإن أطلقوا عليه كلمة **مذبح** تخفيفا وتهوينا على العامة من جهلاء المسيحية ..!!
والمجزر لا بد له من وجود **جزارين** و **مجزورين** ، **والمذبح** لا بد له من **ذبَّاحين** و **مذبوحين** ..!!
ولا نعلم بالكنيسة أحدا سوى **الكهنة** و **شعب الكنيسة** ، فهما الجزارون والمجزورون ، وإن زعم كهنة الكنيسة أنهم يذبحون ربهم يسوع فى هينة رغيف الخبز المسكوب عليه الخمر ثم يباركونه ويأكلونه ..!!
ولا توجد عندهم قرابين - أضاحى - يذبحونها على مذبح الكنيسة اللهم إلا شعب الكنيسة أو يسوع الذى يذبحونه فى سر الإفخارستيا ..!!

وهذا الكتاب يكشف الأمر ويوجه الأنظار **إلى أصل وفصل كلمة الكنيسة** ومغزاها العقدى ومجزرها المقدس حيث يقف جزاروا الكنيسة ليوهموا الأتباع بأنهم يذبحون يسوعهم ليأكلوه نيلا للخلاص المزعوم . والكشف عن مُسمى بيت الصلاة الذى تكلم عنه المسيح ﷺ وما هى الكنيسة التى بشَّر ببنائها المسيح ﷺ . وكشف النقاب عن الفرق بين الكنيسة القبطية وكنيسة الإسكندرية التاريخية . ومحاولة حلّ لغز اللغة القبطية التى فرضت على المصريين مِن قِبل سلطات الإحتلال اليونانى والرومانى .

ثم يأتى الكلام عن **أسرار الكنيسة السبعة** ، وبيان أصل كلمة السِّر الكنسى وكيف استفادت الكنائس ورجالها من حكاية الأسرار . وحَجَّرَت الخلايا الثقافية الدِّمَاغِية عند أتباعها فلا يتثقفون فى أمور دينهم ولا يقبلون غير أقوال الكنيسة ورجالاتها . فأبعدت الكنائسُ الناس عن عبادة الإله الواحد رب العالمين . ووقفت بينهم وبين الله .. وانفرد الجزارون بالمجزورين أمام مجازر الكنائس ..!!

فإنا لله وإنا إليه راجعون .

موجز عن تاريخ المسيحية وفرقها المختلفة

جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال : إنَّ الله تبارك وتعالى خلق عباده كلهم حنفاء ، وإنه أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحل الله لهم وأمرتهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا . " وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم **إلا بقايا من أهل الكتاب** "[1] .

فوصف ﷺ المتمسكين مِن أهل الكتاب فى عصره بما أنزل إليهم من ربهم بأنهم **بقايا** . أى قلة قليلة نادرة لا تزال على التوحيد . ونجد تصديق قوله ﷺ فى كتاب الله تعالى فى قوله تعالى ﴿ لَيْسُوا سَوَاء .. **مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ** قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاء اللَّيْلِ **وَهُمْ يَسْجُدُونَ** ﴾ (آل عمران / ١١٣) . و ﴿ وَإِنَّ **مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** لَمَن **يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ** خَاشِعِينَ للهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (آل عمران / ١٩٩) .

فقال تعالى ﴿ **مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** ﴾ وقال ﷺ " **بقايا مِن أهل الكتاب** " . وبيَّن تعالى صفتهم الظاهرة التى كانوا عليها عند البعثة الإسلامية بأنهم كانوا ﴿ **يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ** ﴾ وتلك علامة ظاهرة تشير إليهم نسيها معظم المسلمين الذين يكتبون عن النصرانية وفرقها .

أمَّا عن صفتهم الباطنة التى لا يعلمها إلا الله فهى أنهم كانوا بجانب إيمانهم بالله ، يؤمنون بما أنزل الله فى القرآن ﴿ **وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ** خَاشِعِينَ للهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ . وتلك صفات لا نعلم بتواجدها بين مسيحيىّ عصرنا هذا ، إضافة إلى أنَّ مسيحيى عصرنا لا يؤمنون أصلا بكتاب أنزل إليهم

---

(١) .. جزء من حديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن عياض بن حمار رضى الله عنه والحديث رقم ٢٨٦٥ .

فالمسيح حسب عقيدتهم التي يدينون بها لم يأتِ إليهم بكتاب أصلا لا مقروء ولا مسموع . فالإنجيل عندهم ليس بكتاب أصلا ..!!

ومَن كانوا على بقية من الحق عند بعثته ﷺ أخَصّ من أن يكونوا مِن عامة النصارى أو المسيحيين . وذلك أنَّ كثيراً من بنى إسرائيل المشتتين فى الأرض لم تبلغهم دعوة المسيح ﷺ أو لم يتبينوا حقيقة رسالته ، وظلوا على **الحق الذى فى التوراة** التى بين أيديهم حتى أشرق نور الإسلام . فهم **بقايا من أهل الكتاب** كما بيَّن الحديث ، ولم يقل ﷺ بقايا مِن النصارى أو المسيحيين أو حتى من اليهود .

ومِن هؤلاء البقايا الذين أدركهم الإسلام وكانوا على الحق .. **النجاشى** ملك الحبشة الذى تليت عليه الآيات الأولى من سورة مريم فى شأن عيسى ﷺ فأخذ عوداً من القش وقال : لم يزد عيسى ابن مريم على هذا ولا مثل هذه (أى العود) ، فأنكرت بطارقته ذلك . ولكنه بقى مؤمناً موحداً ، ومات على ذلك فصلى رسول الله ﷺ عليه يوم أن بلغه خبر موته . وكان منهم أيضا **بحيرا** الراهب . وكذا **الرهبان الذين صاحبهم الصحابىّ الجليل سلمان الفارسى** قبل إسلامه رضى الله عنه . **وورقة بن نوفل** ... وغيرهم مِمَن لا يعلمهم إلا الله .

ومِن هذه البقايا كانت **الطوائف النصرانية المُوَحِدَةً** فى منطقتنا العربية قبل الإسلام وإبَّان ظهوره . سكن أفرادها فى الأديرة والصوامع المنتشرة على أطراف الصحراء العربية . بعيدا عن الأنظمة الحاكمة الرومانية والمجامع المسكونية . ومعظمهم قاطعوا هرطقات الكنائس وفرقها المتنوعة وعاشوا فى سلام مع أنفسهم . ومعظمهم دخل فى الإسلام ومن لم يدخل منهم فقد باد مع البادين ولم يحفل التاريخ بتسجيل سيرتهم إلا ما ندر منها .

فالمؤمنون فى تلك الديانة ظهروا منذ بعثة المسيح وهم مِن بنى إسرائيل قوم المسيح ﷺ يقينا **وكانوا على دين المسيح** . ثم خرجت منهم فى فلسطين **طوائف النصارى** المعتدلين والمغالين . وهناك **فى أنطاكية** بعيدا عن فلسطين وعن

موطن رسالة المسيح عليه السلام ومن بعد انتهاء بعثة المسيح عليه السلام ورفعه إلى السماء تأسست **الطائفة المسيحية** تحت رئاسة بولس كما جاء فى سفر أعمال الرسل . وكلها من المغالين القائلين بتأليه المسيح ، ليس بينهم موحد واحد يعبد الله على دين المسيح عليه السلام .

واستمر النصارى فى فلسطين إلى سنة ٧٠ م (سنة تدمير القدس ومعبد اليهود) كما هو المشهور . ثم تفرقوا فى البلاد العربية وسكنوا الأديرة والصوامع والقلال بعيدا عن الناس . وانتشر المسيحيون أتباع بولس فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية ينشرون ديانتهم بين الوثنيين مخالفين تعاليم المسيح عليه السلام بقصر الدعوة على بنى إسرائيل .

المهم أنَّ **طائفة النصارى** ـ بعنصريها المعتدلين والمغالين ـ قد نشأت أساسا فى موطن المسيح عليه السلام من تلاميذ المسيح وتلاميذ تلاميذه وأتباعهم الذين كانوا متواجدين فى فلسطين . **وهم من بنى إسرائيل تحقيقا** ، ولم يخرجوا من فلسطين إلا من بعد تدمير القدس بواسطة الرومان سنة ٧٠ م . وإجلاء بنى إسرائيل من فلسطين فى بداية القرن الثانى الميلادى .

وكان **المسيحيون** أتباع بولس يُطلقون عليهم فى ذلك الوقت اسم أصحاب كنيسة الختان أو **النصارى** . وهؤلاء النصارى **كانوا أصلا مِن قوم المسيح** عليه السلام أى مِن بنى إسرائيل . وكانوا يقيمون التوراة والإنجيل معا . ولم يكونوا مِن أتباع بولس (أى لم يكونوا من الطائفة اليونانية والرومانية) الذين تحرروا من أحكام الشريعة وأطلقوا على أنفسهم اسم **المسيحيين** فى أنطاكيا (أعمال ١١ : ٢٦) بعيدا عن موطن المسيح عليه السلام وقومه .

فالنصارى أصحاب كنيسة الختان كانوا يؤمنون بالتوراة والإنجيل ويقيمونهما معا ، تنفيذا لأمر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .. فكانوا يُصلُّون مع اليهود فى معابدهم ويغتسلون من الجنابة ويتطهرون للصلاة **ويسجدون فيها** كما قال تعالى فى صفتهم ﴿ **وَهُمْ يَسْجُدُونَ** ﴾ ، **ولهم قبلة** واحدة يتجهون إليها فى

صلاتهم مع اليهود كما بيَّن يوحنا فى إنجيله . وكان إلههم واحدا ، بلا أقانيم اسمه بلغتهم الآرامية **الله** .

أمَّا المسيحيون أتباع بولس فلا يؤمنون بالتوراة ولا بإنجيل المسيح ولكنهم **يؤمنون بإنجيل بولس** الذى ألغى لهم فيه العمل بشريعة التوراة .. فلا ختان ولا غسل مِن الجنابة ولا طهارة للصلاة ولا قبلة واحدة لهم ولا أعمال صالحة يتقرب الإنسان بها إلى الله ، ولكن هناك الإيمان فقط بالجنىّ يسوع النصرانى [1] المصلوب منذ تأسيس العالم . وإلههم يُدعى **ثيوس** وإن كتبوه فى التراجم العربية " **الله** " خداعا لعامة الناس مسلمين ومسيحيين .

فالنصارى موحدون فى أصل عقيدتهم [2] كما أنَّ **المسيحيين** أتباع بولس **الأوائل** لم يكونوا موحدين فى أصل عقيدتهم ولم يكونوا مِن القائلين بالتثليث الذى ظهر مِن بعدهم ، لأنهم كانوا يؤمنون فقط بالآب والابن ، والابن عندهم كان مخلوقا (مُخلَّقاً من منىّ رجل من نسل داود حسب قول بولس فى رومية **سبيرما**) وليس كما تقول المسيحية الآن بأنه مولود غير مخلوق ، ولم يكن الروح القدس قد أُلِّهَ بعد . وتلك هى عقيدة بولس المبنيةُ على الثنائية وليس على التثليث .

عزيزى القارىء ..

لا تنفر من رؤية الأمور على خلاف ما تراها ، ويراها الآخرون . ولا تتوقف عند ما فيك من نزعات التعصب والتزمت والعناد . ولا تغلق أبوابك على الجديد اذا احتواك ، ولا على الحق اذا أتاك .

---

(١) .. راجع كتابى " يسوع النصرانى .. مسيح بولس " .

(٢) .. وللأسف الشديد فإنَّ معظم علماء المسلمين لا يُفرقون بين النصارى والمسيحيين . مع أنَّ الفرق بينهم واضح جلىّ فى نصوص الكتاب الذى بين أيدى المسيحيين حاليا وكذا فى كتب التاريخ الكتابى .
فالنصارى أصل دينهم قائم على التوحيد وإن انحرفوا عنه ، والمسيحيون أصل دينهم قائم على التعدد والتثليث وإن قالوا بالوحدانية الكاذبة فلا يوجد بينهم موحدون أصلا . خلاف النصارى حيث نجد فيهم الموحدين وغير الموحدين . ومعنى كلمة نصارى المشتقة مِن النصرة تعنى أنهم كانوا أنصارا للمسيح عليه السلام نصروا دعوته ونشروا رسالته . ولا تصح نسبتهم إلى الناصرة كما قيل خطأ ناصريين فى بعض التراجمات العربية نسبة إلى مدينة الناصرة التى لم يكن لها وجود فى زمن المسيح عليه السلام . فالناصرة أخترعت فى القرن الرابع الميلادى وليس لها ذكر قبل ذلك التاريخ .
راجع التفصيل والإيضاح فى كتابى " قضايا مثيرة فى المسيحية والإسلام " .

أمتان وكنيستان وديتان وتاريخان (المسيحيين والنصارى) لاختلافهم فى أمور الدين والتوراة والانجيل اختلافا عميقا مزمنا . من أجل ذلك فالمسيحى بالمفهوم الانجيلى ليس نصرانيا . والنصرانى بالمفهوم التوراتى ليس مسيحيا . لاختلاف القاعدة الدينية القائمة بين الفريقين . وإذا كان الأمر كذلك فما بالكم بالمفهوم الإسلامى لهاتين الكلمتين ..!!؟

والمسلمون يعتقدون واهمين أنَّ المسيحيين نصارى ، ويسمون المسيحى نصرانيا والنصرانى مسيحيا ، دونما دليل من علم أو كتاب أو دين أو تاريخ .
والحقيقة التامة أنَّ المسيحيين والنصارى مختلفون فيما بينهم .. عقيدة وشعائرا وسلطة كنسيةً وكتابا . فأنت لا تستطيع أن تسمى المسيحى نصرانيا ، ولا النصرانى مسيحيا دون أن تتجنى على التاريخ بعلم أو بغير علم .

وقد تكون حجتهم أنَّ القرآن الكريم لا يذكر المسيحيين بلفظهم على الإطلاق . ويستنتجون أنَّ النصارى والمسيحيين شيء واحد . وهم بالحقيقية ليسوا شيئا واحدا . فالقرآن الكريم حينما يذكر كلمة النصارى فهو يشير حينا إلى النصارى وحينا إلى المسيحيين . فإذا مدح القران الكريم النصارى وأثنى عليهم عنى بالنصارى (النصارى أصحاب الإنجيل) ، واذا ذمهم وندد بكفرهم وبشركهم أو نادى بقتالهم عنى بالنصارى (إمَّا النصارى وإمَّا المسيحيين أصحاب الأناجيل) المنكرين لرسالة محمد ﷺ . وغالباً ما يكون الكفر والشرك من نصيب المسيحيين دون ذكر اسمهم ولكن بالتنويه على عقائدهم التى أودت بهم إلى الكفر والشرك . لذلك فلا المسيحيون فى معظم آيات القرآن نصارى ، ولا النصارى فى معظم الآيات مسيحيون .

والنصارى إن كانوا من بنى اسرائيل فهم من أهل الكتاب يقينا كما فهم الفاروق عمر رضى الله عنه عندما سئل عن نصارى العرب فقال إنهم ليسوا بأهل كتاب لأنَّ المسيح عليه السلام كان مبعوثا إلى بنى إسرائيل خاصة . وهم أى النصارى الذين من بنى إسرائيل هم المعنيون غالبا من كلمة النصارى القرآنية . وإن كانوا من خارج بنى إسرائيل فمنهم مَن آمن بالمسيح كرسول ونبىّ ، ومنهم مَن جعلوه

إلها ، ومنهم مَن ثلث ومنهم من ثنى فى عقيدته وجميع طوائف النصارى يقيمون التوراة والانجيل خلاف المسيحيين الذين لا يقيمون أحكام التوراة ولا يوجد معهم إنجيل منزل تركه لهم المسيح عليه السلام وطالبهم بالإيمان به .

الختان شعار النصارى وفريضة دينية مُنَزّلة تذكرهم بعهد الله مع الناس بدين إبراهيم الحنيف " وابن ثمانية أيام يختن كل ذكر منكم من جيل الى جيل ويكون عهدى فى أجسادكم عهدا أبديا " (تكوين ١٧: ١٢-١٣) .

يتحدث أوسابيوس أسقف قيصرية والمؤرخ الكنسى (٢٦٥-٣٤٥) عن هؤلاء النصارى ويسميهم كما يسمى اليهود أهل الختان . ويسمى أساقفتهم أساقفة الختان ، ويقول أنهم كانوا حتى زمن الامبراطور تراجان خمسة عشر أسقفا .
وكذلك يقول أبيفانوس (٣١٥-٤٠٣) عنهم " **النصارى عندهم وضوء** كل يوم للتطهير . والوضوء عندهم واجب يومى قبل الأكل وقبل الصلاة " .

أركان النصرانية : والنصارى يقيمون أركان دينهم كما يقيمها اليهود من قبلهم شهادة وصلاة وصوما وزكاة وحجا . **فالشهادة** عندهم لله الواحد الأحد ، لا منازع له أو شريك مع الايمان بالنبوة والكتاب . **أمَّا الصلاة** فيقيمها النصارى كاليهود ، ثلاث مرات فى النهار : عند الصباح وعند الظهر وعند الغروب . قال كتاب تعليم الرسل : " علينا أن نصلى ثلاث مرات فى اليوم " (الكتاب ٣:٨) . فى حين أنَّ الصلاة عند المسيحيين سبع مرات فى النهار اقتباسا مما جاء فى كتاب المزامير : " سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام برك " (١١٨-١٦٤) .

وقبلة النصارى فى صلاتهم بيت المقدس ، فى حين أنَّ قبلة المسيحيين الأورثوذكس والكاثوليك فى صلاتهم إلى الشرق ولا توجد قبلة عند البروتستانت .
وفاتحة الصلاة عند النصارى هى الصلاة الربانية : أبانا الذى فى السموات يتلونها فى النهار ثلاث مرات . أمَّا **لغة صلاتهم** فانها الآرامية الفلسطينية ، ولغة المسيحيين هى اليونانية .

والنصارى فى **صومهم** كاليهود يمتنعون عن تناول الأطعمة فى يومهم من أوله : " وأول نهار الصوم هو الوقت الذى يقدر فيه المرء أن يتبين الخيط الابيض من الخيط الازرق " (التلمود :٥ ، المشنا ١:٢) . أمَّا المسيحيون فلا يمتنعون عن الأكل والشراب فى صومهم إلا من أنواع معينة من الأكل .

والزكاة فريضة يقيمها النصارى بموجب أحكام التوراة : "هكذا تقدمون تقدمة الرب من جميع أعشاركم . وليكن ما تقدمونه للرب من جميع عطاياكم خيارها المقدس منها " (عدد ١٨: ٢٨-٢٩) .

والحج إلى بيت الله فى القدس من أركان النصرانية ، فريضة من الله على من استطاع اليه سبيلا . جاء فى التوراة : " ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكرانك أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره " (تثنية ١٦:١٦) . وكان الحج فريضة على كل نصرانى ذكر بعد الثانية عشرة من عمره ، وكان حجهم فى **شهر أبيب** اى نيسان الذى يقع فيه الفصح وهو **شهر المحرَّم** الهجرى " احفظ شهر أبيب واصنع فيه فصحا للرب إلهك " (تثنية الاشتراع ١٦:١) .

ومن هنا نرى أنَّ النصرانية التى تقيم التوراة والإنجيل هى أقرب الى اليهودية التى تقيم التوراة من دون الانجيل ، منها إلى المسيحية التى لا تقيم التوراة ولا الإنجيل . وتجاهل الخلاف بين النصرانية والمسيحية لا يزيل الخلاف بينهما . ولقد تجاهل الناس هذا الخلاف الكبير قرونا . وكتب العهد الجديد زاخرة بمظاهر هذا الخلاف بين الفريقين من المؤمنين بالمسيح ، نصارى ومسيحيين .

ثم ظهر أوائل المثلثين القائلين بالتثليث ابتداء من سنة ١٤٠ ميلادية ودخلوا فى الصورة . وفى سنة ٣٢٥ م بدأ ظهورهم الواضح بمساندة امبراطور الرومان قسطنطين لهم فى مجمع نيقية الأول . وفى سنة ٣٨١ م أخذوا زمام المبادرة على جميع الطوائف . وانطوت فرق المسيحية المختلفة تحت لوائهم وعلوا فى الأرض كثيرا . وكثرت الهرطقات وتعددت الفرق المسيحية . واضطُهِدَت الفرق النصرانية عبر التاريخ الطويل . وفُقِدَت كتبهم وأسفارهم .

وفى القرن الثامن عشر الميلادى انتشرت أفكار التوحيد فى الغرب المسيحى وهى مشوَّشة .. فظهرت طائفة الموحدين (Unitarianism) الحالية والمنبثقة فى أصلها من داخل الطائفة الإصلاحية البروتستانتية أتباع كلفن . ومِن بعد تعديلها على يد اللاهوتى الإيطالى فاوستو باولو سوزينى الذى اشتهر باسم سوسيانوس (Socianus) المتوفى سنة ١٦٠٤ م .

فنشر سوسيانوس كتابا إصلاحيا ينقد فيه عقائد الكنيسة الأساسية من تثليث وتجسُّد وكفارة وغيرها ، ثم توصل إلى التوحيد وأخذ يؤكد عليه فى كتاباته ورسائله وانتشرت تعاليمه فى كل مكان وعرفت مدرسته أو مذهبه اللاهوتى باسم **السوسيانية** . أمَّا مخالفوه فسموا أتباعه بـ **الآريانيين** الجدد أى أتباع مذهب آريوس [1] القديم . وأكثر ما كان يميز فكر سوسيانوس استخدامه للتراثين اليهودى والنصرانى وذلك بعد تعديلهما وتطويرهما .

وهذه الطائفة **السوسيانية** المُوَحِّدة موزعة حاليا فى الولايات المتحدة الأمريكية وأنجلترا واستراليا ونيوزلاندا . ففى أمريكا وحدها توجد أكثر من ألف كنيسة لهذه الطائفة التوحيدية . ويؤمن أفراد تلك الطائفة بأنَّ الإله واحد ولكن للأسف الشديد فهم لا يعرفونه فى الحقيقة بالاسم الجليل الله . وهم لا يؤمنون بالتثليث المسيحى . والمسيح عندهم ليس كما يعتقد المسيحيون فيه . فهو ليس بإله على الاطلاق ، ولكنه رجل صالح له تعاليم رائعة ، سواء كان نبيا أم غير ذلك فالإله عندهم واحد .

وقد تعرض أتباع الطائفة السوسيانية لاضطهاد وحشى منظم منذ عام ١٦٣٨ م من الكنائس الغربية ، وحُرق الكثير منهم أحياء أو حرموا حقوقهم المدنية وحُرقت كتبهم . وفى سنة ١٦٥٨ خُيِّروا بين قبول الكاثوليكية أو الذهاب للمنفى .

---

(١) .. آريوس أسقف كنيسة الإسكندرية المصرية (٢٥٠ ـ ٣٣٦ م) . وكان له ألوف الأتباع عرفوا بالآريوسيين . وبقى مذهبهم التوحيدى حيا لفترات زمنية طويلة وصار آريوس علما للتوحيد حتى أنَّ كل من جاء بعده إلى يومنا هذا من المسيحيين وأنكر التثليث وإلوهية المسيح ، يصمه رجال الكنيسة الرسميون بأنه آريوسى نسبة إلى آريوس القبطى أى المصرى ..!!

فتوزَّع التوحيديون فى أطراف أوربا وظلوا فئات منفصلة لفترات طويلة . وقد لقيت السوسيانية رواجا عميقا فى المجر ثم بولندا وترانسلفانيا - إقليم فى رومانيا - وانتشرت منها إلى هولندا ثم بريطانيا وأخيرا استقرت فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكانت وراء نشوء الفرقة الشهيرة التى تسمت باسم (Unitarianism) أى التوحيديين .

وكان للِقسّ الأمريكى ويليام إيليرى (١٧٨٠ - ١٨٤٢) ومساعده القِسّ رالف أيميرسن الفضل فى تطوير وإرساء دعائم الكنيسة التوحيدية فى أمريكا وبريطانيا والتى يربو عدد أتباعها اليوم على المائة والخمسين ألفا على الأقل . ومن الجدير بالذكر أنَّ أفكار فرقة الموحدين هذه تسربت إلى قادة الحركة الذين قاموا بتأسيس مدرسة اللاهوت العصرية فى جامعة هارفارد الشهيرة فى سنة ١٨٦١م .

وللأسف الشديد انضم إليهم حاليا فى أمريكا خليط مِن الراديكاليين والعقلانيين والتنويريين واللبراليين **وبقايا** مِن أتباع أريوس . ولم يتعرف عليهم المسلمون إلى الآن ولم يعرضوا عليهم الإسلام وتعاليمه ولا اسم الإله الواحد الأحد الله جل جلاله بدلا من شبهة الإرهاب البغيض والمزعوم ..!!

وهناك طوائف مسيحية أخرى تبحث عن الدين الحق ولو بتبنى اسم **النصارى** العربى (Nazarenes) والتنصل مِن بولس ورسائله . فكان كتابهم خاليا تماما مِن رسائل بولس وأفكاره عن المسيح والمسيحية . وهم أقرب لليهود منهم إلى المسيحيين . ولم يتم الاتصال معهم أيضا مِن قبل المسلمين إلى الآن مع أنهم منتشرون فى بلاد كثيرة وكنائسهم تفوق فى عددها كنائس الموحدين . وهم يزعمون أنهم امتداد للطائفة الأسينية صاحبة مخطوطات البحر الميت ولفائف قمران . ومواقعهم على الشبكة العنكبوتية كثيرة .

وهناك أيضا طائفة **المورمون** التى تقترب كثيرا فى أفكارها مع بعض نصوص الإسلام ولهم كتاب خاص بهم يختلف عن كتاب المسيحية . ولم يتم أيضا

الاتصال بهم رسميا وعرض الإسلام وتعاليمه عليهم أو حتى فتح باب الحوار معهم بدلا من الفاتيكان أو الكنيسة الإنجليكانية ..!!

وهناك وهناك الكثير من الطوائف الغربية التى رفضت قوانين الإيمان المسيحية وحاولت الإصلاح ، فارتمت فى أحضان اليهودية ولكن بعيدا عن منهج السماء . كشهود يهوة أو المورمون أو الكواكرس أو السبتيين أو ... أو ... الخ .

ولا تزال إلى الآن فكرتا **التثليث** و **الأسرار الكنسية** تصدما عقول المثقفين والعقلاء من مسيحيي العالم الغربي ، فيحاول رجال الكنائس وكهنتها أن يجعلوهما فكرة مقبولة بشتى الطرق ومن بينها الإحالة إلى مجهولات (الأسرار) التى لا ينكشف سرها للبشر - كما يزعمون - إلا يوم ينكشف الحجاب عند مجيىء المسيح فى آخر الزمان ..!!

هناك رابطة وعلاقة قوية بين تاريخ الكنائس وتاريخ الإعتقاد المسيحى لكل كنيسة لا يمكن الفصل بينهما .. فمع تطور العقيدة المسيحية تطورت الكنائس بمعنى **مع تغيُّر قوانين الإيمان تتغيَّر الكنائس وتنشق على بعضها وتتعدد** . والعكس صحيح فإن قرأت فى تاريخ الكنائس وانشقاقها على بعض فإنك سترى مفاهيم عقدية جديدة وقوانين إيمان صدرت على أثرها انشقت الكنائس .

فمثلا عندما عقد مجمع خليقادونية (٤٥١ م) بشأن طبيعة المسيح انشق بعض المصريين عن **كنيسة الإسكندرية** وكونوا فيما يعرف فيما بعد **بالكنيسة القبطية** التى رفضت قرارات مجمع خلقيدونية بينما اعترفت كنيسة الإسكندرية بقرارات مجمع خلقيدونية ..!!

لماذا لا نتفكر فى الوحى وفى النبوة وكيفية وصول التعليمات الإلهية إلى البشر ، بدلا من الإيمان بدون فكر ولا روية بأنَّ الإله نزل إلى الأرض وقتله الناس فغفرت لهم خطاياهم التى ورثوها عن أبيهم آدم ..!!؟ والتفكر فى كيفية وصول تلك العقيدة إليهم ، هل قال لهم المسيح ذلك ..!؟ وفى أى موضع قاله ومتى قاله وبأى لغة قاله ..!!؟

فالحقيقة تؤدى إلى الإعتقاد ولكن الإعتقاد هو الذى يُشكل الحقيقة ويصبغها بألوانه المتعددة ، مع أنَّ الحقيقة والإعتقاد فى علاقة تأثير تبادلى وهو الذى يطلقون عليه مسمى (interdependent) أى تأثير اعتمادى كل منهما على الآخر .

وعندما نأتى إلى موضوع سلطة الكنيسة وأسرارها اللذين يحتاجان إلى تفكر كثيف . ومسألة التفكير هنا خاضعة لعلوم العصر وثقافاته فلا بد من إعادة التفكير فى تلك المسائل بأسلوب وثقافة عصرنا الحالى .

وقرارات المجامع الكنسية ليست كلية العلم حتى تصاغ قوانين لإيمان الناس . فلا بد من إعادة التفكير فيها على ضوء أقوال المسيح شخصيا الواردة فى الأناجيل التى وصلت إلينا . وأمام تفكيرنا هناك دائما وأبدا تقدم فكرى حسب القواعد المنطقية التى تتعامل مع تجارب الانسان عبر التاريخ والواقع المحسوس .

واللاهوتى ينتصر دائما لدينه عن طريق الشعور والإحساس (feeling) بينما ينتصر المفكرون على خصومهم عن طريق التفكير (thought) . وكما قيل قديما " الكلاب لها شعور وإحساس . لكن الإنسان له التفكير " . ولا تزال طريقة الحوار مع اللاهوتيين إلى الآن كما كانت من قبل : شعور وإحساس بدون فكر وتدبر حفاظا على التقليد الموروث ..!!

ودائما وأبدا ما يكون الحوار بين اللاهوتيين وبين اللادينيين الخارجين من تحت عباءة المسيحية فيضيع الحق بينهما . فلماذا لا يكون الإنسان متفكرا فى دينه ويُحِسّ بشعور الإيمان وحلاوته بدلا من التلقى الجاف - التقليد - بدون فكر ولا رويَّة ..!!؟

فالعقيدة الإسلامية ليس لها تاريخ تكتب عنه الكتب والمجلدات ، وإنما لها شروح توضيحية فقط ، فهى عقيدة واحدة جاء بها كل أنبياء الله بلا خلاف بينهم ولا اختلاف ، فلا نسمع عن كتاب تحت عنوان (تاريخ العقيدة الإسلامية) بينما العقيدة المسيحية (Dogma) نجد لها كتب ومجلدات تسجل تطورها وتاريخها من بعد انتهاء بعثة المسيح ﷺ عبر التاريخ وإلى الآن .

ولم تكن هناك خطوط حمراء لا يتجاوزها الباحث فى العقيدة المسيحية فى القرون الأولى فكانت كل الخطوط خضراء أمامه . عكس الحادث الآن حيث أصبحت كلها حمراء أمام السائقين فى شارع اللاهوت . ذلك الشارع المحظور السير فيه إلا لسائقى الكنائس وموظفيها ..!!. ومعظم قوانين الإيمان صدرت كرد فعل على أفهام الباحثين فى العقيدة من داخل الكنيسة وليس من خارجها .

المهم أنَّ الدرس المستفاد مِن ذلك الموجز التاريخى هو أنَّه كما كانت هناك **بقايا** مُوَحِّدَة مِن أهل الكتاب إبَّان ظهور الإسلام ، دخلوا فيه واستظلوا بشريعة الإسلام . فلا تزال هناك الآن **بقايا** طوائف مُوَحِّدَة لم تصلها رسالة الإسلام على وجهها الصحيح . فالإسلام يُعْرَض فى الغرب المسيحى بطريقة مُشوَّشة ، فهو دين الإرهاب والقتل كما يزعمون ..

فأين المسلمون وأين علماء الدعوة المثقفون ..!؟؟

لقد فُتِحَت لهم الآن منافذ وأبواب للدخول إلى عقر دار المسيحية ونشر تعاليم الدين العالمى القويم .. فلنستفيد بمنهج الأصل وما كان عليه الوضع إبَّان ظهور الإسلام ومِن ثم نعرضه بفكر العصر بعيدا عن اللت والعجن واجترار ما لاكته ألسن القدماء ..!!

فالإسلام دين عالمى ، ودعوته عالمية فى أصولها ، وأدوات العالمية متوفرة حاليا من فضائيات وانترنت . فأين دعاة الإسلام العالميين الذين يدعون الناس فى مشارق الأرض ومغاربها وفى شمالها وجنوبها بمنهج عالمى واضح يتعد الحدود ويستشرف مستقبل الأيام ..!؟

أولا ..

الكنيســـة

أصل معناها ومغزاها

أصل وفصل كلمة كنيسة

المفترض أساسا فى الكنيسة أنها **مكان للصلاة فقط** ، ولكن الملاحظ أنها إدارة تامة لها موظفين يعملون لجمع ولاء الأتباع (شعب الكنيسة) . فهى أشبه بدولة - أو مجلس دولة - لها إداراتها ومؤسساتها الدينية . وسلطاتها على أتباعها ظاهرة وباطنة . ظاهرة على أجساد العباد وباطنة على نفوسهم وأرواحهم . منذ لحظة مولدهم وإلى وفاتهم ، فمن غير طريقها لن يدخل الأتباع فى دين يسوع المسيح [١] ولا فى راحة الآخرة ولن يروا الفردوس الأعلى ولن تُغْفَر لهم ذنوبهم إلا عن طريق كهنة الكنيسة ..!!

ولإحكام السيطرة على شعب الكنيسة دِينا ودُنيا اجتمعت المجامع وأصدرت قوانين للإيمان المسيحى عبر التاريخ ، مَن يحيد عنها يُفصَل مِن الكنيسة ويموت (مشلوحا) كافرا طريدا مِن رحمة الرَّب يسوع . ومِن ثمَّ فقد تم إحكام القبضة على الناس عن طريق قوانين الإيمان والأسرار الكنسية .

ومِن المعلوم أنَّ أصول المسيحية كلها يونانية اللغة ، فلا توجد ورقة واحدة مِن أى مخطوطة مسيحية مكتوبة بلغة المسيح ابن مريم عليه السلام وقومه أى باللغة الآرامية ذات اللسان العربى القديم . ومِن هنا يتقيد بحثنا بإجراء عمليات الاقتراب الآرامية للنصوص اليونانية . ولكن قبل الشروع فى ذلك أسأل نفسى وقارئى الكريم : مِن أين جاءتهم كلمة **كنيسة** العربية ..!؟

بنظرة مُتفحِّصَة إلى الأناجيل نرى المسيح ابن مريم عليه السلام يؤدى عبادته لله هو وأتباعه مِن المؤمنين فى المعبد المُكرَّس للعبادة حسب شريعة التوراة . ولم يكن فى عصره ما يُطلق عليه كنيسة ولم يبن كنيسة يُصلى فيها هو وأتباعه مِن المؤمنين بدعوته . بل بيَّنَ لأتباعه أنَّ المعبد الذى يجب أن يُصلَّى فيه يُسَمَّى بيتا

---

(١) .. والأمر الغريب أنه لا يوجد اسم للدين الذى جاء به يسوع مذكور فى الأناجيل وكتابات العهد الجديد كلها ..!! راجع كتابى " الدين الذى جاء به المسيح عليه السلام " .

للصلاة حيث قال : " أما كتب أنَّ بيتى **بيتا للصلاة** يُدْعى عند جميع الأمم " (إنجيل مرقس ١١ : ١٧) .

وحسب القواعد المتفق عليها فى علم الإيتومولوجى - علم تتبع تاريخ الكلمات اللغوية ومعانيها عبر التاريخ - فإنَّ كلمة **كنيسة** لم توجد إلا فى اللسان العربى . وكنائس الشام والعراق واليمن القديمة شاهدة على ذلك . فكان علماء المسلمين المؤرخين فى القرون الأولى يذكرون كلمة **كليسيا** أثناء نقلهم من كتب أهل الكتاب ، مثل قولهم جاء فى " تاريخ كليسيا " ويقصدون تاريخ الكنيسة . فذكروا الكلمة اليونانية (اكليسيا) بعد تعريبها بواسطة علماء النصرانية .

ولا أعلم متى دخلت كلمة كنيسة إلى العربية . ولكن هناك شاهد تاريخى قوى نجده فى قصة أبرهة بن الأشرم وأصحاب الفيل ، حيث بَنَى للعرب فى صنعاء اليمن معبدا نصرانيا ضخما وأطلق عليه بالعربية الفصحى اسم **قُلَّيْس** ليحج إليه العرب بدلا من كعبة مكة ، فذكر **قُلَّيْس** ولم يذكر كنيسة ، وتلك أقدم وأصح ترجمة عربية لكلمة اكّليسيا اليونانية ، حيث تحولت الكاف اليونانية المُشدَّدة - المكررة - إلى القاف العربية ..!!

ويغلب على ظنى أن كلمة **كنيسة** ظهرت أولا فى الحبشة ثم انتشرت فى بلاد العرب بعد ذلك ، حيث نسمع بها فى روايات مَن هاجر إليها من الصحابة رضوان الله عليهم . فى أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ كلمة **كنيسة** فقالت إحداهن رأيت **كنيسة** بأرض الحبشة عليها تصاوير فقال رسول الله ﷺ أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره **مسجدا** وصوره أولئك شرار الخلق عند الله .

أمَّا عن الكلمة اليونانية المستعملة فى العهد الجديد فهى **اكّلسيا** أو **اكّليزيا** حسب دقة النطق - والتى تم تعريبها باليمن قبل الإسلام إلى **قُلَّيْس** - فهى تختلف كثيرا فى معناها العام والخاص عن كلمة كنيسة العربية حسب اشتقاقاتها اللغوية .

كما أنَّ كلمة كنيسة التى يذكرونها فى الأناجيل ترجع فى تاريخها إلى ما قبل ولادة المسيح بقرون عِدَّة ، فكان للإمبراطور يوليوس قيصر **اكلسيا** أى كنيسة

ـ وهى بمثابة مجلس يتخذ فيه أعضاؤه قوانين البلاد وتشريعاتها ـ وتلك الكنيسة اليونانية **اكلّسيا** وُجِدَت من قبل المسيح بمائة سنة تقريبا ..!!

فعندما كانت الحكومة اليونانية الوثنية تريد أن تصدر تشريعا أو قانونا جديدا ، كانت تدعو لعقد مجمع ـ **اكلّسيا** ـ (وهى الكلمة اليونانية التى ترجموها إلى كنيسة فى العربية) لإصدار القوانين والتشريعات . فكلمة اكلّسيا اليونانية ليست مكانا للعبادة فى أصلها وليس فيها هذا المعنى ـ بيت للصلاة ـ لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما هى **مَجْمَع** وثنى لمن كانوا مُؤهلين لإصدار القوانين والتشريعات الجديدة التى تخص البلاد .

أمَّا عن الترجمة العربية الفصيحة قبل الإسلام لمكان العبادة النصرانى فهو **قُلَّيْس** (١) الذى يحمل فى طيات تركيبه اللغوى معنى القِلال (ق ل ل) التى يتعبَّد فيها الرهبان . والقلال هى المرتفعات الجبلية المنعزلة حيث ينقطع فيها الرهبان للعبادة بعيدا عن الناس . ونجد ذلك المصطلح فى كتب التاريخ النصرانى القديم وبعض الكتب التى تتكلم عن سِيَر الرهبان ووصف قِلالهم ، وإن تحولت الكلمة حديثا إلى قلاَّية وقلاَّيات بدلا من قلال ..!!

أمَّا بخصوص حرف السين فى آخر كلمة **قُلَّيْس** فهو ليس من أصل الكلمة وإنما هو لا حقة إعراب يونانية تُرِكَت للدلالة على تعريب الكلمة وللإشارة إلى أنها معربة عن اليونانية ..!!

ونعود إلى كلمتنا **كنيسة** لنبحث فيها وعنها ..

يُحاول مسيحيو الشام العرب أن يُرجعوا أصل كلمة **كنيسة** فى اشتقاقها إلى الجذر الأرامى (ك ن ش) ومنه الفعل (كَنِشْ) بمعنى جمع وجماعة أو مجموعة من الناس . والكنيسة عندهم بمعنى جماعة المؤمنين . والجذر كنش فى العربية معناه قريب من جهة وبعيد من جهات أخرى .

---

(١) .. القليس اسم للكنيسة التى بناها أبرهة بن الأشرم لنصارى اليمن وأراد أن يفرض الحج إليها على العرب . فكانت حملته المشهورة على بيت الله الحرام وقصة أصحاب الفيل .

فالكناشة هى جمع الأوراق التى تُجْعَل كالدفتر يقيد فيه الشارد والوارد . ومنه قالوا كناشة النوادر أى مجموعة من النوادر ، كما فعل العلامة عبد السلام هارون فى مقال له فى احدى مجلات مجمع اللغة العربية تحت عنوان " كناشة الدكان " فذكر مجموعة من النوادر اللغوية [١] ..!!

والكناشة هى الأصول التى تتشعب منها الفروع . كما أنَّ الكنش هو تليين رأس السواك الخشن فيقال كنشه بعد خشونته [٢] ..!!
ولكن النصارى والمسيحيين [٣] لم يقولوا كناشة أو حتى كنيشة وإنما قالوا كنيسة بالسين . وهذا يدل على عدم صحة الاشتقاق المذكور .

أمَّا عن مادة كنس العربية بفتح الكاف ففيها معنى الاستتار والاختفاء . فيقال تكَنَّسَ الرجل أى استتر ودخل خيمته ، وتكَنَّسَت المرأة أى استترت ودخلت هودجها . ونقل الزبيدى فى كتابه (تاج العروس بشرح القاموس) عن أبى عمرو قوله : الكنيسة هى المرأة الحسناء [٤] .
قلت : وربما مِن ذلك المعنى الأخير الذى قال به الزبيدى جاء قولهم فى وصف الكنيسة بأنها " عروس المسيح " ..!!

والكَناس والكَنيس بفتح الكاف هو المكان الذى يتعبَّد فيه اليهود أصلا . واشتهرت كلمة **كَنيس** كمعبد لليهود وكَنيسة (مؤنث كنيس) كمعبد للنصارى . ولا تزال كلمة **كِنيست** ـ بكسر الحرف الأول للدلالة على الأصل الآرامى وبالتاء المفتوحة ـ تستخدم فى إسرائيل للدلالة على المجلس الذى يتخذ القرارات والتشريعات فى الدولة ، مما قد يدل على أنَّ كلمة كنيسة عربية الأصل وليست بترجمة يونانية لكلمة اكلسيا . وقد حاول أحد الباحثين المسيحيين العرب أن يشتق أصل كلمة كنيسة مِن الجذر (كنس) فقال إنَّ معناه (جمع و دعا) . ولكن ذلك

---

(١) .. مجلة مجمع اللغة العربية ج ٥٦ مايو ١٩٨٥ م الموافق شعبان ١٤٠٥ هـ .
(٢) .. تاج العروس ج ٤ ص ٣٤٧ .
(٣) .. النصارى غير المسيحيين (راجع البيان والتفصيل فى كتبى السابقة) .
(٤) .. تاج العروس ج ٤ ص ٢٣٥ .

المعنى لا يتأتى إلا بضم الكاف وفتح النون فنقول **كُنَاسَةَ** أى جمع القمامة ..!!

وهناك سِرّ فى تأنيث **الكنيس** اليهودى إلى **الكنيسة** النصرانية نجده فى كتب العهد الجديد . حيث زعم الأوائل أنَّ **يسوع الخروف** الذى ذبح على الصليب فداء لهم وخلاصا للبشرية هو **العريس** ، وأنه سيرجع ليجد عروسه الجميلة الكنيسة " **عروس الخروف** " (سفر الرؤيا ١٩ : ٦ - ٩) . والعريس هو يسوع والعروس هى الكنيسة . وقطعا لن يكون الكنيس المذكر هو عروس يسوع فأنثوه وقالوا كنيسة ..!!

إنَّ كلمة **اكّلسيا** (εκκλησιαν) اليونانية معناها العام " جماعة من الناس لهم سلطة اصدار القوانين والتشريعات " . ومع أنها أصبحت كلمة مسيحية صرفة إلا أنها وُجدت فى العالم الوثنى اليونانى قبل المسيحية . فقد كانت تطلق فى العالم اليونانى على كل مجموع المواطنين فى المدينة الحرة . كذلك كانت تطلق على كل فريق من المواطنين يدعى للاشتراك فى اتخاذ القرارات فى المناقشات العامة . فلا توجد أى علاقة لغوية بين معنى كلمة اكلسيا اليونانية وبين الدين أو العبادة أو بيت الصلاة .

وهذه الكلمة اكلسيا (εκκλησιαν) مكونة من ثلاثة مقاطع لواصق معناها مجتمعة هو (نادى – مِن – إلى) . بمعنى نادى أحدهم مِن أجل أن يترك مكانه ويأتى إلى هنا ، وهذا المعنى هو المسجل فى العهد الجديد فى أغلب الأحيان ومن هنا كان قولهم أنَّ الكنيسة تجمعهم ومِن ثمَّ تُرسِلهم إلى يسوع المسيح بواسطة الاعتراف بخدمة الأسرار ، وبمساندة التعاليم الكهنوتية .

زعموا أنَّ يسوع هو أول من استعمل كلمة (الكنيسة) حيث خاطب بطرس قائلاً : "على هذه الصخرة ابنى **كنيستى** (εκκλησιαν) وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " (متى ١٦ : ١٨) . والموجود بالأصل اليونانى لإنجيل متى هى الكلمة اكّلسيا (εκκλησιαν) بتشديد الكاف أى تكرارها وليست كنيسة بتخفيف الكاف ، والمسيح عليه السلام لم يتكلم اليونانية .

فما هى الكلمة التى نطق بها المسيح بلسانه الآرامى ..!!؟ هل هى كلمة كنيسة أم كنيس أم معبد أم بيعة أم مسجد ..!؟ وهل بنى كنيسته **على بطرس** أم على نفسه أم على صخرة الإيمان أم على الحجر الذى رفضه البناؤون ..!!؟
وهل كان بطرس هو الحجر الذى رفضه البناؤون أم كان صخرة تعيق البناء ..!؟
فاللغة اليونانية هي التي أبعدت الناس عن فهم كلمات وأقوال المسيح ابن مريم ﷺ الآرامية .

قارئى الكريم .. لقد استوفيت الإجابة على الأسئلة السابقة بأدلة صريحة ظاهرة من داخل أصول نصوص العهد الجديد اليونانية ، وذلك فى كتابى " بولس صانع الأسطورة " فارجع إليه فهو جديد فى مادته . ولن أبخل عليك هنا فسوف أشرح بإذن الله تعالى قول المسيح ﷺ فى بيان صفة كنيسته وتوقيت بنائها حسب الأصول اليونانية فى فصل تالى لتعرف الإجابة التى خيَّم عليها الضباب الكثيف لمدة ألفى سنة ميلادية ..!!

الترجمات العربية الحالية للأناجيل تقول **كنيسة** ولا تقول **اكّلسيا** كما هو فى الأصول اليونانية . كما أنَّ المسيح ﷺ لم يبن بيتا للصلاة خاصا به وبأتباعه المؤمنين به ولا حتى مبنى عاديا ليجتمع فيه بهم . وكذلك لم يأمر أتباعه ببناء بيت للعبادة خلاف بيوت العبادة الإسرائيلية . وإنما صلى وصام وزكّى وحجَّ كما كان يفعل الإسرائيليون ولم ينفصل عن معبدهم أو يأمر أتباعه مِن بعده بالانفصال عن الإسرائيليين ومكان عبادتهم واتخاذ قبلتهم فى الصلاة . وأنما كانت أوامره الالتزام بشريعة التوراة مع الإيمان بالإنجيل الذى جاء به .

ومِن الملاحظ أنَّ الكنيسة الحالية على مرّ العصور المسيحية لا تعنى سوى ذلك المبنى القائم على مجلس الإدارة المكون من تنظيم هرمى من القسس والكهنة . يوجههم جميعاً مجلس إدارة أعلى يشرف على مجموعة الكنائس . إلا أنَّ هذه الإدارة الأعلى أخذت سلطاتها ـ فى الغرب العلمانى ـ فى التآكل يوماً بعد يوم بسبب الخلافات الشخصية التى نشبت بين قسوسها ، وشعب فى الغالب لا يدرك الكثير عن سياسة كنيسته وأهدافها الباطنة ..!!

وكل كنيسة عندنا الآن - أقصد المبنى الإدارى - صارت متخمة بكم ضخم من المخاوف والمشكلات المتزايدة دوما ، حتى صار الهَمّ الأكبر لراعيها هو كيفية المحافظة على شكل هيكلها . فالراعى (قسا أو كاهنا) ملزم برعاية أعضائها اجتماعيا - بشكل الوصاية بحسب المفهوم الشرقى للكلمة - فهو يحاول المحافظة على أعضاء كنيسته ومنعهم من الدخول إلى الإسلام . كما يقوم بشحن قلوب شعب كنيسته بكراهية الإسلام ونبىّ الإسلام والمسلمين وينطبق عليه قول المسيح " من ثمارهم تعرفونهم " .

وهذا أمر مُشاهد معلوم من سياسة الكنيسة القبطية ومَن لم يُصدّق فعليه بمواقع غجر المهجر الأقباط على شبكة المعلومات الدولية ليرى ثمار أخلاق شعب الكنيسة المصرية . ومن ناحية أخرى يحاول راعى الكنيسة أن يُخفى نشاط كنيستة المالى عن جهات الأمن فى الدولة ووزاراتها (المالية والاقتصاد والجهاز القومى للحسابات) . كل هذا وغيره أدى إلى انفصال الكنيسة عن مجتمعها الذى تحيا فيه . وهذا واضح فى سياستها العامة ولغتها على مطبوعاتها العربية الدينية العامة والخاصة .

مِن هنا أرى أنّ كلمة كنيسة تعنى الآن وفى عصرنا : الهيئة الموجودة فى المجتمع العربى والمغتربة عنه فى ذات الوقت ، بتخلفها عن إدراك لغته ومقوماته وبذلك أصبحت الكنيسة العربية تشكل تهديدا للإسلام - الديانة الرسمية فى البلاد العربية - مما يؤدى بالتالى إلى وَسْم كل من ينتمى إليها بشكل عدائى وانفصالى فى ذات الوقت (لاحظ تعبير الكنيسة القبطية لأتباعها بأنهم **شعب الكنيسة** كأنهم ليسوا مِن شعب مصر . كما تحاول الكنيسة القبطية جاهدة منذ أن تولى رئاستها شنودة الثالث فى سنة ١٩٧١ م القيام بإحياء اللغة القبطية الميتة بين قسوسها بدلا من العربية ، والتمسك بالعادات والطقوس الفرعونية) [١] .

---

(١) .. وياليت اللغة القبطية كانت هى الترجمة الأولى للأناجيل ، ولكنها ترجمة مأخوذة عن الترجمة اليونانية .
وكلا الترجمتين ليستا مِن اللغة التى تكلم بها المسيح وكان بها إنجيله ..!!
فالقبطية فى أصلها يونانية - لغة مخاطبة المستعمر للمصريين - ولم يتكلم بها شعب مصر كما سيأتى بيانه .
وليس فيها من الحروف المصرية سوى سبعة أحرف والباقى منها هو سبعة وعشرون حرفا يونانيا ورغم ذلك يقولون بأنها مصرية ..!!
كما أنّ معظم كتابات آباء كنيسة الإسكندرية القدماء كانت باللاتينية واليونانية وليست بالقبطية . وحتى الكتابات القبطية الدينية التى تم اكتشافها فى نجع حمادى والمنيا وغيرهما تتنصل منها الكنيسة القبطية ولا تؤمن بما فى تلك الكتابات القبطية .. عجبى ..!!

إنها مجتمع متكامل فيه سلطة هرمية ظاهرة وسلطة سريَّة مُحاطة بمجموعة مِن الأسرار . زعموا أنَّ جسدَ يسوع السرّى هو رأسها وعمودها السرمدى . قال المسيح عليه السلام حسب نصّ إنجيل مرقس (١١ : ١٧) " أما كتب أنَّ **بيتى بيتا للصلاة** يُدْعى عند جميع الأمم " فقال بيتا للصلاة ولم يقل كنيسة للأسرار وجباية العشور ..!!

وهدف الكنيسة الأساسى هو خلاص أتباعها نفساً وجسداً من حكم الشريعة الإلهية (كما قال بولس قديما) ، تحت ستار إزالة سلطة الخطية ومحبة الانسان لها وتقود شعبها كما تزعم إلى الحياة الأبدية السماوية . ويتم ذلك عن طريق الإيمان بالتجسد وعمل الفداء وفعل الروح القدس فى الأتباع . وليعلم القرّاء أنَّ الواسطة المنظورة لإجراء كل ذلك هى الكنيسة . وقد سُمّى البحث فى الكنيسة ونظامها وعلاقتها بالعالم وعملها الخاص بـ **الإكليزيولوجيا (أى العِلم الكنسى)** وهو قسم من أقسام عِلم اللاهوت الكبرى .

وقد دُعيت الكنيسة فى العهد الجديد بألقاب متنوعة منها : بيت روحى (١بط ٢ : ٥) وبيت ثيوس (١ تى ٣ : ١٥) وهيكل ثيوس أى هيكل الله حسب الترجمة العربية وهيكل الروح القدس (١ كو ٣: ١٥، ١٦) وجسم يسوع (أف ٥ : ٣٠) وجسد يسوع (١كو ١٢ : ٢٧) وعروس المسيح (أف ٥ : ٣١ ، ٣٢) ... الخ .
ولم توصف أبدا بأنها بيت للصلاة كما بيَّن وأراد المسيح عليه السلام .

وأذكر للقارىء الكريم ملخصا مختصرا جدا لبداية ظهور الكنائس الشرعية المدعمة بحماية السلطة الحاكمة فى التاريخ المسيحى ..
حتى سنة ٢٦٠ م كان كل ما يطلق عليه كلمة كنيسة تعتبر كنائس غير شرعية تعمل فى السِّر بعيدا عن أعين السلطات الحاكمة . وبعدها بأربعين سنة أخرى كانت فترة تأسيس قانونية الكنائس وشرعيتها . وثلاثة عشر سنة أخرى كانت فترة الاضطهاد الذى لم يُسبق له مثيل . وفى سنة ٣١٣ م أصدر الإمبراطور قسطنطين قانون التسامح الدينى ورفع الاضطهاد ومن ثم أخذت الكنائس شرعيتها الدينية ومكانتها فى حق الظهور والانتشار .

أنواع الكنائس وأنظمتها ..

اشتهر فى تاريخ الكنيسة أربعة أنظمة هى : النظام التقليدى البابوى . والنظام الأسقفى ؛ والنظام الاستقلالى ؛ والنظام النيابى أو الجمهورى .

١ ـ يؤمن أصحاب **النظام التقليدى** البابوى (الفاتيكان) أنَّ الكنيسة واحدة لها نظام واحد منظور ، رأسها الأرضى البابا وهو نائب المسيح . والموظفون فى الكنيسة هم البطاركة والأساقفة (أى المطارنة) وسائر رجال الدين . ولهؤلاء حقوق فائقة وسلطان عظيم . ويمثل هذا النظام الطوائف الكاثوليكية المختلفة .

٢ ـ ويعتقد أهل **النظام الأسقفى** (ومنها الكنيسة القبطية) [1] أنَّ الكنيسة جماعة تحت رئاسة الأساقفة والقسوس والشمامسة . وأساقفتهم هم خلفاء الرسل ولهم معجزات رسولية ، وقد تسلسلوا من الرسل بسلسلة الرسامة الكنسيّة . ولا يتوظف عندهم إلا الذى رُسم عن يد أساقفتهم بالرسامة القانونية ، ولذلك لا يعتبرون رسامة القسوس فى الكنائس الأخرى رسامة حقيقية بدعوى أنهم لم يُرسموا عن يد الأساقفة في الكنيسة الأسقفية . وهم يؤمنون أنَّ الكنيسة والأساقفة مع سائر القسوس والشمامسة هم أصحاب السلطة وليس للشعب حقوق فى سياسة الكنيسة . ويمثل هذا النظام الكنيسة القبطية وكنيسة أنطاكيا وباقى كنائس الطوائف الأورثودكسية .

٣ ـ ويعتقد أهل **النظام الاستقلالى** (وهم بالغرب) أنَّ كل كنيسة محلية مستقلة فى نظامها ، قائمة بنفسها ، تختار موظفيها أى القسس والشمامسة لا غير . وتقوم بأمورها بالاستقلال التام . وتمثلهم كنائس الطوائف البروتستانتية المستقلة .

٤ ـ **النظام النيابى** أو الجمهورى وفيه تقوم كل كنيسة محلية بذاتها ولكن لها علاقة بمجلس كنسى يُدعى **المجمع المشيخى** الذى له بدوره علاقة بمجمع

---

(١) .. منذ أن تأسست الكنيسة القبطية ـ بعد انفصالها عن كنيسة الإسكندرية ـ وحتى منتصف القرن العشرين لم يكن بها كرسى بابوى . أمّا عن وجود البابا فيها الآن فقد وُجد بصدور بقرار من رئيس الجمهورية المسلم جمال عبد الناصر ..!! وتم إلغاء القرار الجمهورى سابق الذكر بواسطة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ..!! ولا تزال البابوية موجودة رغم عدم صدور قرار جمهورى مُعلن من الرئيس الحالى ..!!

أعلى يدعى **السنودس** وله علاقة بمجمع أعلى يُدعى **المحفل العام** وهو مركز السلطة البشرية الأعلى فى الكنيسة .

ولأعضاء كل كنيسة حق انتخاب مجلس لها من الشيوخ والشمامسة ينوب عن الكنيسة بالإجمال لإجراء أعمالها والنظر فى مصالحها . ولهذا المجلس أن ينتخب من أعضائها من ينوب عن تلك الكنيسة مع قسيسها فى المجمع المشيخى . وللمجمع حق انتخاب من ينوب عنه فى السنودس والمحفل العام . والمجلس فى كل كنيسة مع القسس هم نواب الكنيسة للنظر فى إدارتها والسهر على مصالحها . ويمثلهم الطوائف الإنجيلية بمصر [1] .

---

(١) .. تم نقل ذلك التقسيم الكنسى بتصرف من كتاب اللاهوت النظامى .

بين الكنيسة القبطية والكنائس الإنجيلية المصرية

يعتقد التقليديون [1] - كالكنيسة المصرية القبطية الحالية - أنَّ كنيسة المسيح الحقيقية هى كنيستهم هم لا غير . بينما يعتقد الإنجيليون المصريون أنَّ الكنيسة غير المنظورة واحدة وعامة وتحت رياسة المسيح فقط ، وأنَّ الكنيسة المنظورة مؤلفة من جماعات كثيرة منتظمة تحت أسماء مختلفة .

ويعتقد التقليديون المصريون أنَّ صفات الكنيسة هى الوحدة والقداسة والجامعية والرسولية والعصمة وعدم إمكان السقوط ، وأنَّ هذه الصفات اجتمعت فى كنيستهم وحدها ، فهى الكنيسة الوحيدة الصحيحة فى العالم ، ولا خلاص لمن هو خارج عنها . وينكر عليهم الإنجيليون المصريون بعض تلك الصفات ويقولون إنَّ كنيسة المسيح الصحيحة ليست تحت نظام واحد خارجى . بل هى الكنيسة غير المنظورة الروحية المؤلفة من كل المؤمنين بالحق فى كل زمان ومكان . وأنها جسد المسيح وهو رأسها وربها بغضّ النظر عن نظامها الخارجى .

قلت جمال : ومِن المعلوم تاريخيا أنَّ المسيحية الأولى [2] تشرذمت وتشققت إثر صراعات عقائدية لاهوتية تمحورت حول طبيعة المسيح وأيضاً إثر صراعات سياسية كان لها أثرها الكبير فى تفكك الكنائس المسيحية . وجعلت أربع عواصم مسيحية كبيرة تتواجه مع بعضها فى القرن الخامس والسادس والسابع وهى :

روما ؛ الاسكندرية ؛ أنطاكية ؛ القسطنطينية . ومع أنَّ المحاولات استمرت لاحقاً من أجل رأب الصدع بينهم من أجل توحدهم لكن لم يتم ذلك الأمر حتى الآن .

---

(١) .. التقليد ترجمة للكلمة اليونانية (بارادوسيس) أى التسليم لأقوال القدماء . ومن الكنائس التقليدية كنيسة الاسكندرية ؛ كنيسة انطاكية ؛ الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ؛ الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية ؛ الكنيسة البيزنطية ؛ و ... و ... الخ ؛ وحاليا الكنيسة القبطية وهى غير كنيسة الإسكندرية كما سيأتى بيانه .

(٢) .. أمّا عن الطائفة النصرانية فقد اضطهدها اليهود والمسيحيون .. وتحت اضطهاد الحكم الرومانى المسيحى لاذ النصارى بأطراف الجزيرة العربية شمالها وجنوبها إلى أن ظهر الإسلام فدخل أكثرهم فيه ومَن لم يدخل فقد باد مع البادين ولا يعرف التاريخ لهم وجود معلوم الآن .

وتتواجد الكنائس فى الشرق الأوسط حاليا على هيئة أربع بطريركيات أساسية وهى :

١- الاسكندرية وتضم أساساً مصر والحبشة وافريقيا ، ولكنها انقسمت فى الستينيات - عقب الانقلاب العسكرى ضد إمبراطور الحبشة هيلاسيلاسى - إلى بطريركيتين : القبطية والحبشية . فتقلصت سلطاتها .

٢- القسطنطينية والمعروفة بالبيزنطية.

٣- انطاكية وهى مقسمة أيضا اليوم إلى بطريركيات عدة : الروم والروم الكاثوليك ، والسريان الارثوذكس ، والسريان الكاثوليك ، والسريان الموارنة والأرمن ، والسريان المشرقيين (كلدان وآشوريين) .

٤ - بطريركية أورشليم القدس ، وتضم بطريركية الروم الارثوذكس وممثلين عن كل الكنائس الشرقية فى نيابات بطريركية متعددة كاثوليكية وارثوذكسية .

وكل هذه الكنائس تتبع كل منها طقوساً وعقائد وتقاليد مختلفة ومتنوعة تخضع بدورها لعوامل عدة : دينية وحضارية وثقافية وتاريخية وسياسية . وهناك وظائف للكنيسة بعضها وقتى وبعضها دائم .

فالوظيفة الوقتية هى وظيفة الأنبياء والرسل (كما يزعمون) ..!!

ووظائف دائمة كالتعليم والإدارة والخدمة .

كما أنَّ للكنيسة فرائض تُسمى وسائط النعمة وهى الأسرار الكنسية التى تقوم بعملها وهى البحث الثانى فى ذلك الكتيب .

نبذة عن اعتقادات الكنائس التقليدية - كالقبطية الإسكندرانية -

(أخذت المعلومات بتصرف كبير من كتاب اللاهوت النظامى)

يعتقد أصحاب الكنائس التقليدية أنَّ الكنيسة مُقامة من الرب ، فهى مُعلِّمة معصومة ذات سلطان . وأنَّ الشبح المقدَّس - الروح القدس - حاضر معها دائماً يرشدها ويحفظها من الخطأ فى التعليم . ورؤساء الكنائس عندما يتكلمون فى الأمور الدينية يكونون آلة فى يد ذلك الشبح الخفى المقدَّس [1] . والعصمة لا تفارقهم فهم الوحيدون الذين لهم الحق فى شرح الكتاب المقدس .

وهذا التعليم يوافق ذوق عامة المسيحيين فى مصر الذين لا يدرسون الكتاب المقدس . لأنَّ الكنيسة بموجب هذا التعليم قادرة أن ترشدهم وتحررهم من المسؤولية الشخصية فى أمور الدين ، وتحكم فى كل المسائل الدينية لأجلهم وتخلِّصهم من لزوم البحث عن ماهية الحق . وتؤكد لهم خلاصهم بمجرد خضوعهم لها ، وتحمل عنهم الخطأ ، وتوزع عليهم النعمة . وتفتح لهم أبواب السماء .

قلت جمال : لقد أخطأ المسيحيون عندما حَذوا حِذو اليهود ، فنسبوا إلى أنفسهم مقالة اليهود من أنهم ورثة المواعيد وأصحاب الحق الكتابى . فمن ينضم للكنيسة ويسير تحت نظامها ويؤمن بأسرارها ينال الخلاص ، وأنَّ جميع الذين ماتوا وسيموتون خارج الكنيسة لا يستحقون الفردوس ولذلك يهلكون .

وللعلم فإنَّ المسيح عليه السلام قد أبطل مثل تلك الأقوال التى كانت متفشية بين قومه كما هو مسجل فى الأناجيل الحالية . وكما يظهر جلياً من الأناجيل أنَّ وظيفة الرسل - تلاميذ المسيح - وقتية وغير قابلة للانتقال والتسلسل . وليس فيها أمرٌ باستمرارها . وليس فى الأناجيل أمرٌ بإقامة خلفاء لهم كما تزعم الكنائس التقليدية .

---

(١) .. فى النسخ الإنجليزية القديمة المعتمدة نجد كلمة شبح (جوست ghost) هى المستخدمة كثيرا فى النصوص . ومنذ مطلع القرن العشرين بدأت كلمة روح (سبريت spirit) تحل محل كلمة شبح فى النسخ المعاصرة . والمعنى بين الكلمتين مختلف كما هو معلوم .

وبتتبع الحوادث التاريخية نجدها تكذِّب العصمة المزعومة . فالتاريخ يروى كيف أنَّ الكنيسة وقادتها أخطأوا وانحرفوا عن الحق وانشقوا على أنفسهم منذ فتنة أريوس . بل من قبل ذلك بكثير فقد انشق المسيحيون فى أنطاكيا عن كنيسة القدس التى كان بها تلاميذ المسيح منذ عصر بولس . كما قبلت الكنيسة أكثر القضايا المهمة فى تعليم أغسطينوس فى مجمع أفسس الثالث سنة ٤٣١ م فى عقائد فساد طبيعة الإنسان وموته الروحى ، وعدم امكان الخاطئ أن يتجدد بدون قوة الروح . وفى اختيار البعض للخلاص وعدم اختيار البعض الآخر .

ورفضت الكنائس ما سبق أن قبلته ، وعلّمَت أنَّ النعمة الإلهية ليست إلا إعانةً للإنسان ليرجع إلى الرب ، وأنَّ المعمودية هى وسيلة التجديد ، وأنَّ الشهوة ليست خطية وسكتت فى أمر الاختيار . وواضح من هذا أنَّ الكنائس غير معصومة فى التعليم لعدم مطابقة تعاليمها بعضها لبعض .

وقد جاء فى تاريخ المسيحية رأيان متضادان فى وسائط الخلاص التى ينالون بها النعم السماوية :

- **رأى الكنيسة الإنجيلية** : أنَّ الكارزين - الداعين - بالحق هم خدّام مختارون من الرب لنشر بشرى الخلاص ، ولكن ليس لهم السلطان الخاص بالرسل ولا مواهبهم العجيبة ، وأنَّ سِرَّى الكنيسة - المعمودية والعشاء الربَّانى - ليسا إلا من جملة الوسائط لبنيانها وثباتها فى الإيمان ونموها فى التقوى . وأنَّ فاعليتهما تتوقف على قبولهما بالإيمان لا على ممارستهما بأيدى القسس . وأنَّ القسس معيّنون لممارستهما حفظاً لنظام الكنيسة .

- **رأى الكنائس التقليدية** : الاعتقاد أنَّ رجال الدين هم خلفاء الرسل ولهم وحدهم سلطان الرسل ومواهبهم . وعلى ذلك فهم وكلاء النعمة الإلهية وذو قدرة على توصيلها للبشر بواسطة الأسرار الكنسية . أى أنَّ الرب يستخدمهم **هم فقط** وسائط ليوصّل نعمته وخلاصه للبشر . وبناءً على ذلك يكون قبول الأسرار عن يد الإكليروس ضرورياً للخلاص . وكذلك تتوقف فاعلية الأسرار على ممارستها

بالأسلوب الذى يراه الإكليروس [1] قانونياً . وهذا الأمر يخوّل للإكليروس سلطاناً فى الأمور الروحية لم يخولهم إياه يسوع ويملأ أيديهم بالقوة لاستعباد البشر .

ويتضح خطأ هذا الرأى من سوء تفسيرهم بعض آيات الكتاب التى زعموا أنها تشير إلى رسامة الإكليروس بوضع الأيادى وقبول الشبح المقدَّس مع أنها لا تشير إلا إلى التأييد وللتثبيت . ومن هذا يتضح أنَّ إعطاء الشبح المقدَّس بوضع الأيدى لم يكن لرسامة إكليروس ولا لإثبات الخلافة الرسولية بل لمنح التأييد .

ولم أجد فى الأناجيل الحالية خبر إعطاء الشبح المقدَّس ـ أقصد التأييد الإلهى ـ بغير وساطة المسيح شخصيا . وحتى الآن لم يوجد فى الكنيسة ـ بطوائفها المختلفة عقائديا ـ من استطاع منح الشبح المقدَّس لأحد مِن البشر . فلا سند من الأناجيل يُشير إلى الخلافة الرسولية المزعومة ولا على تفويض منح تلك النعمة الإلهية الوراثية إلى رجال الإكليروس أو إعطاء الشبح المقدَّس مراراً لجماعة من الناس عند معموديتهم .

المهم أنَّ المسيح عليه السلام قد جاء أساسا لهدم تقاليد الشيوخ ورفع الإصر والأغلال التى فرضها شيوخ بنى إسرائيل عن قومه (إنجيل مرقس) . ولكن أتباع بولس عملوا بالعكس تماما حيث أحيوا التقاليد البغيضة تبعا لقول بولس : " فأثبتوا إذا أيها الاخوة **وتمسكوا بالتقليدات** التى تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا " (٢ تسالونيكى ٢ : ١٥) و " فأمدحكم أيها الاخوة على أنكم تذكروننى فى كل شيء **وتحفظون التقليدات** كما سلمتها إليكم " (١ كورنثوس ١١ : ٢) .

ومن هذه التقاليد المعمول بها فى الكنيسة القبطية الأورثوذكسية : إكرام صور وتماثيل (الأيقونات) القديسين وبقاياهم والاستشفاع بها ؛ حفظ الصوم الأربعينى قبل الفصح وحفظ يومى الأربعاء والجمعة على مدار السنة ؛ الحياة الرهبانية ؛ **الصلاة إلى جهة الشرق ؛ عدم الركوع يوم الأحد وفى أيام الخمسين .**

---

(١) .. كلمة اكليروس مشتقة من كلمة اكليرونوميا اليونانية ومعناها الميراث أى أنَّ هؤلاء الناس اختاروا أن يكونوا ورثة يسوع ..!! بمعنى أنهم أصبحوا مكرسين تماما لعملهم هذا فلا يعملون عملا آخر خارج الكنيسة ..!!

كما تزعم الكنيسة القبطية أنَّ التقليد هو كلام الله الشفوى غير المكتوب (الأمانة) ، وتعتبره مساويا للكتب المقدسة ومفسرا ومكملا لها ، تناقلوه عن الأوائل . ولذا نجد رؤساء الكنيسة القبطية يعتقدون أنَّ الكتاب المقدس صعبٌ ومبهَم لا يمكن فهمه بدون مفسّر منظور معصوم من الخطأ هو الكنيسة . وبناء عليه فإنَّ الكنيسة القبطية لا تستحسن مطالعة الشعب للكتاب المقدس بدون الكنيسة . بينما نرى الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية تنادى بلزوم نشر الكتاب والسعى فى توزيعه . ومن هنا نجد خلو المكتبات العامة والخاصة من نسخة كتاب الكنيسة القبطية حيث لم تقم بطباعته ونشره بين الناس إلى الآن ..!!

ومِن المفارقات البينية أن تضع الكنيسة الإنجيلية **المسيح قبل الكنيسة** وتزعم الاقتداء به دليلاً على التقوى الصحيحة . بينما تضع الكنيسة القبطية **الكنيسة قبل المسيح** وتحسبه شرط الإيمان الصحيح .

كلمة خطيرة حول الكنيسة المصرية

لا شك أنَّ درجة الوعى والثقافة العامة تتحدد عند الفرد بقدر إلمامه بتاريخ بلده ولغته ، وعندما يصبح التاريخ المزيف واللغة المزعومة جزءاً رئيسيا من عقيدة مجموعة من الناس لإثارة الفتنة والبلبلة فى المفاهيم ولإضعاف الوحدة الوطنية لشعب مصر . فلابد لنا من وقفة نعيد فيها قراءة التاريخ لنعلم صحيحه من سقيمه بغرض بناء ثقافة التطور والمواجهة .

وستكون وقفتى بحول الله وقوته حول محورين :
بداية **ظهور الكنيسة القبطية** فى التاريخ المصرى ، **واللغة القبطية** التى زعموا أنها كانت لغة شعب مصر كله وليست لغة المستعمر اليونانى التى وضعها ليخاطب بها المصريين ..

أولا : الكنيسة القبطية

لا أستطيع أن أزعم أو أقول بأنَّه كانت هناك كنيسة واحدة فى مصر تُدْعَى الكنيسة المصرية قبل الفتح الإسلامى لمصر .. وإنما كانت هناك فى مصر كنيسة واحدة ظاهرة تسمى بكنيسة الإسكندرية ، هى التى نجد ذكرها فى كتب التاريخ المسيحى قبل القرن السابع الميلادى ، أى قبل الفتح الإسلامى لمصر . ولكن **قبيل الفتح الإسلامى** كان هناك منشقون على كنيسة الإسكندرية تزعمهم البطرك بنيامين الذى كوَّن ما يشبه كنيسة فى السِّر تعارض آراء وعقيدة كنيسة الإسكندرية بخصوص مسألة طبيعة المسيح وقرارات مجمع خلقيدونية . ولنا أن نقول كانت هناك بمصر أوان الفتح الإسلامى كنيسة ثانية تشكلت فى السِّر من المصريين الذين خالفوا أراء كنيسة الإسكندرية بخصوص قرارات مجمع خلقيدونية . فصار بمصر قُبَيْل الفتح الإسلامى كنيستين حينذاك ..

أولاهما كنيسة ظاهرة **ملكانية** المذهب والعقيدة ، تابعة للقسطنطينية والحاكم الرومانى وهى **كنيسة الإسكندرية** . والثانية مستترة تشكلت سرًا ، **يعقوبية** المذهب

والعقيدة ـ وهى على النقيض من كنيسة الإسكندرية وعقيدتها ـ رفضت آراء كنيسة الإسكندرية وتدخلات الإمبراطور الرومانى ، وهى التى تسمت **فيما بعد** وفى ظل العصر الإسلامى لمصر بـ **الكنيسة القبطية** .

وخيَّم ظلام التاريخ الكنسى على الكنيستين ، ولم يحاول الباحثون فى التاريخ المصرى كشف النقاب عن العلاقة بين الكنيستين وتبيان التوقيت الذى ظهرت فيه الكنيسة القبطية وسرقت فيه تاريخ كنيسة الإسكندرية وزعمت أنها هى كنيسة الإسكندرية بعد أن انزوت كنيسة الإسكندرية وتقلصت عقب الفتح الإسلامى لمصر بقرنين من الزمان . بل وسرقت الكنيسة القبطية التاريخ المصرى فقالت التاريخ القبطى نسبة إليها . مع أنَّ كلمة قبطى ليست بكلمة مصرية وإنما يونانية فرضها المحتل اليونانى وأتباعه من بعده على مصر والمصريين ..!!

ولا أستطيع أن أزعم أو أقول بأنَّ الكنيسة القبطية الحالية هى امتداد لكنيسة الإسكندرية التاريخية القديمة . ولكنها كنيسة من كنائس مصر ظهرت وهى تُقَدِّس اللغة القبطية وتتعامل بها فى طقوسها الدينية وتُحْيِى التراث الفرعونى الوثنى [1] وتعتمد **التفسير الرمزى** أصلا أصيلا فى فهم الكتاب المقدَّس ، وتُسمى نفسها بالكنيسة القبطية تمويها على الجهلاء من العامة ليفهموا أنها الكنيسة المصرية الوحيدة . ومن ثمَّ فقد سرقت تلك الكنيسة القبطية تراث وتاريخ كنيسة الإسكندرية التاريخية ، وتعدى الأمر إلى أن سمَّت نفسها بكنيسة الإسكندرية حاليا ..!!

---

(١) .. ولنضرب هنا مثلا واحدا ، ألا وهو الاتجاه للشرق فى الصلاة المسيحية ..
هو تقليد مصرى قديم توارثه المسيحيون عن فراعنة مصر ، وإن كان القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠ ـ ٣٧٩ م) يقول بأنه تقليد قديم متوارث غير مكتوب فى الوثائق المسيحية . ويُعد العلامة كليمندس الاسكندرى (١٥٠ ـ ٢١٥ م) أوَّل من أشار إلى الاتجاه للشرق فى الصلاة . **فالاتجاه للشرق فى الصلاة طقس وُجِدَ فى مصر أولا وامتد منها إلى كل أنحاء العالم المسيحى** . وعلى ذلك فإن اتجاه الكنائس المصرية إلى الشرق فى بنائها هو أمر أساسى فى تصميمها ، بينما هو أمر لم تعرفه كنائس أوروبا إلا فى العصور الوسطى ..
ويقول الراهب المصرى اثناسيوس فى معجمه : وفى الليتورجية القبطية تكثر تنبيهات الشمَّاس للشعب للاتجاه للشرق فى الصلاة رغم أنَّ الكنيسة أصلا مبنية فى هذا الاتجاه ومن هذه النداءات " إلى الشرق انظروا " و " قفوا وإلى الشرق انظروا " . (نقلا عن معجم المصطلحات الكنسية / ج ١ ص ٤١) .
قلت جمال : وقطعا الاتجاه فى الصلاة إلى الشرق يخالف ما كان عليه المسيح عليه السلام من اتخاذه قبلة الصلاة إلى بيت المقدس كما ورد فى إنجيل يوحنا أثناء حديثه مع المرأة السامرية .
أمَّا عن الصلاة إلى الشرق فهى واردة عن الفراعنه كما فى صلاة تحتمس الثالث إلى الشرق حيث أرض الإله ..
ولا توجد أرض بشرق مصر سوى أرض الحجاز ومكة المكرمة ..!!

تلك الكنيسة التى يزعم كهنتها وقسسها زورا وبهتانا بأنها هى كنيسة الإسكندرية القديمة والمعروفة فى كتب التاريخ القديم . كنيسة الإسكندرية التى كانت تعد من الأربع بطريركيات الشرقية القديمة : بطريركية **أنطاكيا** و بطريركية **القسطنطينية** و بطريركية **الإسكندرية** و بطريركية **أورشليم** .

كنيسة الإسكندرية التى لم يصلنا شيئا من كتابات آبائها باللغة القبطية . وكل ما اكتشف من كتابات قبطية قديمة ـ مثل مكتشفات نجع حمادى والمنيا ـ لا تنتمى إلى كنيسة الإسكندرية فى عقيدتها . كما تتنصل الكنيسة القبطية من تلك الكتابات القبطية..!!

ومن المتفق عليه بين المؤرخين المسيحيين **أنَّ كنيسة الإسكندرية** كانت من الكنائس التى **وافقت على قرارات مجمع خلقيدونية** الذى عقد سنة ٤٥١ م . **أمَّا الكنيسة القبطية الحالية** ـ والتى تزعم قياداتها أنها كنيسة الإسكندرية ـ **فهى لا تعترف بقرارات مجمع خلقيدونية** . وتلك مفارقة عقدية خطيرة [١] ..!!

والكنيسة القبطية الحالية تقول قياداتها بأنها كنيسة أرثوذكسية بالذال **وليس بالدال** كما هو الحال فى كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكيا وكنيسة القدس وكنيسة القسطنطينية فكلها كناس أرثودوكسية (οpθoδoξoχ) بالدال (δ) وبالتأكيد هناك فرق فى معنى المصطلح اليونانى ..

وكلمة الأرثودكس (οpθoδoξoχ) معناها فى اليونانية مستقيم الرأى . وهى كلمة مركبة من لفظتين يونانيتين (أرثوس) وهى صفة لما هو قويم وسليم . و (دكسا) وهى اسم يدل على الرأى والمعتقد والفكر . فيكون معنى الكلمة اليونانية المركبة (أرثودكس) هو المعتقد القويم أو الرأى القويم .

---

(١) .. من أقلام قسس الكنيسة القبطية أخذت تلك البيانات مع أنها مسجلة فى كل كتب التاريخ المسيحى .
(راجع على سبيل المثال كل من معجم المصطلحات الكنسية : ج ١ ص ٦٢ ـ ٦٣ للراهب القبطى اثناسيوس و المسكونية فى الكنيسة القبطية الأرثونكسية / دراسة وثائقية للقمص بولا عطية ص ٣٠) . وكلا الكتابين عليهما موافقة البابا شنودة ومساعده بيشوى ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ ..!!

وقد ظهرت طائفة الأرثودكس على مسرح التاريخ بعد أن انفصلت الكنائس الشرقية عن الكنيسة الغربية نهائيا فى **مارس سنة ١٠٥٤** م . ولذلك لم يتكلم علماء الإسلام القدماء - ولا حتى مؤرخى المسيحية - عن مسميات الطوائف الأرثودكسية أو الكاثوليكية وما خرج منها كالبروتستانتية - وما تفرع منهم من طوائف عدة - لأنَّ تلك المسميات ظهرت من بعد مرور ألف سنة على بعثة المسيح عليه السلام . فكان علماء الإسلام القدماء يتكلمون عن الطوائف الثلاث القديمة الكبرى كالنسطورية واليعقوبية والملكانية (أى أتباع الملك) .

أهم المراحل التأسيسية فى الفكر والعقيدة بالنسبة للكنيسة القبطية هى مرحلتى مؤتمر نيقية في سنة ٣٢٥ ومرحلة مؤتمر خليقيدونيا في سنة ٤٥١ ومن هذه تقوم الدعامات الاستقلالية للكنيسة القبطية حسب استقراء كتب تاريخ المسيحية بمصر .. فلا وجود للكنيسة القبطية فى **التاريخ المسيحى** قبل القرن الخامس الميلادى يقينا . ولا وجود لها فى **التاريخ المصرى** قبل الفتح الإسلامى لمصر فى القرن السابع .

والأرثودكس عموما ينقسمون إلى :

أرثودكس خلقيدونيين وهم : الأربع بطريركيات القديمة **القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكيا وأورشليم** .

أرثودكس لا خلقيدونيين وهم الذين لا يعترفون بقرارات مجمع خلقيدونية الذى عقد سنة ٤٥١ م ، وهم يمثلون **اليوم : الكنيسة القبطية** والكنيسة **الأثيوبية** والكنيسة **السريانية الأنطاكية** والكنيسة **الأرمنية** .

ولا أعلم تحديدا متى ظهرت الكنيسة القبطية ككيان مستقل وككنيسة مستقلة عن كنيسة الإسكندرية ومختلفة معها فى عقيدتها بشأن طبيعة السيد المسيح ..!!؟ ولكن الرأى الصحيح أنَّ ذلك الأمر كانت بوادره قبيل دخول الإسلام لمصر . المهم أنهم قالوا بوجود كنيستين مختلفتين عقائديا أمام قرارات **مجمع خلقيدونية** هما كنيسة الإسكندرية والكنيسة القبطية ..!!

وتعترف **الكنيسة القبطية اللاخلقيدونية** بثلاثة مجامع مسكونية فقط هى : نيقيـة (٣٢٥ م) والقسطنطينية (٣٨١ م) وأفسس (٤٣١ م) . بينمـا **كنيـسة الإسكندرية الخلقيدونية** تضيف إلى الثلاثة مجامع المسكونية الأولى أربعة مجامع أخـرى هـى : خلقيدونيـة (٤٥١ م) والقسطنطينية الثـانى (٥٥٣ م) وترولـو (القسطنطينية الثالث ٦٩٢ م) ونيقية الثانى (٧٨٧ م) . وتلك علامة أخرى على المفارقة بين الكنيستين القبطية والإسكندرانية ..!!

فكان لكنيسة الإسكندرية وجود بمصر حتى سنة ٧٨٧ م **على الأقل** أى بعد الفتح الإسلامى لمصر بحوالى قرنين من الزمان .

وتطلق كلمة أرثودكس ، لغة على ما يوافق كل تراث ، دينياً كان أم غير دينـى وتطلـق اصـطلاحاً علـى جماعـة كبيـرة مـن المـسيحيين الـذين يقولـون إنهـم حـافظوا علـى المعتقد الـصحيح كمـا حددتـه المجـامع المـسكونية [١] . وفـى معظـم الأحيان يُطلق الأرثودكس على كنيستهم أسماء (الكنيسة **الأرثودكسية الكاثوليكيـة** الـشرقية) أو (الكنيـسة **الأرثودكـسية الكاثوليكيـة** فـى الـشرق) أو (الكنيـسة **الأرثودكسية الجامعة**) . ويطلق عليها مجازاً مُسمى (الكنيسة الأرثودكسية) حتى لا يلتبس الأمر علـى العامـة لأنَّ كلمـة **الكاثوليك** هنـا تعنـى (الجامعـة أو العامـة) . المهم أنَّ تلك الكنائس الأرثودكسية التى تعد نفسها الكنيسة الجامعة (أى الكاثوليكية) الحقيقية ، ليست جزءاً من الكنيسة الكاثوليكية الرومانيـة الفاتيكانيـة ولا تتبعهـا فـى العقائد أو الطقوس .

ولما اتسع مدى المجامع فى القرن الثالث الميلادى ازدادت أهميـة أسـاقفة المدن الكبرى ونشأت فيها (كراسـى أسقفية) . تميز من بينهـا ثلاثـة هـى كراسـى أنطاكية وروما والاسكندرية . وعندما تأسست مدينة القسطنطينية وغدت عاصـمة الامبراطورية جعل مركزها الأسقفى كرسياً رابعاً . وكانت لكل من هذه الكراسـى سلطته على أقطار معينة ، وتعالج قضاياها الكبرى التى تخص العقيدة أو تهم جميع

---

(١) .. المجمع المسكونى مؤتمر يُدعى إليه أساقفة الكنائس المتعددة للتداول فى شؤون العقيدة المسيحية .

الكنائس مجامع عامة يحضرها أساقفة الكراسى أو ممثلوهم . وقد منح المجمع المسكونى الرابع (مجمع خلقيدونية) أساقفة هذه الكراسى لقب بطريرك ، وأحدث أسقفية القدس وجعل أسقفها بطريركاً فسمى البطريرك الخامس . وبذلك نشأ **نظام الرئاسة الخماسية** فى الكنيسة الأرثوذكسية .

ومنذ النصف الأول من القرن الثالث أطلق على أسقف الكرسى الإسكندرى لقب **بابا** ، وسمى أسقف الكرسى الرومانى **بابا** فى الربع الأول من القرن السادس ، وفى الربع الأخير من القرن نفسه أطلق أساقفة اليونان على أسقف كرسى القسطنطينية لقب **البطريرك المسكونى** .

وفيما بعد صار لقب البطريرك يطلق على رؤساء الكنائس المستقلة الكبرى لأسباب دينية واجتماعية وسياسية دولية . ونلاحظ هنا وجود فارق آخر بين **كنيسة الإسكندرية و الكنيسة القبطية** .. حيث أطلق لقب بابا لأول مرة على أسقف الكرسى الإسكندرى منذ النصف الأول من القرن الثالث الميلادى . بينما أطلق لقب بابا لأول مرة على بطرك كرسى الكنيسة القبطية (كيرلس) بقرار من رئيس الجمهورية المصرى المسلم جمال عبد الناصر فى أواخر الستينيات من القرن العشرين ، ومن بعده صدر القرار من رئيس مصر محمد انور السادات باقالة البابا شنودة الثالث واحالته للتقاعد وتعيين مجلس خماسى لادارة شئون الاقباط مكانه .. وذلك بالقرار الجمهورى رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ والذى قضى بالغاء القرار الجمهورى رقم ٢٧٧٢ لسنة ١٩٧١ بتعيين الأنبا شنودة الثالث بابا للإسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية فالكنيسة القبطية لم يعتلى كرسيها حتى الآن إلا اثنين من البابوات هما كيرلس وشنودة الثالث ..!!

وتؤكد جميع التعاليم الأرثوذكسية الشفوية والكتابية المعاصرة أنَّ الكنيسة القبطية تعترف بسبعة أسرار مقدسة هى : العماد ؛ المَيْرون ؛ القربان المقدس ؛ رسم الكهنة ؛ التكفير ؛ مسحة المرض ؛ الزواج . بَيْد أنها لم تحدد عدد الأسرار رسمياً لا فى (كتاب الصلاة) الذى يتضمن نصوص هذه الأسرار ولا فى تعاليم آباء الكنيسة .

وفى الواقع لم يعمل أى مجتمع كنسى اعترفت به الكنائس الأرثوذكسية على تحديد عدد الأسرار ، وقد **قُبل العدد سبعة فقط** فى (الاعترافات الأرثوذكسية) **التى صدرت فى القرن السابع عشر** رداً على حركة الإصلاح .

ومن المفارقات أيضا أنَّ **آريوس** أسقف كنيسة الإسكندرية المصرية (٢٥٠ - ٣٣٦ م) من مواليد اخميم بصعيد مصر أى أنه مصرى صميم . كان له ألوف الأتباع عرفوا بالآريوسيين . وبقى مذهبهم التوحيدى حيا لفترات زمنية طويلة وصار آريوس علما للتوحيد ، حتى أنَّ كل من جاء بعده إلى يومنا هذا من المسيحيين وأنكر التثليث وإلوهية المسيح ، يصمه رجال الكنيسة الرسميون بأنه آريوسى نسبة إلى آريوس المصرى ..!! ومن المعلوم أنَّ مؤرخ الكنيسة الأول يوسابيوس القيصرى كان آريوسى المذهب ..!!

وعندما دخل الإسلام لمصر كانت كنيسة الإسكندرية وقياداتها تتبع **المذهب الملكانى** أى التابع للملك أى الامبراطور الرومانى . وكانت تضطهد نصارى مصر ورهبانهم أى كانت تضطهد المسيحيين المصريين أصحاب **المذهب اليعقوبى** ، وكان للمصرين بطرك حينذاك انتخبوه سِراً كما سبق بيانه وهو بنيامين والذى كان على خلاف عقائدى مع كنيسة الإسكندرية الملكانية المذهب .

جاء فى كتاب (خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر) ما نصه :

" ولما استعاد الإمبراطور هرقل البلاد - من حكم الفرس - أراد وضع حد للاختلافات المذهبية فى أنحاء الإمبراطورية ، وأوفد إلى مصر لهذه الغاية كورش أو قيرش - المقوقس - أسقف أفاسيس فى أرمينيا فأقام أساقفة خلقيدونيين فى مصر [1] . وكان يقصد بتوحيد المذاهب إكراه قبط مصر على قبول المذهب الخلقيدونى . فاستعمل قيرش - المقوقس - وأساقفته الشدة فى سبيل تنفيذ مشيئة الإمبراطور . وكان قيرش بطريركا ملكيا (خلقيدونيا) وحاكما مدنيا فى وقت واحد .

---

(١) .. والحقيقة التاريخية المؤكدة من الوثائق المسيحية أن كنيسة الإسكندرية كانت خلقيدونية منذ سنة ٤٥١ م واستمرت على تلك العقيدة إلى ما بعد دخول الإسلام لمصر ..!!

فلما رأى البطرك بنيامين اليعقوبى المذهب [1] ذلك ، جمع رجال الأكليروس وحضهم على الثبات فى العقيدة حتى الموت ، وكتب إلى الأساقفة الأورثوذكسيين [2] ينصح لهم بالاختفاء إلى أن تزول هذه المحنة ، واختفى هو كذلك فى دير ناء فى صعيد مصر ، وظل مختفيا ثلاث عشرة سنة ، منها عشر سنوات فى حكم قيرش ، حاق فى خلالها البلاء بأهل البلاد .

وفى هذه الأثناء فتح العرب مصر على يد عمرو بن العاص ، فكتب عمرو صكا بالأمان نشره فى أنحاء مصر يدعو فيه البطرك بنيامين إلى العودة لكرسيه ويؤمنه على حياته . فظهر البطرك وذهب إلى عمرو بن العاص فاحتفى به ورده إلى مركزه عزيز الجانب موفور الكرامة . فأخذ يعمل على أن يسترد إلى الحظيرة الأورثوذكسية الأبرشيات التى استمالها الملكانيون [3] فكلل عمله بالنجاح .. " [4] .

ونجد الاشارة التاريخية النبوية عن أقباط مصر الواقعين تحت الاضطهاد الدينى من قِبَل حاكم مصر وكنيسة الإسكندرية ، وذلك فى رسالة النبى ﷺ إلى مقوقس مصر وحاكمها فى قوله ﷺ " **وعليك إثم القبط** " . فكان من أول الأشياء التى فعلها عمرو بن العاص عند دخوله لمصر فاتحاً أن أمَّن القبط وأخرج بنيامين من عزلته معززا مكرما . <u>وبدأت الكنيسة القبطية فى الظهور على مسرح التاريخ بعد الفتح الإسلامى بجانب كنيسة الإسكندرية ..!!</u>

فكان لمصر عند الفتح الإسلامى **بطرك رسمى متمثلا فى بطرك كنيسة الإسكندرية** التى قبلت مقررات مجمع خلقيدونية ، **وبطرك شعبى انتخب فى السِّر** (بنيامين) **وهو بطرك الكنيسة القبطية** التى رفضت قرارات مجمع خلقيدونية .

---

(١) .. اختلفت الآراء والأقوال في سبب تسمية اليعقوبية . فقيل إنهم أتباع ديسقورس بطريرك الاسكندرية الذى رفض قرارات مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م ، وقيل لأن اسمه كان فى الأصل يعقوب . وقيل بل نسبوا إلى يعقوب البردغانى (أو البرادعى) تلميذ سويسرس بطريرك أنطاكية وكان راهبا بالقسطنطينية ، فكان يطوف فى البلاد ويدعو إلى مذهب ديسقورس . واليعقوبية معظمهم متواجد فى مصر والحبشة .

(٢) .. وهذا أيضا تعتيم للمعلومات ، فأساقفة كنيسة الإسكندرية أورثوذكسيين أيضا ، فلا معنى لتلك القولة ..!!

(٣) .. الملكانيون أتباع كنيسة الإسكندرية كانوا أيضا أورثوذكس ، ولكنه التعتيم والتجهيل التاريخى كأنَّ الأقباط هم الأورثوذكس الوحيدون ..!! وهذا هو ديدن الكنيسة القبطية ومؤرخيها ، تجهيل وتعتيم دائم للحقائق ..!!

(٤) .. نقلا عن (**تاريخ الأمة القبطية**) الحلقة الثانية خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر . تأليف كامل صالح نخلة و فريد كامل . **عضوا لجنة التاريخ القبطى** . نشر مكتبة المحبة سنة ١٩٤٠ م .

وبالفتح الإسلامى لمصر تخلصت الكنيسة القبطية من ظلم واضطهاد إخوانهم فى الدين الممثلين فى كنيسة الإسكندرية والحاكم الرومانى المسيحى (رأس كنيسة الإسكندرية) . وبدأت كنيسة الإسكندرية بعد الفتح الإسلامى فى الاضمحلال والتدهور حتى تلاشت بسبب انتمائها للقسطنطينية والإمبراطور الرومانى . ومن ثم سرقت كنيسة الأقباط تاريخها فيما بعد وزعمت أنها هى كنيسة الإسكندرية وأنها امتداد لها وأنَّ آباءها هم آباء الكنيسة القبطية ..!!

الكنيسة الأرثوذكسية المصرية :

رغم أنَّ الخلافات والمنازعات كانت كبيرة بين أسقف كنيسة الإسكندرية والإمبراطور والمذاهب النصرانية الشرقية (النسطورية واليعاقبة وأزمة أوطاخى ومشكلة مجمعى أفسس وخلقيدونية) إلا أنَّ الاسم الرسمى الذى يتم التعامل به فى المجامع الكنسية كان باسم **كنيسة الإسكندرية** ولم يكن أبدا باسم الكنيسة القبطية . وكانت كنيسة الإسكندرية تابعة للإمبراطور رغم فترات الخلاف ، فهى كانت دائما على المذهب الملكانى أى التابع للملك .

وهناك أمر آخر تميَّز به **المصريون المتأغرقون** [1] الذين ابتعدوا عن **مفلسفة المسيحية** - وليس فلاسفة المسيحية - فى الإسكندرية ، وهو الرهبانية التى ابتدعوها .. وقد وصل أصحاب هذا التيَّار الرهبانى صفوفهم برجال الكنيسة القبطية الناشئة ليكونوا فى مواجهة السلطة البيزنطية ومحتفظين بإيمانهم المبنى على أقوال وعقيدة آباء كنيسة الإسكندرية قبل مجمع خلقيدونية ، وبدون أن يقحموا أنفسهم فى المسائل اللاهوتية . محتفظين فى نفس الوقت بما وضعه لهم العلامة السكندرى أوريجن من منهج التأويل الرمزى فى تفسير الكتاب المقدس . فكانت الرهبانية هى الحصن الذى تحصنوا فيه من ظلم واضطهاد النظام الإمبراطورى الحاكم ومن مفلسفة المسيحية فى كنيسة الإسكندرية .

---

(١) .. متأغرقون أى اتخذوا الحياة الإغريقية اليونانية شعارا لهم ، درسوا باللغة اليونانية وكتبوا بها وأقاموا كافة شعائرهم الدينية بها من صلوات وقداسات بمعنى أنهم نسوا هويتهم المصرية ..!!

وفى نهاية القرن التاسع الميلادى وبعد انقضاء مجمع القسطنطينية الخامس **سنة ٨٧٩ ميلادية** أصبح يمثل الأرثوذكسية كنيستان رئيسيتان :

- الكنيسة الأرثوذكسية المصرية (القبطية) ، والمعروفة باسم الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية (أو كنيسة الإسكندرية زورا) . التى **رفضت** قرارات مجمع خلقيدونية بشأن طبيعة المسيح . **وخالفت** كنيسة الإسكندرية .

- والكنيسة الأرثوذكسية أو كنيسة القسطنطينية ، والمعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية ، التى **قبلت** قرارات مجمع خلقيدونية وخالفت الكنيسة المصرية فى طبيعة المسيح .

الكنائس الأرثوذكسية الشرقية :

رغم الانفصال المذهبى للكنائس الشرقية عن الكنيسة الغربية تحت مسمى كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية ، بعد رفض قرارات مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٩٦ م إلا أنها خضعت إداريًا للكنيسة الغربية تحت رئاسة بابا روما حتى **الانفصال النهائى عام** ١٠٥٤م . ومن ثم أصبحت الكنائس الأرثودكسية لا تدين بالولاء العقدى للكنائس الغربية التابعة لروما وما ظهر منها من طوائف كاثوليكية وبروتستانتية .

وتصدرت الكنيسة القبطية الأورثوذكسية المرقسية مكانتها فى مصر والحبشة بعد أن سرقت كل تاريخ كنيسة الإسكندرية العتيقة . وتجمدت الأبحاث اللاهوتية على ما كان عليه الأمر فى كنيسة الإسكندرية قبيل مجمع خلقيدونية . فلم نسمع منذ ذلك الحين عن أسماء علماء أجلاء.مثل أوريجن أو كلمنت السكندرى وغيرهم ، ولا يوجد غير التقليد البغيض الذى أطلقوا عليه مسمى **الأمانة** التى زعموا أنهم ورثوها عن أسلافهم .

ثانيا : لغز اللغة القبطية

اللغة المصرية القديمة **كانت لغة واحدة** ، تعرضت للتطور فى طريقة كتابتها . ومع أنها لغة واحدة إلا أنها كانت تُكتب بثلاثة أشكال حسب الاستخدام والأغراض المطلوبة (هيروغليفى ، هيراطيقى ، ديموطيقى) شأنها كشأن سائر اللغات ، فاللغة العربية مثلا مِن أشكال كتابتها نجد (الرقعة والنسخ والثلث والكوفى ...الخ) ولم يقل أحد بأن خط الرقعة لغة أو الخط الكوفى لغة .

يقول العالم الأثرى المصرى سليم حسن فى المجلد الخامس عشر :
" عصر البطالمة .. وهو العصر الذى اصبحت فيه **الديموطيقية**[1] من حيث الكتابة واللغة هى السائدة فى البلاد المصرية بين أفراد الشعب المصرى الأصيل . لدرجة أنَّ ديموطيقية أصبحت تطلق على اللغة المصرية بوجه عام كما تشير إلى ذلك المراسيم التى صدرت فى عهد البطالمة . على أنَّه كان يستعمل بجانبها اللغة الاغريقية التى كانت لغة الشعب المستعمر وقتئذ طوال مدة حكمهم من أول عهد الاسكندر الأكبر حتى نهاية العهد الرومانى " . ثم قال " ولما كان الشعب المصرى الأصيل متمسكا بتقاليده منذ أقدم العهود فانه **استمر فى تدوين كل شئونه باللغة الديموطيقية** ، ولم يحاول قط تعلم اللغة الإغريقية - لغة المحتل - **حتى دخل الإسلام البلاد** " .

وقال رحمه الله فى موضع آخر : " واللغة الديموطيقية هى طريقة من طرق كتابة لغة مصر القديمة . وهى ليست إلا تطورا طبيعيا لها ظهر فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، واستمرت هذه الطريقة جنبا إلى جنب مع الكتابة بالخط الهيروغليفى (الكتابة المقدسة) وهو خط فاخر منمق يتم نقشه على الآثار الضخمة ، كما استمرت مع الخط الهيراطيقى المختصر الذى اختفت منه كل آثار الصور الأصلية فى الكتابة الهيروغليفية ..

---

(١) .. **الكتابة الديموطيقية** كانت النمو الطبيعى **للخط الهيراطيقى** المختصر (الذى يعد بدوره اختصارا **للخط الهيروغليفى** الذى يكتب بالقلم) . والتعبير ديموطيقى فيه الدلالة على الكتابة العامية المتداولة بين أفراد الشعب .
(راجع موسوعة مصر القديمة للعالم الأثرى سليم حسن ج ١١ ص ٢٥٥) .

وتم تخصيص الخط الهيراطيقى لنسخ الكتب المقدسة وما شابهها . فى حين أنَّ الكتابة بالخط الديموطيقى كانت تستعمل للأغراض العادية اليومية مثل كتابة العقود والوثائق القانونية ... " انتهى النقل من الموسوعة [1] .

قلت جمال : وحيث أنَّ فترة الاحتلال اليونانى والرومانى جاوزت الألف سنة تقريبا ، ولم يغيِّر فيها الشعب المصرى لغته إلى أن دخل الإسلام أرض مصر . فترك الشعب المصرى ما كان عليه وتكلم باللغة العربية طواعية خلال خمسة وعشرين عاما فقط فى ظل الإسلام . **فأين ذكر اللغة القبطية وما هو موقعها من الإعراب فى تاريخ مصر ..!؟**

فأقول وبالله أستعين ..

كانت **اللغة اليونانية** هى لغة الحكومة المحتلة لمصر فى العصرين البطلمى والرومانى حتى بداية دخول الإسلام لمصر عام ٦٤١ م . ولم تحاول حكومة المحتل أن تتعلم اللغة المصرية رغم تواجدها لمدة قاربت الألف سنة . ولم يتعلم الشعب المصرى لغة المحتل وتمسك بلغته الديموطيقية . فكيف تم التفاهم بين الطرفين ..!!؟

كان ولا بد من وجود طرف ثالث يتم بواسطته تفاهم الطرف الأول مع الطرف الثانى وليس العكس فكانت القبطية .. وكلمة قبطية فى أصلها يونانية وَصَفَ بها المتكلمون باللسان اليوناني المصريين .. فوضع اليونان اللغة القبطية لتكون الوسيط للتفاهم بينهم وبين المصريين ، وليس العكس أى أنَّ المصريين لم يتكلموها ، فهم ليسوا بحاجة إلى اليونان ولغتهم ، بينما اليونان فى حاجة إلى قمح مصر وخيراتها فلابد من التفاهم مع المصريين .. فقام اليونان والممثلين لحكومة المحتل بنقل أصوات كلمات مصرية وكتبوها بالحرف اليونانى (translitration) ليفهمها المصريين بمجرد سماعها من اليونان ، وكان ذلك فى أواخر القرن الميلادى الأول كمحاولة أولى . وأطلقوا عليها اسم **القبطية الأولى** .

---

(١) .. موسوعة مصر القديمة / سليم حسن (ج ١٥ ص ٥٢٢ ـ ٥٥٥) .

ولما دخلت المسيحية مصر وحاول المبشرون اليونان وآباء كنيسة الإسكندرية أن يُفهموا المصريين تعاليم المسيحية ، لم يكن أمامهم سوى اللجوء إلى **القبطية الأولى** التى صنعها البطالمة ليخاطبوا بها المصريين . فتم تطويرها قليلا فى القرن الرابع الميلادى بإضافة سبع حروف مصرية إلى حروفها اليونانية الثلاث والعشرين حرفا ليتم رفع درجة التباين الصوتى للكلمات لتقترب فى منطوقها من صوت الكلمات التى يتكلمها المصريين .

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ **أساقفة الإسكندرية** آنذاك كانوا أحد اثنين :
إمَّا يونان منحدرين من أصول يونانية تمصرت وأصبحت مصرية بالإقامة .
وإمَّا مصريون تأغرقوا واتخذوا من اليونانية لغة الفكر والثقافة والدراسة لسانا .
وكلاهما كان يمارس اليونانية فكرا ونهجا ولسانا ، ولم يكن أساقفة الكرسى السكندرى وحدهم على هذا النهج ، بل كان الاكليروس المصرى كله على هذه الحال ، وذلك أنَّ الصلوات والقداسات والعظات الكنسية كانت تؤدى باللسان اليونانى ، والمناقشات العقدية وأسلوب الحوار فى المجامع الدينية ليس فى مصر وحدها ، بل فى النصف الشرقى كله من الامبراطورية كان يونانيا .

وظل الأمر يسير على هذا المنوال حتى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م وأقر بوجود طبيعتين فى المسيح .. وحدث الانشقاق المصرى حيث **قبلت كنيسة الإسكندرية** قرارات مجمع خلقيدونية **ورفضه بعض المصريين** تحت زعامة **دسقورس** وأعلنوا الانشقاق على كنيسة الإسكندرية وانتخبوا بطركا لكنيستهم فى السِّر كما أسلفنا الأمر سابقا . ومن ثم فقد أعلن المصريون بأنَّ اليونانية لن يستخدموها فى صلواتهم كنوع من الاحتجاج ، **ولم يكن أمامهم سوى القبطية** التى صنعها اليونان فعملوا بها كنوع من الاحتجاج الثقافى الفكرى على مذهب كنيسة الإسكندرية بخصوص مجمع خلقيدونية . .

ورغم ذلك فلم يتكلم عامة المصريين اللغة القبطية وظلت حبيسة فى جانب رجال الكنيسة المصرية لتكون الواسطة بينهم وبين المصريين . وتدلنا كتابات آباء

كنيسة الإسكندرية على أنهم كانوا يتكلمون ويكتبون باليونانية واللاتينية كلغات أولى عندهم ولم تكن القبطية بذات أهمية كبيرة عندهم .

أمَّا عن الكتابات المسيحية المكتوبة بالقبطية والتى تم اكتشافها فى كل من نجع حمادى والمنيا وغيرها من الأماكن المصرية ، فقد تبرأ منها قسس ورهبان الكنيسة القبطية الحالية ووصفوا كتبتها بأنهم هراطقة كفَّار خرجوا عن المسيحية القويمة ..!! **ولم يكتب آباء** كنيسة الإسكندرية كتبهم وأبحاثهم اللاهوتية بالقبطية . **وتنصل آباء** الكنيسة القبطية من الكتابات المسيحية القبطية التى تم اكتشافها حديثًا مع أنها كتبت فى العصر المعنى بالدراسة أى فى القرن الثالث والرابع الميلادى ..!!

نخرج مما سبق أنَّ اللغة المسماة بالقبطية كانت **لغة مصطنعة** .. صنعها اليونان لتسهيل عملية اتصالهم بالمصريين ، والتبشير بالمسيحية بين المصريين . **ولم تكن فى يوم من الأيام لغة للشعب المصرى .**

ولكن إخوان المواطنة لا يقبلون بذلك القول ويُصِرُّون على أنَّ القبطية كانت لغة مصر يتكلمها جميع المصريين ، ولا دليل عندهم سوى التعصب .. يقول مؤلفا كتاب (تاريخ الأمة القبطية) وهما من المعتدلين قبل أن تصيبهما لعنة جماعة الأمة القبطية : " وبقيت الأمَّة المصرية فى مدة حكم الرومانيين محافظة على لغتها القديمة لا تتكلم إلا بها ولو أنها قد استعاضت فى كتابتها بالخط الهيروغليفى الحروف اليونانية المستعملة الآن "[1] .

قلت جمال : وهذا معناه أنَّ من يعرف القبطية يتمكن من حل شفرة اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية . وهذا القول لم يقل به إنسان عاقل ولا علماء المصريات ، فلم تُحلّ شفرة المصرية القديمة إلا عن طريق حجر رشيد وليس عليه أثر من آثار اللغة القبطية ..!!

---

(١) .. تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية) ص ١٠٢ .

ولقد قال كثير من علماء اللغة القبطية أنها لم تكن بالقطع تطورا أو امتدادا طبيعيا للغة مصر القديمة أو تطورا طبيعيا لطرق كتابتها .. بدليل انعدام القدرة بالعديد من الأبحاث اللغوية على ارجاع اللغة القبطية إلى أصول اللغة المصرية القديمة بكتاباتها الثلاث . ولعدم التمكن من حل شفرة اللغة المصرية القديمة عن طريق اللغة القبطية . ولولا اكتشاف **حجر رشيد** لما تمكن **شامبليون** والعلماء من بعده من حل شفرة اللغة المصرية القديمة . والقارىء يعلم أنَّ حجر رشيد مكتوب بلغتين مصريتين والمقابل لهما باليوناني ولا ذكر فيه للغة القبطية . بمعنى أنَّ تفسير الكتابات المصرية القديمة كان سرا غامضا لمدة قاربت من الألفي سنة على هؤلاء القبط الذين يتمسكون في بعض الأوقات باللفظ قبط و أقباط للدلالة على أصالة جذورهم المصرية ..

إنَّ هذا اللفظ **قبط** و **أقباط** جاء لمصر من خارجها في أسوأ فترة من فترات تاريخها وتم فرضه إسما لشعبها في فترة من فترات تدهورها تحت الإحتلال اليوناني والروماني .. فاللغة القبطية لم تحفظ لمصر تاريخها أو ثقافتها لأنها لم تكن امتدادا أو تطورا طبيعيا للغة شعبها ..

وأجمع المؤرخون أنَّ لغة المجتمعات المسيحية التي بدأت تظهر لأول مرة في مصر في القرن الثالث الميلادي لم تكن سوى اللغة اليونانية .. أي أنَّ تلك المجتمعات المسيحية الناشئة لم تفكر أيضا في تعلم لغة الشعب المصري تقربا منه أو حبا له ولمصلحته ، كما لم تفكر في بذل أي محاولات لتطوير ما أطلقوا عليه مسمى اللغة القبطية لتكون امتدادا للغات مصر القديمة . واقتصر استخدامهم لهذه اللغة المصطنعة في توصيل المسيحية اليونانية وفلسفتها للشعب المصري ..!!

كما لا يوجد أي دليل تاريخي على وجود أعداد مسيحية كبيرة بمصر حتى منتصف القرن الثالث الميلادي ، وبقى العنصر المسيحي في مصر ممثلا في أقلية تتكلم اليونانية حتى بداية القرن الرابع الميلادي . وقد نشأ هذا العنصر اليوناني المسيحي في مصر متصلا بالثقافة الهللينية أي بالفكر والثقافة اليونانية ومتأثرا بها .

وأكبر مثال على ذلك هو أنَّ أهم مجمع مسيحى مهَّد الأمر لظهور الكنيسة القبطية وبين سائر الكنائس وهو مجمع خلقيدونية فى سنة ٤٥١ م حيث كان آباء كنيسة الإسكندرية الممثلين فيه يونانيى اللسان يتكلمون بلغة كنيسة الإسكندرية الأولى والأصلية ألا وهى اليونانية . حتى **ديسقورس** الذى قاطع المجمع وانتسب إليه مسيحيو الكنيسة القبطية فيما بعد كان يونانيا يتكلم اليونانية وليس القبطية ..!!

فالدعوة إلى المسيحية بمصر لم ترتبط بلغة مصر والمصريين ولكن بلغة مصطنعة لا يتكلمها إلا المحتل وكهنته . فبدأ منذ ذلك الوقت ارتباط جزء من تاريخ تلك اللغة الوسيطة المصطنعة بنشاط الدعوة إلى المسيحية .

يقول المؤرخ الأثرى جونسون فى كتابه " النظام المنطوق للغة الديموطيقية (The Demotic Verbal System) أنه لاحظ بعد فحصه لكثير من البرديات المكتوبة باللغة الديموطيقية ، أن هناك فرقا واضحا وكبيرا بين اللغة الديموطيقية وبين اللغة القبطية ، فلم تكن اللغة القبطية نقلا أو نسخا للكتابات الديموطيقية بأبجدية يونانية ، ولكنها كانت نسخا مختزلا لبعض ما ينطقه المصريون من لهجات مختلفة تأثرت كثيرا بلهجات ولغات أجنبية انتقلت إليهم عبر التاريخ الإستعمارى الطويل ونتيجة لإختلاطهم المتكرر بموجات الهجرة السامية المختلفة .

وقال أنَّ العوامل الاجتماعية والاستعمارية **ورغبة المحتل فى تسخير المصريين هى التى خلقت الاحتياج لاصطناع تلك اللغة القبطية** نظرا لصعوبة تعلم اللغة الديموطيقية عليه وعلى الغرباء الجدد من المسيحيين ، وأنه رغم اصطناع هذه اللغة الجديدة ، إلا أنَّ المصريين احتفظوا بلغتهم الديموطيقية وكانت هى لغة الكتابة عندهم . واستمرت كلغة منطوقة عند طبقة المحافظين وعند الطبقة البيروقراطية المصرية حتى الفتح العربى الإسلامى .

ويستمر جونسون بالقول أنَّ اللغة الديموطيقية احتفظت بنقائها وأصالتها إلى حد كبير فى صعيد مصر ، حيث لم يختلط أهله كثيرا بلغة وثقافة

الغرباء والمحتلين ، فى حين أن لغة أهالى الوجه البحرى الدارجة كان يغلب عليها كثرة استخدام الكلمات اليونانية .

ويقول **الدكتور بولس عياد عياد** وهو أستاذ فى قسم دراسة المجتمعات البشرية بجامعة كلورادو : **أنَّ اللغة القبطية لم تُصنع لتكون لغة واحدة منطوقة للشعب المصرى القديم** .. فقد اتضح من دراسة المخطوطات والنقوش القديمة أنَّ اللغة القبطية كانت نَسخاً مختزلا للهجتين رئيسيتين من لهجات الشعب المصرى القديم مكتوبا بالأبجدية اليونانية ، الأولى هى اللهجة الصعيدية الدارجة (Sahidic Dialect) والثانية هى لهجة الوجه البحرى الدارجة (Boheiric Dialect) . وكانت لهجة الوجه البحرى هى اللهجة الدارجة لسكان مدينة الإسكندرية ومدن الدلتا ووادى النطرون .. وتم بتلك اللهجة كتابة تراتيل وأناشيد الكنيسة المصرية التى مازالت تتردد حتى اليوم كطقوس فى الكنيسة المصرية ما عدا ترتيلة (hymn) واحدة . أمَّا لهجة أهالى الصعيد فقد انقسمت بعد ذلك فى اللغة القبطية المصطنعة إلى لهجة صعيدية دارجة من مدينة البهنسة (بمحافظة بنى سويف الحالية) وحتى مدينة أسيوط ، وإلى لهجة فيومية دارجة (Faiyumic) لأهالى الفيوم ، وإلى لهجة أخميمية دارجة لأهالى أخميم .. ثم حلت اللهجة الصعيدية الدارجة محل اللهجة الأخيرة بعد ذلك .. أى أنه يمكن القول فى النهاية **أنَّ اللغة القبطية كانت نسخا مختزلا بالأبجدية اليونانية للهجتين دارجتين أساسيتين للشعب المصرى القديم** .

وأنَّ مدينة الإسكندرية قد فرضت بأغلبية سكانها الناطقين باللغة اليونانية على آباء الكنيسة المصرية ولوقت طويل أن يسجلوا باللغة اليونانية كل ما كتبوه عن اللاهوت وأمور الدين ، وأن يمارسوا طقوسهم كذلك باللغة اليونانية ، إلى أن تم نسخ كل ذلك إلى اللهجات المصرية الدارجة بما يسمى باللغة القبطية بأبجديتها اليونانية مع إضافة سبعة أحرف صوتية من اللغة الديموطيقية .

أى أنَّ اللغة القبطية وبهذا الشكل الذى أوضحناه من قبل ، قد تم اصطناعها خصيصا فى البداية لتحقيق مصالح المحتل الرومانى وأغراضه الإستعمارية ، ثم

استغلها بعد ذلك المبشرون بالدين الجديد وطوروها كوسيلة اتصال بالشعب المصرى تحقيقا لمصلحتهم فى نشر الدعوة .

بما يعنى أنَّ هذه اللغة لم تصنع خصيصا من أجل مصر أو من أجل الحفاظ على تراثها القديم أو على ثقافة وحضارة أهلها منذ فجر التاريخ ، ولم تنشأ تلك اللغة امتدادا أو تطورا طبيعيا للغة مصر القديمة المكتوبة على أوراق البردى والمحفورة على المسلات وكتل الحجارة .

وأخيرا جاء عمرو بن العاص عام ٦٣٩ م فاتحا لمصر فى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، ومعه أربعة آلاف رجل فقط . أكثرهم من الصحابة وحفظة القرآن الكريم . ويقودنا المنطق البسيط إلى أنَّ هذا العدد البسيط من الرجال فى هذا الزمن الذى كان يعتمد فى الأساس على كثرة العدد فى الحروب والقتال ، لا يمكن بأى حال من الأحوال اعتباره جيشا مجيشا جاء إلى مصر للقتال والحرب واستعراض القوة .

وحتى عندما قفلت مدينة الإسكندرية أبوابها فى وجه عمرو بن العاص . وكانت قلعة للمذهب المسيحى الحاكم فى ذلك الوقت ، مفتوحة على البحر دون حصار لم ينقطع عنها المدد والدعم من البيزنطيين ، تركها عمرو بن العاص ولم يقتحمها إلى أن سمع أهلها بسماحة الإسلام والمسلمين ، وأنَّ أساس دعوتهم أن لا إكراه فى الدين . فاطمأنت قلوب أهلها وفتح أسقفها أبوابها للمسلمين فى ٨ نوفمبر عام ٦٤١ م .

ويبقى السؤال الهام جدا والذى يبحث عن إجابة معقولة ..؟؟

إن كانت مصر قد رضخت تحت احتلال قاهر متسلط لأكثر من ألف ومائة سنة إلى أن دخلها الإسلام عام ٦٤١ م ، وتعرضت خلال هذا الزمن الطويل لضغوط قاسية ومحاولات عديدة لفرض ثقافة البطالمة الهللينية ولغتهم اليونانية ، ثم تعرضت للابتزاز والقهر والهوان وسوء المعاملة تحت الحكم الرومانى والبيزنطى . وتعرض مسيحيوها إلى قهر إخوانهم فى الدين أقصد قهر آباء كنيسة الإسكندرية ..

وكانت اللغة اليونانية هى لغة البلاد الرسمية المفروضة على مصر خلال كل هذا الزمن ولأكثر من ألف سنة متصلة . ومع ذلك كله صمد الشعب المصرى الأصيل ولم يستخدم اللغة اليونانية وأبجديتها كما استخدمها المسيحيون الجدد . واحتفظ بلغته وسجل بها وبأبجديتها كل شؤونه حتى دخل الإسلام البلاد ..

فما هى المعجزة التى جعلت الشعب المصرى يتخلى عن لغته وأبجديته وينطق لغة القرآن ويكتب بالأبجدية العربية وتُعَرَّب الطقوس المسيحية والصلوات . حتى أنَّ مؤرخيهم وكتابهم كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية وتسموا بأسماء عربية أمثال سعيد بن البطريق وابن بكر وأولاد العسال وغيرهم ..!!؟

من الغباء أن يقول البعض أنه بسبب قهر المسلمين العرب لهم .. لقد تعرض المصريون من قبل لظلم وقهر لاحدود لهما أكثر من ألف عام متصلة وتمسكوا بلغتهم وبأبجديتها .. **إنه سؤال** يحتاج إلى باحث متخصص ومحايد يعيد قراءة التاريخ من جديد فقد تعرض للأسف تاريخ مصر وتاريخ الإسلام فيها إلى كثير من الحقد والتزييف والتشويش ، ومازالت الحملات المسعورة ضد التاريخ المصرى مستمرة . نحتاج **لباحثين مصريين** وليس إلى باحثين أقباط ليقولوا لنا الحقيقة تحت شعار الأمانة العلمية وحب مصر .

قلت جمال : تلك قراءة سريعة وملخص مركز حول ما يُسمى باللغة القبطية والأقباط ، والحملة المسعورة من أتباع الكنيسة القبطية ضد الإسلام والمسلمين المصريين [1] .

---

(١) .. تم جمعه وتصويبه من عدة كتب ومراجع من أهمها موسوعة **سليم حسن** ، وبحث رائع من **المهندس عاطف هلال** منشور على شبكة المعلومات الدولية فله من الله ما يستحق بما أدى لخدمة مصرنا الحبيبة . وإن كان بمقالته خلط شديد ومفاهيم خاطئة عن مسيحى مصر وكنيسة الإسكندرية حيث لم يفرق بين الكنيستين القبطية والإسكندرانية ويفصل بين عقيدتيهما ، وهو معذور فليس من المتخصصين فى البحث عن المسيحية وكنائسها . فأصلحت ما تم اصلاحه من المهمات وتركت الهيّنات . فله منى الشكر والإعتذار **لما نقلت عنه** بعد إصلاح الخلل وما قمت به من تحرير المصطلحات . **وله الفضل والسبق فى الفكرة** .
والموضوع يحتاج إلى كتاب كامل شامل واف عن القبط والأقباط واللغة القبطية والتاريخ القبطى المزعوم . ربما إن كان فى العمر بقية قمت بذلك العمل بإذن الله تعالى . وإن كانت الأخرى فهى أمانة أمام الباحثين المصريين ليكتبوا ذلك الكتاب ويُبيّنوا للناس الحقيقة .

وقبل الختام أشير بلمحة سريعة إلى ضياع الهوية المصرية عند مَن يلبسون قناع القبطية .. فالمصرى مصرى الجنسية مهما كانت ديانته .. فلم تُغيِّر عقيدته الدينية جنسيته ، فلا المسيحية ولا الإسلام غيرا من جنسيته فهو دائما مصرى الجنسية وإن اعتز بديانته مهما كانت ..

أنظروا مثلا لأسماء المصريين تجد فيهم نجيب وفهيم وبرعى وبيومى ونظير ونصيف وعماد وجمال و ... الخ . وتلك أسماء مصرية لا تحوى بين طياتها ديانة أصحابها فمنها المسلم ومنها المسيحى على السواء ، ولكن عندما يلتحق بعض إخوان المواطنة بالسلك الكهنوتى القبطى تتغير الأسماء مباشرة إلى أسماء يونانية **كأنَّ مسيحية الأقباط حكر على اليونان .**

فبنظرة سريعة إلى أسماء القسس والرهبان الأقباط الحاليين نجدها يونانية بينما أسماء إخوانهم من القسس الإنجيليين المصريين تظل كما هى صفوت ورضا وعدلى وصموئيل ..!! فلماذ يتغير اسم نفس الشخص ثلاث مرات من **نظير** إلى **أنطونيوس** ثم إلى **شنودة** ..!!؟ فالأول مصرى عادى لا غبار عليه ، أمَّا الثانى فهو يونانى عريق تلبس به عندما صار راهبا . والثالث قبطى اللغة معناه المُخبر عن الإله أى بمعنى النبىّ الذى يُكلِّمُ المصريين باللغة المُصَنَّعَة إيَّاها ..!!

ومن أمثلة ضياع الهوية عند المسيحيين الأقباط الولع الشديد بأسماء الفراعنة مثل **رمسيس** و **مينا** و **إيزيس** وغيرهم .. كأنَّ هذه الأسماء تجعلهم مصريين وفى الحقيقة أنها تدل على ضياع الهوية والدين معا ، لأنهم لبسوا قناع المستعمر اليونانى وقالوا بقولته للمصريين أنهم قبط وأقباط ..!!
ومنهم من تضيع هويته فى خضم الأسماء الأجنبية مثل **موريس** و **لويس** ويترك الأسماء المصرية **عويس** و **عتريس** ..!! فلا هو مصرى ولا هو أوروبى ..!!

فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون

كنيسة المسيح ﷺ والصخرة

نظرا لتعدد الكنائس ولقول كل كنيسة بأنها كنيسة المسيح ، فمن الواجب أن أبيِّن للقارىء أين كنيسة المسيح التى أراد أن يبنيها على الحجر الذى رفضه البناؤون . ولم يُعط لأتباعها اسما معينا لا مسيحيين ولا نصارى ولا غيرها من أسماء وُجِدت فيما بعد . وإنما أعطى اسما مُحَدَّدا لكنيسته .

فبيَّن المسيح ﷺ الاسم الحقيقى لكنيسته التى كان يود أن يبنيها فقال ﷺ حسب نصّ إنجيل مرقس (١١ : ١٧) " **أما كتب أنَّ بيتى بيتا للصلاة يُدْعى عند جميع الأمم** " . فاسمها عند جميع الأمم " **بيت للصلاة** " أى **مسجدا** وليس كنيسة العربية ولا إكلسيا اليونانية ولا تشيرش الإنجليزية ، فلا يوجد معنى **بيت للصلاة** فى تلك الكلمات .

فالغرض الأساسى من كنيسة المسيح هو أن تكون **بيتا للصلاة فقط** . ولا يوجد فى العربية كلمة تشير إلى ذلك المعنى إلا كلمة **مسجد** . ولذلك عبر الإنجيلى اليونانى مرقس مترجما الكلمة الآرامية التى نطقها المسيح بلسان قومه إلى كلمة (οικος) اليونانية والتى تنطق أويكس (oy'-kos) ورقمها (٣٦٢٤) فى القواميس الكتابية وهى فى اليونانية بمعنى معبدا أو بيتا للعبادة . ولم يقل مرقس إكلسيا (εκκλησιαν) أى الكلمة اليونانية التى بمعنى كنيسة ..
فهل فهمنا الفرق ..!!؟

أمَّا عن **المسجد** الإسلامى فهو فى أصل معناه **بيت للصلاة يُدْعَى** . فكلمة السجود ـ والتى هى أهم مَعْلم يشير إلى الصلاة ـ توجد فى الاسم مسجد . وتلك إشارة إلى أهم شيء فى العبادة وهى الصلاة ، ذلك المعنى الذى نفتقده فى كلمة كنيسة أو فى جميع مرادفاتها فى لغات العالم المختلفة . وأقرب مرادف فى اليونانية لكلمة مسجد العربية هو كلمة (أويكس οικος) التى ذكرها الإنجيلى مرقس أول كتبة الأناجيل تدوينا . والكنيسة ليست ترجمة لكلمة أويكس باتفاق .

ونشاهد ذلك المعنى التقريرى من رسول الإسلام ﷺ حين بيَّن لصحابته أنَّ المعنى الصحيح لكلمة **كنيسة** هو كلمة **مسجد** . وذلك فى الحديث الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه (ج ٢ / ص ٢١٤) عَنْ عَائِشَةَ أنَّ أمَّ سَلَمَةَ ذكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ **كَنِيسَةً** رَأتْهَا بأرْض الحَبَشَةِ يُقَالُ لهَا مَارِيَةُ فذكَرَتْ لهُ مَا رَأتْ فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ " أولئِكَ قوْمٌ إذا مَاتَ فِيهِمْ العَبْدُ الصَّالِحُ أوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قبْرِهِ **مَسْجِدًا** وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أولئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ " . فقالت أم سلمة **كنيسة** وصحح لها النبىّ العربىّ الأمّىّ ﷺ القول وقال لها **مسجد** [1] . فهل كان النبىّ ﷺ يعرف اليونانية - وهو الأمّىّ - حتى يُصحح الترجمة أم عن طريق الوحى تكلم ..!!؟

فالمسيح عليه السلام كان يتكلم عن بيت للصلاة أى مسجدا .. وتكلم نبىّ الإسلام عن المسجد ، وكان أول شىء فعله عقب الهجرة إلى المدينة مباشرة هو بناء المسجد . فلنحفظ ذلك المعنى جيدا لحين الكلام عن نص إنجيل متى التالى .

فإذا جئنا إلى إنجيل متى الذى أخذ عن مرقس ونقل عنه ، لنتعرف على تحريف كلمة **مسجد** التى تشير إلى بيت الصلاة الذى كان المسيح يَوَدُّ أن يبنيه أثناء بعثته .. **فقال المسيح** عليه السلام فيما رواه متى فى إنجيله (١٦ : ١٨) من قول المسيح لبطرس كبير تلاميذه :

" وَأنَا أقُولُ لَكَ أيْضاً : أنْتَ ... [**بُطْرُسُ**] ...
وَعَلَى هَذِهِ ... [**الصَّخْرَةِ**] ... أبْنِي .... [**كَنِيسَتِي**] ...
وَأبْوَابُ الجَحِيمِ لنْ تَقْوَى عَلَيْهَا " .

ثلاث كلمات **بُطْرُسُ** (πετρος) ؛ **الصَّخْرَةِ** (πετρα) ؛ **كَنِيسَتِي** (εκκλησιαν) بُنِىَ عليهم مفهوم النص الإنجيلىّ ..

---

(١) .. لقد كان نبىّ الإسلام ﷺ قرآنا يمشى على الأرض .. نلاحظ ذلك من قصة أصحاب الكهف والرقيم التى ذكرها الله تعالى فى قرآنه إلى ذلك المعنى فى قوله تعالى حكاية عن القوم الذين بُعث فيهم الفتية " أصحاب الكهف والرقيم " ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴾ . وقد ثبت لى بالدليل القاطع أن هؤلاء القوم كانوا من نصارى العرب (راجع التفصيل فى كتابى أصحاب الكهف والرقيم) .

كيف نفهم ذلك النصّ وتلك المقولة التى فسَّروها تفسيرا مُضْحِكا ..!؟

فماذا قال المسيح عن تلميذه ..!؟

وماذا قال عن البيت الذى يريد بناءه ..!؟

وماذا قال عن نفسه ..!؟

وما معنى الكلمة اليونانية التى ترجموها إلى كنيسة ..!؟

ومفتاح الإجابة نجده مفقودا بين شيئين :

- بين [**بُطْرُسُ**] و [**الصَّخْرَةِ**] ، لأنَّ بطرس معناه حجر ، أى أن نصف الإجابة متوقف على التفرقة بين **الحجر** و **الصخرة** .. وللقارىء أن يقول إنَّ أهم جزء فى الإجابة مرهون على معرفة مَا هى هذه **الصخرة** ..!!

- ونصف الإجابة الثانى متوقف على التفرقة بين كلمة بيت الصلاة (أويكس οικος) وبين كلمة (إكلسيا εκκλησιαν) التى لا تفيد أى معنى من معانى العبادة - وخاصة الصلاة - والتى ترجموها إلى كنيسة بالعربية .

لقد غابت الاجابة عن المسيحيين ألفى سنة بقولهم أنَّ الصخرة هى بطرس ..!! وأنَّ بيت الصلاة هو الكنيسة ..!!

هناك أشياء هامة لا بد من معرفتها والتفريق بين بطرس والصخرة وبين بيت الصلاة والكنيسة .. وما معنى كلمة كنيسة بلغة المسيح إن أردنا أن يكون معناها بيتا للصلاة ..!؟ ومَن هو الذى قام ببناء ذلك البيت (علما بأنَّ المسيح قال سوف **أبنى** ولم يقل **بنيت**) ..!؟ ولم يبن المسيح الكنيسة ولا بيت الصلاة أيام بعثته .

تلك حقيقة لا بد من اجلائها للقارىء وعدم نسيانها . لأنَّ الكثيرين من إخوان المواطنة يقولون هذه كنيستى وتلك ليست كنيستى ، مع تعدد الكنائس والمنتمين إليها ، وقد سبق بيان المعنى الأصلى لكلمة كنيسة فى اليونانية بأنها بمثابة " مجلس الشعب " الذى تتخذ فيه تشريعات البلاد وقوانينها .. ولا يزال قول إخوان المواطنة وقسيسيهم يتردد بيننا " **شعب الكنيسة** " ..!!

هل يستطيع مسلم أن يقول عن بيت من بيوت الله " هذا بيتى " ..!؟ أو أن يقول شيخ عن المصلين بالمساجد هؤلاء شعب المسجد ..!!؟
هل وصلت الفكرة للقارىء ..!؟ انفصال تام عن أهل البلد ..!!

لقد اختلط معنى بيت الصلاة مع البيت الذى تتخذ فيه القرارات وتسن فيه تشريعات الشعب ..!! ألم يقل المسيح فى إنجيل مرقس : " أنَّ بيتى **بيتا للصلاة** يُدْعى عند جميع الأمم " فقال بيتا للصلاة ولم يقل مجلس شعب أو مجلس شورى أو حتى كنيست كما فى إسرائيل ..!! وقد سبق بيان أنَّ كلمة كنيسة فى اليونانية بمعنى مجلس الشعب أو اسم لأى مجلس آخر تتخذ فيه القوانين والتشريعات .

فالنصّ الإنجيلى يقول أنَّ المسيح هو الذى سيبنى الكنيسة وأنَّ الكنيسة كنيسته **هو** لا كنيسة غيره . والكنيسة هنا تُدعى بيتا للصلاة كما بيَّن المسيح . ولن يبنى ذلك البيت ـ أى المسجد ـ على رمال أو تربة طينية وإنما سيبنى على صخرة صماء ، صخرة إيمان قوى ، فما هى تلك الصخرة الإيمانية ..!؟

يقول المسيحيون سريعا وبدون تفكير .. الصخرة هى **بطرس** .
فالبانِى عندهم هو المسيح و**المَبْنَى** هو الكنيسة و**المَبنِىّ عليه** هو بطرس ..!!
كيف يستخرجون ذلك المعنى المضحك من عبارة المسيح " أَنتَ بُطرُسُ . وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِى كَنِيسَتِى وَأَبْوَابُ الجَحِيمِ لنْ تَقْوَى عَلَيْهَا " ..!!؟

فهل الصخرة التى ستقام عليها الكنيسة هى بطرس ..!!؟ وهل قال المسيح أنت بطرس و**عليك** سأبنى كنيستى ..!!؟
وعلى ذلك المفهوم الخاطىء ظهر بابوات الفاتيكان وكل منهم يَدعو نفسه **فيكار بطرس** أى المتحدث الرسمى عن بطرس أو نائب بطرس . ثم تحول اللقب فيما بعد إلى **فيكار المسيح** أى نائب المسيح على الأرض أى الممثل الرسمى والمتحدث باسمه ..!! وهنا نجدهم يتكلمون عن الكنيسة بأنها جسد المسيح على الأرض ..!!

ومِن ثَمَّ فقد تحول المعنى عندهم بدلا مِن بناء الكنيسة على شخص بطرس (الحجر) إلى بناء الكنيسة على إيمان بطرس (الحجر) ، ثم إلى الإيمان القويم

الجامع الذى كان عليه بطرس (الحجر) . ومن ذلك المعنى المستخرج قالوا بالكنيسة الجامعة أى الكنيسة الكاثوليكية ، فكلمة كاثوليك معناها الجامعة ..!!

وإلى القارىء قول الكاثوليك أثناء شرحهم لتلك الفقرة الإنجيلية كما جاء فى (*A Brief Catechism for Adults* by William J. Cogan) :

" What did Jesus do to make sure His Church would always be united ? He put one man in complete charge of His Church . Who has complete charge of the Church ? The Pope , who is the bishop of Rome and the Vicar (agent) of Christ on earth. Who is the Pope ? The Pope is the visible head of the whole Catholic Church . Who was the first Pope ? St. Peter , who was made Pope by Jesus Christ Himself . When did Jesus promise to make Peter the Pope ? Several months before He died . " *Thou art Peter , and upon this rock I will build my Church* " (Matthew 16:18) .

فهل انتهى تفويض المسيح لبطرس ـ بعد موت بطرس فى روما ـ حسب ذلك المفهوم الخاطىء..!؟ لا .. لا .. لم ينته التفويض حسب قولهم . فقد انتقل تفويض المسيح لبطرس إلى بابوات الفاتيكان من بعده . فتقلد الأمر رجل منهم يُدعى لينوس ومِن بعده جاء كليتوس ثم جاء كليمنت الرومانى ثم إلى آخَر وآخر .. وهكذا لمدة ألفى سنة مضت ..!!

وعلى ذلك فالكاثوليك يؤمنون بأنّ بطرس هو البابا الأول وهو الصخرة التى أقيمت عليها الكنيسة [1] ..!!

---

(١) .. تمت الاستفادة هنا من الكتاب الالكترونى :
A Brief Catechism for Adults by William J. Cogan, p. 60.

وحقيقة الأمر أنَّ المسيح لم يعيِّن بطرس ولا غيره ليكون بدلا عنه أو ممثلا له على الأرض .. لقد حَدَّدَ المسيح وبيَّن جيدا مَن سيأتى بعده وله تكون الطاعة فقال عليه السلام كما فى إنجيل يوحنا " لَكِنِّى أَقُولُ لَكُمُ الحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ المُعَزِّى وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ . وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ العَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ . أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِى . وَأَمَّا عَلَى بِرٍّ فَلأَنِّى ذَاهِبٌ إِلَى أَبِى وَلاَ تَرَوْنَنِى أَيْضاً . أَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هَذَا العَالَمِ قَدْ دِينَ . إِنَّ لِى أُمُوراً كَثِيرَةً أَيْضاً لأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ . وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ . ذَاكَ يُمَجِّدُنِى لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِى وَيُخْبِرُكُمْ كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِى . لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِى وَيُخْبِرُكُمْ . بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ تُبْصِرُونَنِى ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً تَرَوْنَنِى لأَنِّى ذَاهِبٌ إِلَى الآبِ " (إنجيل يوحنا ١٦ : ٧ ـ ١٦) .

وقال عليه السلام أيضا " وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ . رُوحُ الحَقِّ الَّذِى لاَ يَسْتَطِيعُ العَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ " (يوحنا ١٤ : ١٦ ـ ١٨) .

لقد اختار المسيح **البارقليط** روح الحق . وقال بارقليط **آخر** مثل المسيح ولم يقل بطرس ، ولم يوصف بطرس فى أى موضع من الكتاب بأنه بارقليط أو روح الحق أو حتى معزيا ليتمم رسالة المسيح ويقول لهم الحق كله ..!!

ومن قول بولس فى (أفسس ١ : ٢٠ ـ ٢٢ ؛ كولوسى ١ : ١٨) نسأل القارىء المسيحىّ : مَن هو رأس الكنيسة ..!!؟ هل هو بطرس ..!!؟
ومن قول بولس فى أفسس (٤ : ٥) كم هناك من أرباب بالكنيسة ..!!؟ فالكنيسة ليس لها إلا رب واحد . هو بانيها فكيف نوفق القول ونفهمه ..!!؟

ونلتزم بقول المسيح بألا نقول **بابا** لأى أحد على الأرض إلا للأب الوالد حقيقة . فقد نهاهم المسيح عن قولهم **بابا** بمفهومها المجازى لغير الآب الذى فى

السماء فقال لهم : " **وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أباً عَلَى الأَرْضِ لأَنَّ أبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِى فِى السَّمَاوَاتِ** " (متى ٢٣ : ٩) .

والأدهى والأمَرّ أنهم يقولون **قداسة البابا** وذلك وصف لا يقال إلا لله تعالى . انظروا إلى قول المسيح وهو يناجي ربَّهُ " **أيُّهَا الآبُ القُدُّوسُ** احْفَظْهُمْ فِى اسْمِكَ الذى أَعْطَيْتَنِى " (يوحنا ١٧ : ١١) . فقولهم **قداسة البابا** هو هو معنى **الآب القدوس** بدون فرق .. فهل أنتم منتهون يا إخوتى فى المواطنة ..!!؟

وبعد تلك الجولة نعود إلى سؤالنا مَن تكون تلك الصخرة التى سيبنى عليها **المسجد** (بعد تصحيح الترجمة) ..!!؟

لقد صرفهم بولس عن الصخرة الحقيقية بقولته الصوفية " وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَاباً وَاحِداً رُوحِيّاً ، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ **صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ** تَابِعَتِهِمْ **وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ المَسِيحَ** " (١ كورنثوس ١٠ : ٤) . وقال : " **وَيَسُوعُ المَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ** " (أفسس ٢ : ٢٠) . فهل بنى المسيح مسجده ـ الذى كان يَوَدُّ بناءه ـ على نفسه ..!!؟

لقد قال المسيح لهم " أمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِى الكُتُبِ : **الحَجَرُ الَّذِى رَفَضَهُ البَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأسَ الزَّاوِيَةِ** . مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِى أعْيُنِنَا " (متى ٢١ : ٤٢) . وحتى بطرس نفى عن نفسه أن يكون هو الصخرة فقال " وَأمَّا لِلَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ **فَالْحَجَرُ الَّذِى رَفَضَهُ البَنَّاؤُونَ** هُوَ قَدْ صَارَ رَأسَ الزَّاوِيَةِ " (١ بطرس ٢ : ٧) . فالحجر أو الصخرة التى سيقام عليها بيت الصلاة ليس المسيح أو حتى بطرس ، وإنما هو الحجر الذى رفضه البناؤون ..!!

لقد تلاعب كاتب إنجيل متى فى الفقرة (١٦ : ١٨) بكلمتين يونانيتين هما (**بتروس** πετρος) كاسم علم للتلميذ سِمْعَان و كلمة (**بترا** πετρα) كاسم للصخرة .. مع العلم بأنَّ المسيح عليه السلام لم يتكلم اليونانية حتى يقول (**بتروس** πετρος) أو (**بترا** πετρα) .

وكلمة **بتروس** .. معناها حجر ، والحجر قطعة من صخرة . والحجر قطعة صغيرة أو كبيرة تحمل وتنقل من مكان لآخر خلاف الصخرة الثابتة فى مكانها .

و **بترا** .. معناها صخرة كبيرة ثابتة . هذا هو الفرق بين الكلمتين . وبيت الصلاة سيبنى على **صخرة** ثابتة وليس على **حجر** متنقل .

والمسيح لم يقم ببناء بيت للصلاة فى حياته وأثناء بعثته ولكنه قال **سأبنى** وبيَّن الصخرة بقوله إنها هى " **الْحَجَرُ الَّذِى رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ** " . إنه حجر فى بناء قوم المسيح ﷺ من بنى إسرائيل وليس بحجر يونانىّ . أى أنه حجر فى المبنى الذى أقامه أنبياء بنى إسرائيل . إنه حجر الزاوية ورأسها ، الحجر الذى رفضه بنو إسرائيل ، الحجر الذى به تكتمل رسالات الله إلى الناس . إنه نبىّ رفضه بنو إسرائيل ..!!

ولنسمع أقوال المسيح ﷺ بالتفصيل فى تلك القضية كما ذكرها الإنجيلى متى فى **مَثَل الكرامين** القتلة الذى ضربه المسيح ﷺ لقومه من بنى إسرائيل (٢١ : ٣٣ ـ ٤٤) من نسخة الآباء اليسوعيين العربية : قال المسيح ﷺ مخاطبا أحبار اليهود : " اسمعوا مثلا آخر : غرس رب بيت كرما . وسيَّجَه وحفر فيه معصرة وبنى بُرْجا وآجره بعض الكرامين ثم سافر . فلما حان وقت الثمر ، أرسل خدمه إلى الكرامين ليأخذوا ثمره . فأمسك الكرامون خدمه فضربوا أحدهم وقتلوا غيره ورجموا الآخر . فأرسل أيضا خدما آخرين أكثر عددا من الأولين ففعلوا بهم مثل ذلك . فأرسل إليهم ابنه آخر الأمر وقال : سيهابون ابنى . فلما رأى الكرامون الابن قال بعضهم لبعض هو ذا الوارث . هلمَّ نقتله ونأخذ ميراثه . فأمسكوه وألقوه فى خارج الكرم وقتلوه . فماذا يفعل رب الكرم بأولئك الكرامين عند عودته ..؟

قالوا له : يهلك هؤلاء الأشرار شر هلاك ويؤجر الكرم كرامين آخرين يؤدون إليه الثمر فى وقته . قال لهم يسوع : أمَا قرأتم قط فى الكتب : " **الحجر الذى رذله البناؤون هو الذى صار رأس الزاوية** . من عند الرب كان ذلك وهو عَجَبٌ فى أعيننا . **لذلك أقول لكم : إنَّ ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمَّة تثمر ثمره . من وقع على هذا الحجر تهشم ، ومن وقع عليه هذا الحجر حطمه** " . فلما سمع عظماء الكهنة والفريسيون أمثاله أدركوا أنه يُعَرِّضَ بهم فى كلامه فحاولوا أن يُمْسكوه ولكنهم خافوا الجموع لأنهم كانوا يعدونه نبيا " .

قلت جمال : نجد فى هذا المثل الرائع أنَّ صاحب هذا الكرم هو الله سبحانه وتعالى ، وأنَّ معنى **ملكوت الله هنا هو دين الله** . قد شبه بهذا الكرم المجهز بكل ما يلزم للانتفاع به . وأنَّ هذا الكرم ـ الذى هو دين الله ـ قد أحيط بسياج من أحكام الشريعة وحدودها . والكرامون هنا هم بنو إسرائيل ، وعلى رأسهم الأحبار والرؤساء الذين استحفظوا على دين الله ووصاياه (١) . وأنَّ عبيد صاحب الكرم هم الأنبياء . وأنَّ ابن صاحب الكرم كناية عن المسيح ﷺ (٢) .

لقد مكث بنوإسرائيل مدة طويلة متمتعين بنعم الله عليهم التى لا تحصى ولا تعد . ومن أهمها إكرامهم بدين الله المنزل على موسى ﷺ واختصاصهم بالأفضلية على العالمين ، ولكنهم انحرفوا عن الطريق القويم وقالوا بأنهم أبناء الله وأحباؤه . فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم الأنبياء تترى ليعيدوهم إلى حظيرة الايمان الحق " فجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا " .

وأُشربت قلوبهم بالعصيان والجحود وظنوا أنهم الأوصياء على الدين بما استحفظوا فخانوا وغدروا كما قال بولس : " واستؤمنوا على كلام الله ووصاياه " (رومية ٣ : ٢) . فأرسل الله إليهم خاتمة أنبيائهم المسيح عيسى ابن مريم ﷺ فكفروا به وهموا به كما فعلوا بالأنبياء السابقين . وهنا نجد أنَّ المسيح ﷺ أقام الحجة على أحبار اليهود من قولهم حين ألزمهم بقوله " فماذا يفعل صاحب الكرم مع هؤلاء الكرامين ..!؟

فأجابوه : يهلكهم هلاكا ثم يعطى الكرم إلى كرامين آخرين . فألزمهم بقولهم الذى قالوه : " **لذلك أقول لكم إنَّ ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمَّة تعمل أثماره** " . فواجههم عليه السلام بحقيقة المثل المضروب فى حقهم . إنَّ ملكوت الله وكل امتيازاته لكم سوف تنزع منكم وتعطى لأمَّة أخرى .

---

(١) .. يقول بولس فى رسالته الرومية (٣ : ٢) : " لأنهم استؤمنوا على أقوال الله فخانوا وغدروا " .

(٢) .. يقول ديفد هل (David Hill) فى شرحه لإنجيل متى ما ترجمته : " أنَّ الكنيسة الأولى قد اعتبرت الابن فى هذا المثل هو المسيح لكن الرأى الاقتراحى الأصلى فى المثل أن الابن يمثل ببساطة آخر رسل الله إليهم " (تفسير القرن العشرين ـ إنجيل متى ص ٢٩٩) .

قلت جمال : وتلك شهادة نعتز بها نحن المسلمين . فالمسيح ﷺ كان حقا آخر رسل الله إليهم كما نؤمن به .

ورغم وضوح المعنى لقومه من بنى إسرائيل إلا أنَّ الأتباع المسيحيين لا يفهمون ذلك المثل لسيطرة التقاليد الكنسية على العقول والقلوب .
" **إنَّ ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمَّة تثمر ثمره** " والملكوت هنا هو دين الله ورسالته إليهم . وهم يعلمون جيدا أنَّ هذه الأمَّة هى المذكورة فى سفرى التثنية (٣٢ : ٢١) وفى أشعيا (٦٥ : ١) .

ولكنهم هنا فى ذلك الموضع يفسرون الأمَّة بالأمم بصيغة الجمع ..!! ولا يُفسِّرون معنى الملكوت لأنَّ المُلك والسلطان الذى قالوا به لم يكن مع بنى إسرائيل حتى يُنزع منهم ..!! يقول متى هنرى فى شرحه لهذه الفقرة ما نصه : " (ويعطى لأمَّة) أى للعالم الأممى . (تعمل أثماره) أولئك الذين لم يكونوا شعبا ، وكانوا غير مرحومين أصبحوا أعزاء السماء .." [1] .
قلت : ولكن قوله أولئك الذين لم يكونوا شعبا يفضحه ويدل على أنه يتكلم عن الأمَّة الأمِّية الجاهلة ..!!

وهناك من يتقيد منهم بالمعنى الحرفى ولا يريد أن يفهم مثل الذى قال فى معنى قول المسيح ﷺ لأمَّة تؤدى ثمرا " لا نقصد هنا الأمم أى الوثنيين . بل مجموعة تشبه الأمَّة المقدسة التى ورد ذكرها فى خروج (١٩ : ٦) . وسيسلم ملكوت الله بعد اليوم إلى أمَّة مقدسة جديدة هى الكنيسة " [2] ..!!

قلت جمال : ومنذ متى كانت الكنيسة أمَّة ..!؟ وإن كانت جدلا أمَّة فأى الكنائس يقصد ..!؟ وهل يعترفون بأنَّ الكنيسة هى أمَّة الحمقى عديمة الفهم المنزوعة البصيرة كما وردت صفاتها فى سفر التثنية (٣٢ : ٢١) ..!؟
لقد استؤمن اليهود على أقوال الله فخانوا وغدروا (رومية ٣ : ٢) . فانتهت وكالتهم وامتيازاتهم ، وانتقلت النبوة والرسالة إلى أمَّة العرب . لتكون هى حاملة لكلام الله وكتابه الكريم .

---

(١) .. شرح إنجيل متى / ترجمة القمص مرقس داود ج٢ ص ٢٣٦ .
(٢) .. دراسة فى الإنجيل كما رواه متى ص ٦٣ للأب اسطفان شربنيية .

جاء فى التفسير الحديث لجمهرة من دكاترة القسيسين : " أنَّ مجال عمل الله الخلاصى لم يعد فى نطاق أمَّة إسرائيل ، **بل فى أمَّة أخرى** . وليس المقصود هنا الأمم لأنَّ هذا يستلزم استخدام الجمع (ethnesin) وليس الفرد (ethnei) " [1] .

قلت : وهكذا لن تجد اتفاقا بين أقوالهم لأنها كلها تلفيق وتكذيب . وكما نقول فى المثل الشعبى (الكدب مالوش رجلين) ..!!

فإن أوقعنا الاسقاط التاريخى على الواقع الملموس والمشاهَد ، سوف نجد هذه الأمَّة واضحة جلية بدون تدخلات كنسية عفى عليها الزمان . إنها البركة الإلهية الممنوحة لاسماعيل وذريته . والتى تحققت فى أجل صورها بالبعثة الإسلامية وظهور النبىّ الإسماعيلى ﷺ .

جاء فى سفر التكوين (١٧ : ٢٠) قول الله لإبراهيم ﷺ " **وأمَّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمَّة كبيرة** " . وقال أيضا فى التكوين (٢١ : ١٣) " **وابن الجارية أيضا سأجعله أمَّة لأنه من نسلك** " . وفى التكوين (٢١ : ١٨) " **سأجعله أمَّة عظيمة** " .

وكثر نسل إسماعيل وكونوا قبائل متفرقة سكنت فى أرض شبه الجزيرة العربية وكونوا ما يشبه الشعب وما هو بشعب ، ولم يصيروا أمَّة واحدة أبدا إلا من بعد ظهور الإسلام . فكانت الأمَّة الكبيرة التى استأجرها الله على كرمه وزرعه يؤدون ثمره يوم حصاده ﴿ **ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه . يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ (٢٩ / الفتح) .

وأمَّا عن قول المسيح ﷺ للأحبار " أمَا قرأتم قط فى الكتب : **الحجر الذى رفضه البناؤن هو الذى صار رأس الزاوية** . من عند الرب كان ذلك وهو عجب

(١) .. التفسير الحديث / إنجيل متى ص ٣٤٤ .

فى أعيننا " . فإنه يحيلنا إلى سفر المزامير (١١٨ : ٢٢ - ٢٤) لنجد النصّ فيه والذى منه استمد المسيح عليه السلام قوله لهم بنزع الملكوت منهم وإعطائه لتلك الأمَّة .

والمسيح عليه السلام يذكرهم هنا بما هو مكتوب عندهم . فأنبياء بنى إسرائيل شُبِّهُو بأحجار استخدمت فى بناء بيت . وأنَّ البنائين اليهود قد رفضوا حجرا معينا لم يضعوه فى مكانه من البناء . ولكن ذلك الحجر هو الذى صار رأس الزاوية فى البنيان . وهذا الحجر المرفوض هو النبىّ المنتظر من نسل إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهم . شبيه موسى عليه السلام والذى هو من إخوتهم من العرب .

جاء فى سفر التثنية (١٨ : ١٨) من النسخة العبرانية : " أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به " . وجاء أيضا فى سفر التثنية (٣٤ : ١٠) ما يفيد بأنَّ ذلك النبىّ **لم يأت ولن يأت** من بنى إسرائيل . ومنعا لسوء الفهم أذكر هنا النصّ من النسختين العبرانية والسامرية . ففى العبرانية : " **ولم يقم** بعد نبىّ فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه " . وفى السامرية : " **ولا يقوم** أيضا نبىّ فى إسرائيل كموسى الذى ناجاه إلهه شفاها " .

ذلك هو النبىّ الذى رفضه بنو إسرائيل . إنه **حجر الزاوية** الذى تختم به النبوة وتتم به رسالات السماء . والغريب فى الأمر أنَّ علماء المسيحية يقولون بأنَّ المسيح هو ذلك النبىّ ، مع أنهم يرفضون نبوته عليه السلام ..!!

كما أنَّ النصّ التوراتى يصرح بأنه لن يكون من بنى إسرائيل . والمسيح يقول معلقا على ذلك بقوله " وهو عجب فى أعيننا " . لقد صار ذلك النبىّ المنتظر هو رأس الزاوية فمن الطبيعى جدا حينذاك أن يقول المسيح عليه السلام " لذلك أقول لكم إنَّ ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمَّة تثمر ثمره . **من وقع على هذا الحجر تهشم . ومن وقع عليه هذا الحجر حطمه** " .

وهذا الوصف لا ينطبق على المسيح عليه السلام بكل المقاييس . فلم يهشم أحدا ولم يحطم أحدا ، تصديقا لما جاء فى إنجيل يوحنا (١٢ : ٤٧) " وإن سمع أحد

كلامى ولم يؤمن به فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم " .
ولكن النبىّ العربى الخاتم ﷺ حطم وهشم الامبراطوريتين الفارسية والرومانية لأنهما وقفتا أمام دعوته ولم يؤمنا به .

قال نبىّ الاسلام ﷺ فيما رواه عنه البخارى ومسلم فى صحيحيهما :
" إنَّ مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ..!؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " . وقال ﷺ : **" أنا دعوة أبى إبراهيم وبشارة عيسى "** [1] .

وقال تعالى : **﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أنَّ الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾** (١٠٥ / الأنبياء) . وورث نسل إسماعيل الأرض الموعودة - من النيل إلى الفرات - ولم يرثها نسل إسحاق ويعقوب . والواقع يشهد ، والعالم يشهد . ولم يرفض بنو إسرائيل إلا النبىّ المبعوث من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام . فهل بعد ذلك البيان بيان ..!!؟

---

(١) .. حديث صحيح رواه كل من أحمد والحاكم والبيهقى عن العرباض بن سارية . راجع تخريج أحاديث مشكاة المصابيح للألبانى ج٣ ص ١٢٧ .

ثانيا ..

الأسرَار الكنسِيَّة السَّبعَة

(*sacraments*)
(*mysteries*)

؟؟؟

!

السِّرّ هو : عمل مقدس .. بفعله يحصل شعب الكنيسة على نعمة غير منظورة تحت مادة منظوره

استهلال عن الأسرار الكنسية [1]

إذا كان موضوعنا الثانى فى هذا الكتاب عن الأسرار الكنسية السبعة فلا بد مِن التعرض أولا **لأصل وفصل كلمة سِرّ** حسب لغتها الأم الواردة فيها . **فأقول** ومِن الله التوفيق :

إنَّ كلمة السِّر هنا ليست مأخوذة مِن الـ (secret) بمعنى السِّر المعروف لغة ، وإنما هى مِنَ كلمة (ساكرمنت sacrament) التى تعنى القسم والولاء فى أصل لغتها كما سنعرف ذلك بعد قليل .

وقالوا إنَّ كلمة **ساكرمنت** (sacrament) تعنى عند معظمهم : " الأمر الحسّى المنظور الذى يدل على حقيقة غير منظورة " وزاد البروتستانت " التى أمر بها يسوع ودعى الناس إليها " .

فقالوا على سبيل المثال إنَّ القربان .. منظوره الحِسّى هو الخبز والخمر . وهو يدل على حقيقة يسوع بجسده ودمه الغير منظور فى القربان . فالسِّر هنا هو الإيمان بأمر مادى يُشير إلى أمر غير مادى ويعلن حضوره الغير منظور . **قلت جمال** : وهذا المعنى ليس مِن الأسرار فى شىء .

وقالوا بأنَّ أسرار الكنيسة السبعة هى وسائط تسرى من خلالها نعمة الصليب لحياة المسيحى : فمن خلال **سِرّ المعمودية** تسرى إليهم نعمة التجديد والميلاد الجديد بلبس المسيح . ومن خلال **سِرّ الميرون** تسرى إليهم نعمة حلول الشبح المقدَّس (holy gost) فيهم (وهو روح القدس فى النسخ العربية) . ومن خلال **سِرّ الاعتراف** تسرى إليهم نعمة غفران الذنوب ومحو الخطايا . ومن خلال **سِرّ التناول** تسرى إليهم نعمة حلول المسيح فيهم بلحمه ودمه . ومن خلال **سِرّ مسحة المرضى** تسرى إليهم نعمة الشفاء . ومن خلال **سِرّ الزيجة** تسرى نعمة

---

(١) .. تم استخلاص ذلك الاستهلال والمقدمة التاريخية المختصرة التالية عن الأسرارا الكنسية السبعة من عدة موسوعات مسيحية وقواميس كتابية وبعض كتابات الكنائس الشرقية .

الاتحاد بين الزوجين . ومن خلال **سِرّ الكهنوت** تسرى نعمة تفويض السلطة الإلهية للكاهن على الآخرين .. وهكذا الأمر عندهم .

ويقولون أيضا : وحيث أنَّ الرب يهتم بالجسد ، لذلك أعطانا أن نستخدم المادة فى الأسرار . مادة فى **المعمودية** وهى الماء . وفى **التثبيت** نستخدم الزيت . ونستخدم الخبز والخمر كمادة تسرى فى جسدنا المادى عندما نتقدم **للتناول** . وكل هذا ليكون هناك شئ مرئى ومحسوس لنا تسرى من خلاله النعمة غير المرئية والغير محسوسة . ولذلك فإنَّ تعريف السِّر هو : نوال **نعمة** غير منظورة تحت **مادة** منظوره . والمادة المنظورة تتعامل مع الجسد ، أمَّا النعمة فتتعامل مع النفس والروح سِرًا لتعيد للنفس صورتها الأولى وتعيد للروح قوتها الأولى على حد زعمهم .

ومِن تشبيهاتهم الغريبة أنَّ الأسرار المقدسة هى بمثابة شيكات نعمة تُصرف مِن بنك الدم ـ دم يسوع المسفوك على الصليب ـ مُوَقعٌ عليها من الشبح المقدَّس ..!! ومعتمدة من الإله الآب .. فهى شيكات نافذة الصلاحية . تهب لهم نعمة وبركة على حساب رصيد دم المصلوب . فمع الكنيسة إذا دفتر شيكات خاص هو الأسرار السبعة تصرف منه لأتباعها ..!!

وبناءً على ما سبق يمكن للمسيحى أن يصرف شيك المعمودية مثلا **ليلبس المسيح** كما قال بولس (غلاطية ٣ : ٢٧) أو يصرف شيك الميرون **ليحل فيه الشبح المقدس** ، وشيك الاعتراف **ليأخذ الغفران** مِن كل ذنوبه كبائرها وصغائرها ..!!

تأريخ الأسرار السبعة

بدأ رواد الكنيسة اليونانية الأولى عملهم أولا بين يهود الشتات المتكلمين باليونانية . وكانت طقوسهم حينذاك متمثلة فى شعيرتين فقط هما التعميد والتناول . وقد سُمِّيَت هاتان الشعيرتان بالـ مِستريس (*mysteries*) أى أسرار الإيمان . لأنهم كانوا يُمارسون طقوسهم هذه سِرًّا بعيدا عن مراقبة أعين الأباطرة الرومان الوثنيين .

وهذه الكلمة اليونانية (*mysteries*) كانت تستخدم غالبا فى مجالات الفلسفة والتصوف والعِرفان والسحر ، وكذا مناقشة الموضوعات الدينية الوثنية المبهمة والغير واضحة والتى تعتمد على أسرار ، والغير معلوم معناها ثم وضح لهم لها معنى ما .

مثل أقوالهم عن موت الإله وقيام الإله من الموت وعودة الإله ثانية (المسيح مات ؛ المسيح قام ؛ المسيح سيأتى ثانيا) . فوصفت الكنيسة الأولى مناقشة تلك الموضوعات بقولها : هى المِستريس الإيمانية (*mysteries*) لأنه أشير إليها فى العهد القديم ولم ينكشف معناها إلا فى يسوع المسيح حسب زعمهم ، ولم يتعرَّف عليها اليهود أصحاب العهد القديم ..!!
(راجع رسالة كورنثوس الثانية ٣ : ١٣ ـ ١٨) .

وفى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى حلَّت اللاتينية محل اليونانية فى النصف الغربى من الإمبراطورية الرومانية . ولم يكن هناك مصطلحا فلسفيا لاتينيا يحمل معنى كلمة (*mysteries*) . فعندما ترجمت كتب العهد الجديد إلى اللاتينية كتبت الكلمة فى اللاتينية هكذا (*mysterium*) ولكن القراء اللاتين لا يعرفون معنى تلك الكلمة الغريبة عليهم ، فقام بعض المترجمين كـ **جيروم** أثناء ترجمته للكتاب إلى اللاتينية بكتابة الكلمة (*sacrament*) التى تحولت فيما بعد عدة قرون إلى عنوان لأسرار الكنيسة السبعة ..!!

وهذه الكلمة اللاتينية (*sacrament*) لها معنى عسكرى يؤدى غرضا معيَّنا . فعندما كان ينضم المجندون الجدد إلى الجيش الرومانى كانوا يُقسمون قسم الولاء بآلهة الرومان والإمبراطور ، وهذه النوعية من الولاء العسكرى كان يُطلق عليها مسمى (ساكرمنتم *sacramentum*) . والمسيحيون لم يتمكنوا من الانضمام إلى الجيش الرومانى حينذاك لأنَّ قسم الولاء العسكرى فيه عمل من أعمال عبادة الأصنام الكفرية . ولكن الفكرة العامة والغرض المنشود للكنيسة يكمنان وراء تلك الكلمة الكفرية .

وأمسك المترجمون بهذه الكلمة اللاتينية (*sacramentum*) على أساس أنها أقرب معنى إلى الكلمة اليونانية (مِسترِى *mystery*) . حيث أنَّ الـ (*sacramentum*) عبارة عن عمل من الأعمال الطبيعية التى تحَوِّل الأشخاص من حالة إلى حالة أخرى ، من الحالة المدنية إلى الحالة العسكرية . وذلك معنى يُساير مُرَاد الكنيسة وغرضها بقولها (مِسترِى *mystery*) فى تغيير حالة أتباعها الروحية إلى الولاء للكنيسة ودينها .

وبذلك دخلت هذه الكلمة (مِسترِى *mystery*) فى اللاهوت المسيحى الغربى بعد أن فقدت معناها العسكرى . وفى شرقنا لا تزال الكلمة تحمل معنى الولاءالكامل للكنيسة بقسوسها وأيقوناتها - أى أصنامها المتمثلة فى تماثيل يسوع والعذراء وصور سائر القديسين - بدلا مِن الامبراطور والجيش الرومانى . ولكم أن تقولوا بأنها بمعنى (**نذر ولاء**) منذور به للكنيسة وأيقوناتها يجب الوفاء به . **فهذه الأسرار** بمثابة قسم ودليل ولاء ووفاء للكنيسة ودينها ، بدلا من الولاء إلى رب الكنيسة ورب أصنامها وصورها أى الأيقونات ..!!

ولم تُناقش هذه الأسرار علانية حتى القرون الثانى عشر والثالث عشر الميلادية . ومكث النقاش حول قانونيتها وحقوق الكنيسة فيها من القرن الثالث عشر حتى انعقد مجمع ترنت فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى . فأخذ بترجمة جيروم للكلمة (*sacrament*) ، ثم قلَّصَ المجمع عددها إلى سبعة أسرار فقط آخذا برأى القديس **لومبارد** على أساس اعتبار قدسية الرقم سبعة . وقد سبق أن

أوصلها القديس **أوغسطين** إلى ثلاثين سرا وعَدَّ منها الصلاة الربَّانية وقانون الإيمان المسيحى . هذا ولم تقدم الكنيسة على الأخذ برأى لومبارد بإجماع إلى أن انعقد مجمع فلورنسا فى سنة ١٤٣٩ ميلادية .

ولكن مارتن لوثر مؤسس المذهب البرتستانتى أوصلها فى مبدأ أمره إلى ثلاثة أسرار : التعميد والعشاء الربَّانى والاعتراف . ثم رأى لوثر أنَّ المسيحى غير ملزم بالاعتراف أمام الكاهن . فأصبحت الأسرار عنده اثنين فقط هما التعميد والعشاء الربَّانى . وحتى سِرّ الأفخارستيا (العشاء) مختلف فى كيفيته فى كنه تحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح حقيقة (الاستحالة) .

أمَّا الأرثوذكس الشرقيين فلم يأخذوا بتعريف الكنيسة الكاثوليكية أو بتعريف البروتستانت ، وإنما أشاروا إلى أسرار الكنيسة كـ (مِستِريس *mysteries*) كما كان عليه العهد فى الكنيسة اليونانية الأولى ولم يشرحوا مرادهم للناس وليس كـ (ساكرمنت *sacrament*) . واتفقوا مع الكنيسة الكاثوليكية فى اعتبار عِدَّة الأسرار سبعة وهى ذات الأسرار . إلا أنَّ اللاهوتيين الأرثوذكس يعطون أهمية أقل للرقم سبعة . فليس عندهم حتى اليوم انحصار واضح فى هذه الأسرار السبعة . فعددها كثيرة عندهم ، فهناك بعض الممارسات والصلوات الطقسية مثل قدَّاس تبريك الماء (اللقان) ، إلى جانب تكريس المذابح والكنائس والمعموديات والأيقونات وكذلك الصلاة على المنتقلين والرهبنة ... الخ [1] .

ولكن كثيرا من الكنائس الأرثوذكسية فى الغرب والشرق نراها قد أخذت حاليا بقول كنيسة روما الكاثوليكية . ونراهم حاليا يتكلمون عن الأسرار السبعة كما يفعل الكاثوليك (ساكرمنت *sacrament*) ولكن باختلافات طفيفة فى المعنى المراد . المهم هو أنَّ فى معنى كلمة ساكرمنت تحقيق مراد الكنيسة لسيطرتها على أتباعها وولائهم التام لها .

---

(١) .. نقلا عن معجم المصطلحات الكنسية / ج ١ ص ٦٤ للراهب القبطى اثناسيوس .

وأكثر الكنائس المسيحية نجدها تقليدية فى اعتقادها وإن اختلفت أنظمتها السابق بيانها . ومِن أشهرهم الكنيسة القبطية التى يعتقد قسيسوها أنَّ بعض ما أعلنه الرب مكتوب وبعضه غير مكتوب تسلموه ممن كان قبلهم وأطلقوا عليه مُسمًّى **الأمانة** . وهذه الأمانة هى أساس دينهم وليس ظاهر النصّ الكتابى الذى اعتمدوه مؤخرا ..!!

فالكنائس هى التى أوجدت قوانين الإيمان ثم اعتمدت وقننت كتب العهد الجديد ، فلم تقم الكنائس على تعاليم الكتاب وإنما العكس هو الصحيح فقام الكتاب على تعاليم الكنائس وقوانين الإيمان . فلم يكن هناك وجود لما يعرف بكتاب العهد الجديد حتى القرن الرابع الميلادى [١] ..!!

ولذلك يشمل قانون إيمانهم الكتاب المقدس ـ أى العهد القديم ثم أضافوا إليه كتب العهد الجديد فيما بعد ـ والتقليد أى **الأمانة** . وهم يعتقدون أنَّ شعب الكنيسة لا يقدر أن يميّز الكتب الإلهية عن غيرها ولا التقليدات عن بعضها ، ولا أن يفسِّرَ الكتاب بمفرده لأنَّ الكتاب المقدس صعبٌ ومبهَم ، لا يمكن فهمه بدون مفسّر منظور معصوم من الخطأ . لذلك أقام الرب لهم الكنيسة المقدسة معلمة ومعصومة تقول حكماً قاطعاً معصوماً [٢] .

هذا ولم ترد كلمة سِرّ (مِستِرى mystery) فى الأناجيل إلا مرة واحدة فى إنجيل مرقس (٤ : ١١) وذلك فى قول المسيح عليه السلام : " قد أعطى لكم أن تعرفوا سِرّ (مستيريون μυστηριον) **ملكوت الله** " . ولا يزال ملكوت الله سِرّ إلى الآن لم يعرفه المسيحيون ، وهم يدعون ربهم فى صلاتهم الربَّانية بأن يأتى إليهم بالملكوت . وقد جاءهم ملكوت الله منذ حوالى خمسة عشر قرنا وهم عنه معرضون [٣] ..!!

---

(١) .. راجع التفصيل والأدلة فى كتابى " جمع وتقنين كتب العهد الجديد " .
(٢) .. وهذا القول مشهور معروف عند الكنيسة القبطية . ولذلك لم تقم بطباعة كتابها المقدس إلى الآن ـ القرن الواحد والعشرين ـ حتى لا يطلع عليه أحد مِن عامة الناس ..!!
(٣) .. راجع معانى الملكوت فى الأناجيل الحالية وذلك فى كتابى " معالم أساسية ضاعت من المسيحية " .

ملكوت الله .. ذلك هو السِّر (mystery) الوحيد الوارد عن المسيح ﷺ والذى عرفه تلاميذ المسيح ﷺ " قد أعطى لكم " وكشفه الله لهم . وجهله من بعدهم أتباع بولس من المسيحيين اليونان واللاتين . ورغم ذلك لا يدخل ضمن أسرار الكنيسة ..!!

ولكى يقف القراء على منشأ هذه الأسرار والأدوار التى مرّت بها أقول باختصار شديد : إنَّ كلمة سِرّ بجانب استعمالها بالمعنى المعروف لدينا كانت تستعمل فى القرن الثانى لدى بعض المسيحيين للتعبير عن العهد المقدس بين الإله وبين الناس . كما كانت تستعمل للتعبير عن الأمور التى تترتب عليها نتائج روحية هامة مثل الصلاة والفداء والقيامة .

ولكن لم يكد يظهر القرن الرابع ، حتى أخذ بعض رجال الدين يحيطون المسيحية بمظاهر من الهيبة الشكلية ، وذلك فى نظر الناس الذين لا يدركون هيبتها الروحية ، فأطلقوا على الكثير مما يجرى فى نطاقها من أعمال أسراراً . وقد بلغت هذه الأعمال ١٢ فى القرن التاسع ، ثم ٣٠ فى القرن العاشر . وبعد ذلك اختصروها إلى ٧ أسرار باعتبار السبعة عدداً كاملاً وكان أول من نادى بذلك (بطرس لمبارد) سنة ١١٦٤ .

وفى مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩ م عرَّفَ بعض رجال الدين السِّرّ بأنه علامة منظورة تحل بواسطتها نعمة غير منظورة ـ وهذا التعريف لا أساس له فى الكتاب المقدس ، لأنه يعلم أنَّ النعمة لا تحل فى المواد مثل الماء والزيت والخبز والخمر ، ثم تنتقل إلى الشخص الذى يستعملها ، بل تنتقل مباشرةً من الله إلى النفوس المؤمنة به والمنفتحة له .

بولس والكلام عن الأسرار ..

لا بد هنا للقارىء أن يَطوّف قليلا مع الأسرار عند بولس المؤسس الحقيقى للمسيحية الحالية ..

فقد بَشَّر بولس بمسيح سِرِّىّ (*μυστηριου χρονοις* وتنطق مستريو كرستوس) لم يطلع عليه الناس والأنبياء قبل بولس ، مسيح غير معلوم للناس ثم كُشِفَ عنه الحجاب والأستار بواسطة بولس كما بيَّن ذلك المعنى فى رسالته الرومية (١٦ : ٢٥ ـ ٢٦) بقوله " والمجد للقادر أن يثبتكم وفقا لإنجيلى وللبشارة بـ عيسو مسيح (*ησου χριστου*) ، ووفقا لإعلان **ما كان سِرًا** (μυστηριου χρονοις) **ظل مكتوما مدى الأزمنة الأزلية . ولكن أذيع الآن ..** " .

فمسيح بولس هنا هو **سِرّ** (مستريون *μυστηριου*) من الأسرار بمعنى الكلمة فى أصل لغتها اليونانية . وهذا السِّر انكشف لبولس فقط وسينكشف لأول مرة للناس عند ظهور مسيح بولس فى آخر الزمان .

وقال " كيف كشف لى **السِّر** (*μυστηριον*) عن طريق الوحى كما كتبت قبلا بإيجاز ، ويمكنكم حينما تقرأون ما كتبته أن تدركوا **اطِّلاعى العميق على سِرّ المسيح** (*μυστηριω του χριστου*) ، **ذلك السِّر الذى لم يطلع عليه بنو البشر فى الأجيال الماضية ..** " (أفسس ٣ : ٣ ـ ٥) .

فمسيحه لم يطلع عليه أحد من البشر قبل بولس . وبالتالى فالكلام منصرف إلى مسيح خاص ببولس ، ولا شىء تاريخيا اطلاقا مأخوذ عن شهود العيان لبعثة المسيح ابن مريم قبل ظهور بولس على الساحة ..!!

وقال أيضا " فإنى أريد أن تعلموا مقدار جهادى لأجلكم ولأجل الذين فى مدينة لادوكية ، ولأجل جميع الذين لا يعرفوننى بالوجه . بغرض أن تتشجع قلوبهم وتكون كلها متحدة فى المحبة لبلوغ الإدراك التام بكل غِناه . لمعرفة سِرّ

الثيوس ($\mu\upsilon\sigma\tau\eta\rho\iota o\upsilon\ \tau o\upsilon\ \theta\varepsilon o\upsilon$ وتنطق مستريو تون ثيوس) المخزونة فيه كنوز الحكمة والمعرفة كلها " (كولوسى ٢ : ١ - ٣) .

وبيَّن بقوله : " إننا **نتكلم بصوفية ثيوس** (σοφιαν θεου) **المطوية فى سِرّ** (μυστηριω) . تلك الصوفية (أى الحكمة فى التراجم العربية) المحجوبة التى سبق الثيوس (ο θεος) فأعدها قبل الدهور لأجل مجدنا " (١ كورنتوس ٢ : ٧) . فبولس صوفى من صوفية الثيوس اليونانى .

وبولس يتكلم دائما بأسرار (مستريسيس) مثل قوله " **وها أنا أكشف لكم سِرًا** (μυστηριον) : إننا لن نرقد جميعا ، ولكننا سنتغيَّر جميعا . فى لحظة بل فى طرفة عين عندما يُنفخ فى البوق الأخير ... " (١ كورنتوس ١٥ : ٥١) . فلن يموت أتباع بولس وإنما ستتحول أجسادهم إلى صورة مشابهة **لجسد يسوع الممجد** الذى فى صورة الصنم ثيوس " الذى سيحول جسدنا (سوما σωμα) الوضيع إلى صورة مطابقة لجسده المجيد " (فليبى ٣ : ٢١) ..!!

وقطعا قد علم القارىء المثقف المطلع على الأساطير اليونانية الوثنية أن ثيوس هو صنم اليونان الأكبر وإلههم وإن قالوا عنه قديما زيوس ، وأنَّ مسيح بولس الروحانى هو ابن ثيوس ، وكلام بولس فى رسائله كلها يدور حول الإعلان وكشف السِّر عن مسيحه وأبيه الثيوس [١] . واستبدلت الكنيسة العربية اسم الصنم اليونانى ثيوس باسم الجلالة الله فى الترجمات العربية ، ومسيح بولس بالمسيح ابن مريم عليه السلام . وانطلت الحيلة على العامة والخاصة ، بل وعلى كثير من دعاة الدعوة الإسلامية ..!!

فكان بولس هو القدوة للكنيسة من بعده ، ومعلمها الأوحد لتتكلم بأسرار وتفرض على أتباعها الأسرار .. أسرار لم يعرفها مخترع الأسرار . أسرار أطلقوا عليها أسرار الكنيسة ، واختلفو فى تعدادها وتقنينها ..!!

وخلاصة ما يسمى بـ الأسرار السبعة عند المسيحيين ليس له أساس فى الكتاب المقدس كأسرار . ولا حتى عند بولس أول مَن تكلم عن الأسرار .

---

(١) .. راجع كتابى " بولس صانع الأسطورة " لتعرف الكثير عن بولس وأسراره ..

عقائد الكنيسة إجبارية وملزمة لكل إنسان
وقبولها هو الذى يجلب الخلاص

ومن هنا كان أول أسرار الكنيسة **التعميد** الذى يتم بالإكراه ولمرة واحدة فى العمر . وتعقب المارقين من تعاليم الكنيسة ومحاكم التفتيش والإكراه الدينى يتم كله من منطلق الحب لأخيك الإنسان ..!!
وحتى عبادة الأيقونات أى الصور والتماثيل تم استحسانها وصدر بخصوصها قانون إيمان ، ولم يسمح ببناء كنائس تقليدية بدون وجود الصور والتماثيل فيها .

وتعد كل قرارات المجامع المسكونية إجبارية على الإطلاق حيث تُعدها الكنيسة عقيدة أوْحَى بها الشبح المقدس . ففى هذه المجامع يجتمع كل معلمى الكنيسة ، وبما أنَّ كل واحد منهم يعزى إليه التعليم الكنسى ويكون مزوداً **بحق منح العفو الإلهى** فلا بد إذا من التخمين أنَّ مجموع كل حقوق العفو الكنسية العليا تكون مؤثرة فى هذه المجامع . لأنَّ كل عضو معه الشبح المقدس بصورة خاصة تبعاً للإعتقاد الكنسىّ الذى يعتقده .

رأى **الكنيسة القبطية** (بقلم الشماس الإكليريكى عهدى سامى) :
السِّر فى الاصطلاح الكنسى القبطى هو عمل مقدس تنال به نعمة غير منظورة تحت أعراض مادة أو علامة منظورة على يد كاهن شرعى .

ويشترط لاتمام السر : **مادة ملائمة** للسِّر كالماء فى سِرّ المعمودية الماء والزيت فى سِرّ الميرون والخبز والخمر فى سِرّ الافخارستيا أى التناول . **وكاهن مشرطن** ، أى مرسوم برسامَة صحيحه بوضع اليد الرسوليه عليه وغير واقع تحت طائله حكم كنسى أو عقوبه من قبل رئاسته الدينيه تمنعه من ممارسة صلوات السِّر . ثم **حضور الشبح المقدَّس** : إذ إنه هو العامل فى الأسرار ومن خلال الصلوات المقدسة يحل الشبح المقدَّس على مادة السِّر ويحولها معطياً إياها الفاعلية والنعمة التى تصل لكل شخص يمارس هذا السِّر .

والأسرار أنواع :

فمنها ما يلزم للخلاص الأبدى وبدونها لا خلاص : كالمعمودية والميرون والاعتراف والتناول . **ومنها** غير لازمة للخلاص الأبدى : كمسحة المرضى فهى للمرضى فقط . والزيجة حيث تكون للراغبين فى الزواج فقط ، فهناك رهبان ومتبتلون لا يتزوجون . والكهنوت حيث لا يتقبله إلا من يشرطن شماساً أو قساً أو أسقفاً بينما غالبية الشعب لا ينالون أى رتب كهنوتية .

وهناك أسرار يمكن تكرارها : كالتوبة والإعتراف والتناول ومسحة المرضى والزواج . **وهناك** أسرار لا يمكن تكرارها : كالمعمودية والميرون والكهنوت . **ومن** تلك الأسرار ما هو ضرورى لكل إنسان مثل المعمودية ؛ الميرون ؛ الافخارستيا ؛ الاعتراف ؛ مسحة المرضى . **ومنها** ما هو غير ضرورى لكل الأفراد مثل سِرّ الكهنوت والزيجة ولكنها ضرورية للهيئة الاجتماعية .

ومنها أسرار واشمة غير قابلة للإزالة أو الإعادة مثل (المعمودية - الميرون - الكهنوت) . انتهى النقل بعد تصحيح عبارة الروح القدس بالعبارة التى كان معمولا بها حتى مطلع القرن العشرين أى الشبح المقدَّس .

وغالبية الأسرار كانت تعطل فى أسبوع الآلام ما عدا سِرّى الأعتراف والكهنوت : فما كان المسيحيون الأوائل يمارسون المعمودية ولا الميرون فى أسبوع الآلام وما كان يرفع بخور ولا تقام قداسات إلا يوم خميس العهد وسبت النور . وطبعاً من الاستحالة ممارسة سِرّ الزواج . أمَّا سِرّ مسحة المرضى فكانت تقام صلواته فى جمعة ختام الصوم ، قبل أسبوع الآلام . كذلك لم تكن تقام صلوات الجنائز فى هذا الأسبوع . ومن يموت فيه لا يرفع عليه بخور ، بل يدخل جثمانه إلى الكنيسة ويحضر صلوات البصخة [1] ويقرأ عليه التحليل مع صلاة خاصة .

---

(١) .. البصخة معناها مأخوذ من الفصح اليهودى (ف ص ح = ب ص ح = ب ص خ) ..!!
مع ملاحظة أن حرف الخاء لا يوجد فى العبرية القديمة ولا فى الآرامية ..!!

فى الكنيسة الأرثوذكسية تُعطى الأسرار بطقوس مرئية ، وتمنح نعمة إلهية روحية غير مرئية إلى المسيحى الذى يحصل عليها باستعداد ملائم . وبذلك تعطى حياة من الرب فى العصر الحالى بدون اختلاط .

فإعطاء الأسرار بوسائل مرئية فيها تجسيم للحقائق الروحية فى أشكال مادية . ولا يعتمد السِّر الكنسى على إيمان وأخلاقيات رجل الدين الذى يؤدّيه . ولكى تكون الأسرار الكنسية صحيحة لابد أن يكون الأساقفة والكهنة مرسومين قانونيا فى الكنيسة أى مشرطنين ..!!

وهناك قاعدة كنسية تقول لا بد لكل مؤمن بيسوع أن يمارس خمسة أسرار لا محالة ، ثم له أن يختار . فالمسيحى يجب أن ينال سِرّ المعمودية وأن يتم تثبيته فى الإيمان المسيحى (سِرّ الميرون) . ولا بد له بعد أن يتحد إيمانه بيسوع أن يتحد به بالجسد فى سِرّ القربان ، وأن يعود إلى مصالحة خالقه يسوع كلما ضعف إيمانه أو زلت به الطريق وذلك فى سِرّ التوبة . وأخيرا لا بد له أن ينال سِرّ مسحة المرضى عندما تدعو الحاجة لذلك .

ومثلها أيضا سِرّى الكهنوت والزواج . فمن ارتبط بسِرّ الكهنوت يكون قد كرس حياته كلها لخدمة الرب وهو التزام مدى الحياة وخدمة فى حقل الرب تدوم إلى الأبد " على رتبة ملكى صادق " . والزواج بدوره هو سِرّ يتدخل الله فيه ويرعاه الروح القدس ، فالزواج سِرّ مقدس يشكل التزاما مدى الحياة .

الحجج الخاصة بالأسرار والتعليم والرد عليها

عندما غابت النبُوَّة الحقة من أساسيات الديانة المسيحية ومِن ثمَّ استفحلت الأبوستولية [1] اليونانية ، وتم تأليه رسول الله عيسى ابن مريم ﷺ . زعم المسيحيون أنَّ أتباع ابن مريم الأُوَل هم بمثابة أنبياء هذه الديانة وأطلقوا عليهم لقب رُسُل (أبوستول) وهم الواسطة بين الرب أى المسيح المؤله والعباد . فقال بولس الطرسوسى فى رسالته (١ كورنتوس ٤ : ١٠) " إنَّ الرسل وحدهم هم وكلاء **سرائر الرب** " . ومن ثم فهناك مَن زعم أنَّ لهم خلفاء فى مهمتهم . أى أنَّ القسس والكهنة يعلمون سرائر الرب ومخططاته ويغفرون للناس ذنوبهم ..!!

إنَّ الأسرار أو سرائر الرب ليست بركات غير منظورة تعطى بوسائل منظورة كما يقول المسيحيون ، لأنه ليس هناك مجال لاستنتاج هذا التعريف من أقوال السيد المسيح ﷺ فالحقائق التى أعلنها الله تعالى بالوحى لرسله هى الأسرار الحقة التى كانت خافية عن الناس ثم عرفوها عن طريق الأنبياء والرسل . ومن ثم لم تعد أسراراً بالنسبة لهم .

وإن بحثنا عن الأسرار التى ذكرها بولس فى كتاباته نجدهم لم يعدونها ضمن أسرار الكنيسة السبعة . فهناك على سبيل المثال : سِرّ المسيح (أفسس ٣ : ٤ ـ ٥) ؛ سِرّ الآب والمسيح (كولوسى ٢ : ٢ ـ ٩) ؛ سِرّ التقوى (١ تيموثاوس ٣ : ١٦) وسِرّ مشيئة الله (أفسس ١: ٩) ؛ سِرّ المسيح والكنيسة (أفسس ٢: ٣٢) . وسِرّ الإنجيل (٦: ١٩) ؛ وسِرّ الإيمان (١ تيموثاوس ٣: ٩) ؛ سِرّ اختطاف بعض المؤمنين إلى السماء دون أن يذوقوا الموت (١كورنثوس ١٥: ١٥) وسِرّ دخول ملء الأمم ورجوع الأتقياء من اليهود إلى الرب (رومية ١١: ٢٥) وسِرّ الإثم (٢ تسالونيكى ٢: ٧) وغيرها .

---

(١) .. راجع الشرح التفصيلى لمعنى كلمة أبوستل اللغوى فى كتابى " يسوع النصرانى " .

وفى سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى نجد سِرّ السبعة كواكب (رؤيا ١: ٢٠) أو بالحرى الأخبار الخاصة بالكنيسة فى كل أدوارها على الأرض . وسِرّ بابل العظيمة أم الزوانى (رؤيا ١٧: ٥) . وفى الأناجيل نجد سِرّ الملكوت (متى ١٣: ١١؛ مرقس ٤ : ١١؛ لوقا ٨ : ١٠) .

وكل هذه **الأسرار الثلاثة عشر** المنصوص عليها فى كتابهم المقدّس ليست ضمن أسرار الكنيسة . لأنها أسرار ليست لها شعائر أو طقوس . ولا يُجنى مِن ورائها المال ، ولا يتم عن طريقها السيطرة على العباد حتى تتطلب وجود أشخاص أو كهنة يمارسونها ، بل هى أسرار تقبل كما هى دون وساطة وسيط . أسرار لها طابع تاريخى يكشف عنها الزمان فلا تعدو أسرارا .

أمّا ما تسمى عندهم بأسرار الكنيسة السبعة فليس لها أساس فى الكتاب المقدس كأسرار . ويؤخذ مِن ورائها المال والسطوة ، فتطلبت وجود خلفاء للرسل وكهنة لممارستها . كما أنها الهيمنة والسيطرة بعينها على الناس ..!!

إنّ المهمة التى أمر المسيح تلاميذه بتأديتها كانت تنحصر فى تبليغ أقواله وإعلانها بين الناس " التوبة والإيمان بالإنجيل " . وكذلك تنحصر مهمة خلفاء تلاميذ المسيح تحديدا فى التبليغ والبيان كما فعل أساتذتهم . وليست بالوكالة عن الله رب السماوات والأرض .

إنّ المسيح ابن مريم عليه السلام قال لأتباعه : "على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه واعملوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا " (متى ٢٣: ٣) . فادّعاء الوكالة الرسولية والزعم بإرشاد الناس وغفران ذنوبهم بسلطان إلهى لا أساس له من الصحة فى أقوال المسيح .

ويرجع السبب فى وصية المسيح لقومه السابق ذكرها إلى أنّ التوراة التى تتضمن أحكام الله فى العهد القديم ، لم تكن منتشرة بين اليهود قديماً لعدم وجود مطابع وقتئذٍ من ناحية ، وللقيود الشديدة التى كانت تفرض على القائمين بكتابة نسخ منها بأيديهم من ناحية أخرى ، ومن ثم لم يكن يقتنى نسخ التوراة إلاّ علماء

الدين [1] . وبناءً على ذلك لم يكن هناك سبيل أمام عامة الناس الذين يريدون معرفة شيء من أحكام الله سوى الالتجاء إلى هؤلاء العلماء ، وكان من الواجب عليهم أن يعملوا بكل ما يقولونه لهم وذلك تحت مسؤوليتهم .

أمَّا فى عصرنا الراهن فتوجد نسخ كثيرة جدا من الكتاب المقدس . فيها الكثير - مما تراكم عليه غبار اللاهوت الكنسى فحجب الرؤية عنه - لإرشاد الناس وهدايتهم . ومن ثم فالمسيحيون تحت التزام بأن يعملوا بأنفسهم **بكل ما جاء فيه** حتى وإن زعم القسيسون والكهنة بغير ذلك . وحتى وإن اجتمعت المجامع وقررت إلغاء الشريعة التى عمل بها المسيح وأمر أتباعه بالعمل بها . فرجال الدين المسيحي ليسوا بأكثر من مرشدين أو معلمين مثل غيرهم من العارفين بكلمة الله في الكتاب . فليس هناك مجال لإقامة خلفاء للرسل لأى غرض من الأغراض الكنسية .

وحان الآن أن نبحث عن ماهية تلك الأسرار (sacrament) التى جعلتها الكنيسة حقا من حقوقها وفرضتها على أتباعها . وقبل الشروع فى ذلك الأمر أشير إلى أننى سوف أتعرض بعون الله وقدرته على مناقشة مدى صلاحية كل سِرّ ونفعه من عدمه ، وكذلك دليله مِن أقوال المسيح إن وُجِدَ .

كما أبيِّن وأذكِّر القراء حتى لا يُصْدَمُوا بأنَّ المسيحية قائمة على مبدأ الحلول والاتحاد بين الرب المعبود وبين العباد .. ومِن ثَمَّ فسوف نجد المصطلحات الفلسفية الحلولية عند دراستنا للأسرار ، مثل قولهم الإتحاد مع المسيح . وحلول المسيح فيهم ولبسهم المسيح ، وأكلهم المسيح .. فالمسيح فيهم وهم فى المسيح ..!!

ولذلك قال علماؤهم : لتحقيق معانى تلك المصطلحات فإنَّه يتطلب من الناس تحقيق التعاون بين شيئين ضروريين وغير متساويين : النعمة الإلهية

---

(١) .. وفى الحقيقة لم تكن هناك نسخ مِن التوراة لأنها قد فقدت منهم مِن أكثر مِن خمسمائة سنة . وكان الموجود منها هو ترجمتها المسماة بالترجوم الفلسطينى أى الترجمة الأرامية الفلسطينية ، والترجوم البابلى أى الترجمة الأرامية الشرقية التى كان معمولا بها فى العراق القديم (بابل) . راجع التحقيق والايضاح فى كتابى " التوراة مصرية " .

والإرادة البشرية .. فتأثير الأسرار ومنفعتها الكاملة تعتمد على الوعى الروحى والإيمان والتقوى للمشتركين فيها ..!!

فهناك شروط يجب توافرها فى القائم بعمل السِّر وفى المستقبل له . أى فى الكاهن وفى الشخص المسيحى الذى تقام له شعيرة الأسرار ، كما أنَّ هناك شروطا فى مطابقة النصّ والفعل لما أمرت به الكنيسة . فالالتزام بكل طلبات الكنيسة وأوامرها ظاهرا وباطنا هو المطلوب لنيل النعم المرجوَّة مِن الأسرار ..!!

السِّرّ الأول

﴿ سِرّ المَعْمُودِيَّة ﴾

قالوا إنَّ العقيدة هى فكر الطقس .. والزَمُوا الناس بعدم التفكر فى الطقس أو عند إجرائه على الأقل . فالطقس عندهم حارس للعقيدة الغير مفهومة ، وهو فى ذات الوقت تطبيق عملى لها ..!! ولابد أن تترجم العقيدة إلى طقس يمارس عملياً حتى لا تنسى أو تنحرف ..!!

والمعمودية هى أول طقوس الأسرار فى المسيحية ، وهى أولى الأبواب **الاجبارية** والمسموح بها فى زعم الكنيسة ليدخل منها شعب الكنيسة إلى الإيمان بيسوع المسيح المصلوب ، والحصول على الخلاص المزعوم [1] .. قال لهم بولس قديما (غلاطية ٣ : ٢٧) " أنَّ مَن تعمَّد فى المسيح قد **لبسَ المسيح** " ..!! وأمرهم بلبس المسيح فقال " **البسوا الرب** يسوع المسيح " (رومية ١٣ : ١٤) ..!!

فالغاية المرجوَّة مِن التعميد هى لبس المسيح ، ولا تسأل ولا تتفكر أيها القارىء عن كيفية ذلك اللبس ، فقد علمنا أنَّ مسيح بولس روحانى فى صورة الثيوس صنم اليونان الأكبر ، أى أنَّه جنِّىّ [1] . ولبس الجنِّىّ للإنسان يمكن قبوله ولكن لبس الإنسان للجنِّىّ لا يعقل ولم أسمع عنه ..!!
المهم أنَّ ذلك الطقس حارس جيد للعقيدة حتى لا تنحرف ..!!

وهم الآن لا يُعَمِّدُون باسم المسيح وحده كما كان يفعل أجدادهم الأول فى القرون الثلاثة الأولى ، وإنما يُعمِّدون باسم الآب والابن والروح القدس .. **فهل** يلبسون الثلاثة دفعة واحدة أم يلبسون واحدا ويخلعون الآخرين أم يتخيرون مَن يكون ملبوسهم ..!!؟

---

(١) .. قضية الخلاص من الخطيئة الأساسية التى اقترفها أبونا آدم وورثها نسله من بعده ، لم يأت بها المسيح ابن مريم ﷺ ولا ذكر لها فى الأناجيل الأربعة الحالية ، وإنما بولس هو الذى جاء بها من عندياته وبوحى من شيطانه الجنى يسوع النصرانى . راجع تفاصيل الموضوع فى كتابى " بولس صانع الأسطورة " .

لقد تهرب كثير من قسيسيهم مِن قضية اللبس عند مناقشتى لهم فيها وقالوا أنَّ بالمعمودية يموت الفرد مع يسوع [1] على صليبه ثم يولد ميلادا ثانياً غير منظور . أى بالمعمودية يتمثل الموت والقيامة المزعومين ليسوع . هذا هو شرحهم لمعنى الموت والقيامة للمُعمَّد ، وإن كان ظاهر الأمر أنَّه لم يمت حتى يقوم مِن موته . ولكنها خيالات وأوهام ..!!

والمواد المستخدمة فى هذا السِّر هى الماء . ولا يصح اجراء العِمَاد إلا بواسطة **كاهن** الكنيسة المشرطن ..!! فلن يصير الناس مسيحيين بدون وجود **الكاهن** المشرطن وتدخله بين الفرد وربِّه يسوع ..!! فهذا الكاهن هو الذى يميتهم فى المسيح ويقيمهم مِن الموت ، وهو الذى يُلبسهم المسيح ..!!

فالمعمودية هى إذا المدخل الرئيسى كما قالوا إلى المسيحية . وهى العلامة الحسية والخارجية الرسمية الطقسية التى لا تتكرر فى حياة الفرد .
وأضافوا فى تعريفهم لها : أنها **ولادة** جديدة لحياة جديدة **وموت** عن الخطيئة **وقيامة** لحياة جديدة ملؤها النعمة والحق . كأنها إشارة رمزية إلى أسطورة ولادة الإله ؛ موت الإله ؛ قيامة الإله ؛ لبس الإله ..!!

وقالوا بأنَّ المعمودية هى مفتاح خزانة الأسرار الكنيسة ، وهى الخاتم الذى يُختم به شعب الكنيسة ظاهرا وباطنا تمييزا له عن الغير ..!!
وليلتزم شعب الكنيسة بتنفيذه للأمر الكنسى المزعوم الذى قوَّلوه للمسيح : " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم **وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس** " (متى ٢٨ : ١٩) [2] .

وإن بحثنا عن المعنى الحرفى لكلمة **المعمودية** فى اليونانية والتى تنطق بابتسما (βαπτισμα) نجده بمعنى الغسل أو الغمس فى الماء . ويشمل الغسل

---

(١) .. تأملوا جيدا الفرق بين استخدام كلمة يسوع وكلمة المسيح ، **فالمسيح** كائن سماوى فى صورة الإله اليونانى ثيوس . فهو يُلبَس حسب نظرية الحلول والاتحاد . أمَّا **يسوع** فهو كائن بشرى يموت ويُصلب ..!!
راجع الشرح والتفصيل لاستخدامات الكلمتين (يسوع) و (المسيح) فى كتابى " معالم أساسية ضاعت من المسيحية " .

(٢) .. سيأتى بإذن الله تعالى نقد ذلك النصّ وإثبات عدم صحته وأنه لم يرد فى نسخ إنجيل متّى الأقدم عهدا .

للإنسان وأوانى الشرب والطهى . وكلها بمعنى الغسل أو رش الماء لغرض النظافة والطهارة . وربما كان فيه معنى الوقوف فى الماء أثناء اجراء التعميد . ولكن هذا المعنى ربما كان مستخرجا من أصل كلمة عِمَاد وعَمُود فى اللسان العربى الأرامى . فالكلمة اليونانية للعماد ليست بمعنى التغطيس على التحقيق بل بمعنى الغسل عموما لأجل التطهير بدون تعيين الكيفية .

فقيل فى مرقس (٧ : ٤) أنَّ اليهود قد " اعتادوا **غسل** كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسِرَّة " والكلمة المترجمة **غسل** هنا هى نفس الكلمة المترجمة **معمودية** ، ومثله فى (لوقا ١١: ٣٨) فكلمة **يغسلون** ومشتقاتها فى مثل هذه الفقرات هى فى أصلها اليونانى ذات الكلمة المستعملة للعماد (βαπτισμα) مضافا إليها لواصق الاعراب اليونانية (βαπτισθη ؛ βαπτισωνται) على التوالى .

وقيل فى (عب ٩: ١٠) " وهى قائمة بأطعمة وأشربة و**غسلات** مختلفة " وهنا كذلك استُعملت تلك الكلمة عينها (βαπτισμοις) . فهى إذا كلمة ليست خاصة بالتغطيس بمعنى التعميد الكنسى . ونجدها قد استُعملت كذلك للإشارة إلى العماد بالروح القدس (مت ٣: ١١ ؛ مر ١: ٨ ؛ لو ٣: ١٦ ؛ يو ١: ٣٣ ؛ أع ١: ٥ ،١١: ١٦ ؛ ١كو ١٢: ١٣) وفى هذا المقام لا يصلح معنى التغطيس . كما أنَّ ذكر إجراء العماد فى العهد الجديد لا يشير إلى أنه حدث بالتغطيس باعتباره الكيفية الوحيدة ، كما اتضح فى الأقوال فى معمودية يوحنا (مت ٣ : ٥، ٦ ومر ١ : ٥ ولو ٣ : ٦-٢١) . وكذلك معمودية الخصى على يد فيلبس (أع ٨ : ٢٦-٣٩) .

ومعمودية نحو ثلاثة آلاف شخص فى يوم واحد (أع ٢ : ٣٨-٤١) . ومعمودية بولس (أع ٩ : ١٧ و١٨، ٢٢ : ١٢-١٦) ومن ذلك قوله " فقال حنانيا لبولس قم واعتمد واغسل خطاياك " . وقوله : " وقام بولس واعتمد " فليس فى هذا ما يدل ضرورةً على تغطيسه .

وأيضاً عماد كرنيليوس (أع ١٠: ٤٧، ٤٨) . وعماد السجَّان فى فيلبى (أع ١٦: ٣٣) لما " اعتمد فى الحال " . ولم يكن لزوم فى تلك المعموديات لبركة

أو نهر أو ماء يغمر الإنسان . فبرك الماء لا توجد فى البيوت والسجون أو فى الأماكن التى جرى فيها ذكر العماد .

فالمعنى الكنسي للتعميد لم يأت من اليونانية الإنجيلية وإنما من الآرامية ذات اللسان العربي بمعنى الغطس كاملا فى المياه كهيئة العمود أو بمعنى الغسل الكامل للجسد اشارة إلى التصديق على الطهارة والتوبة كما نقول فى حياتنا العامة **اعتمد** فلان الوثيقة أو الأمر أى بالموافقة عليه .

وإن بحثنا عن معنى **المعمودية** فى الآرامية نجدها بمعنى الغمس والتغطيس فى الماء أو النزول فيه ، والغسل هنا لغرض النظافة والطهارة الجسدية والروحية . وربما كان فيه معنى الوقوف فى الماء أثناء اجراء التعميد . وهذا المعنى ربما كان مستخرجا من أصل كلمة عماد وعمود فى اللسان العربى .

ونجد معنى المعمودية فى الآرامية الشرقية ـ وهى من لغات اللسان العربى القديم ـ التى لا يزال يتكلمها إلى الآن أتباع يحيى بن زكريا المعمدان عليه السلام (المنداعية ـ المندائية حسب المنطوق الأوروبى ـ حاليا) فهى تعنى عندهم الغطس فى المياه الجارية بغرض الطهارة عموما . وهى عندهم طقس دينى بمعنى **الصِبْغة** والتى جاء منها اسمهم القديم الصابغة والصابئة حيث تستبدل الغين بالهمزة فى الآرامية الشرقية . وقد أطلق عليهم ابن النديم قديما فى فهرسه اسم **المغتسلة** لكثرة اتيانهم لفعل الغسل فى المياه عند كل شعيرة دينية يؤدونها [1] .

ومِن معنى **الصِّبغة والصباغة** أخذ المسيحيون اليونانيون فكرة المعمودية الكنسية ، فهم يغمسون الفرد فى الماء لتحويله من حالة أو لون إلى حالة ولون آخران . كما تغمس الثياب فى الصِبْغة لتغيير لونها . فهم يصبغونه إلى لون أو شكل آخر غير الصِّبْغَة التى خلقه الله تعالى عليها .

---

(١) .. راجع التفاصيل المذهلة فى كتابى (يحيى أم يوحنا) .

قلت جمال : هناك صِبْغَة الله التى عليها يولد الأطفال وهى دين الفطرة أى دين الله . وكلما كبر الإنسان فى السِّن وبلغ رشده أحاطت به الذنوب والآثام وربما اقترف كبائر الإثم والفواحش ، هنا وجبت عليه التوبه الصادقة والاغتسال بالماء الجارى طُهْرَةً لبدنه وروحه . وعلى ذلك الأمر كانت معمودية يحيى بن زكريا (يوحنا المغطساتى أو المغسلاتى الذى يصفونه بالمعمدان) والذى تعمَّد المسيح عليه السلام على يديه ليكون قدوة لأتباعه مِن بعده حسب قول المسيح عليه السلام : " **قد جعلت لكم من نفسى قدوة لتصنعوا أنتم أيضاً ما صنعت إليكم** " (إنجيل يوحنا نسخة الآباء ١٣ : ١٥) .

فكأنهم يُغيِّرون بمعمودية الكنيسة دين الفطرة الإلهية إلى دين آخر هو دين الكنيسة ولذلك قالوا بأنَّ المعمودية سِرّ . وهذا السِرّ لا يتكرر فى حياة الإنسان حتى ولو ترك دين الكنيسة ثم عاد إليه مرة أخرى طبقا لما جاء فى قانون الإيمان " نعترف بمعمودية واحدة " .

وهذا خلاف **معمودية التوبة** التى نادى بها يحيى بن زكريا عليه السلام وفعلها وعمَّد بها المسيح عليه السلام . تلك المعمودية الشرعية التى جاء بها يحيى وعيسى عليهما السلام التى تتكرر كلما أخطأ الإنسان تجاه نفسه وربه فيتوب ويغتسل ليتوب الله عليه . والمعمودية الشرعية التى كان عليها المسيح عليه السلام وجعل نفسه بها قدوة لأتباعه تختلف عن معمودية الكنيسة الأولى التى نادى بها بولس وتختلف أيضا عن المعمودية التى تمارسها كنيسة اليوم كما سنرى ذلك بإذن الله .

وإليكم تأريخا مبسطا للمعمودية :

ظهر يَحْيَى بن زكريَّا عليه السلام - المعمدان - فى البرية ينادى **بمعمودية التوبة** لمغفرة الخطايا (مرقس ١ : ٤) . وهذا أمر جديد فى الديانة الإسرائيلية . فتعميد الإسرائيليين للتوبة والإنابة إلى الله لم يكن معروفا عندهم قبل عصر يَحْيَى عليه السلام . وإنما كان المعروف عندهم هو تعميد - أى الغسل بالماء - غير الإسرائيليين لِيَدْخُلوا فى ديانتهم . فالتعميد فى الماء الجارى عندهم لم يكن له معنى سوى النظافة فقط وإزالة النجاسة الكفرية ، كما هو الحال الآن لمن يدخل فى الدين الإسلامى .

فجاءهم يَحْيَى عليه السلام بشكل جديد للغسل ، طلبا لمغفرة الخطايا والذنوب . وهو أن يقوم بتغطيسهم فى مياه نهر الأردن الجارية مع وضع يده الشريفة عليهم والتكلم بكلمات وأدعية لله تعالى لم تدوّن لنا الأناجيل منها شيئا يُذكر . كلمات وأدعية تؤدى إلى قبول التوبة الصادقة والاستقامة عليها وإظهار ثمارها بينهم عملا بأحكام شريعة التوراة وبعيدا عن تقاليد الشيوخ فتغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم السابقة بإذن الله تعالى . وتسابق الناس إليه جموعا وجماعات بغية الحصول على التوبة الصادقة وكان من بينهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

ويُعتبر هذا تعليم تشريعى جديد على بنى إسرائيل آمن به المسيح عليه السلام وعمل به . فذهب ابن مريم عليه السلام إلى ابن زكريًا عليه السلام ليتعمد على يديه فى مياه الأردن فعَمَّدَهُ يَحْيَى عليه السلام " **ليتما معا كل برّ** " (متى ٣ : ١٥) .

فدخل ابن مريم عليه السلام فى زمرة التائبين المغتسلين مِن خطاياهم تأكيدا على صحَّة دعوة يَحْيَى عليه السلام ورسالته وليكون المسيح عليه السلام قدوة لأتباعه مِن بعده . لا لكون المسيح مذنبا أو خاطئا فمعاذ الله أن يكون كذلك . فقد بيَّنَ عليه السلام أنه كان قدوة لأتباعه فى شخصه وفى أعماله وأقواله . فمِن أقواله الرائعة حسب ما جاء فى إنجيل يوحنا (١٣ : ١٥ نسخة الآباء اليسوعيين) قوله " **قد جعلت لكم من نفسى قدوة لتصنعوا أنتم أيضاً ما صنعت إليكم** " .

فهل صنع الأتباع صنيع المسيح ..!؟

لا .. لم يحتذوا بالقدوة الصالحة . وخالفوا ذلك التعليم الربَّانى ، وتركوا صنيع معلِّمهم وقدوتهم . وتابعوا صنيع بولس الطرسوسى ومسيحه **الجِنِّىّ** يسوع النصرانى [١] . بولس الذى لم تعجبه معمودية يَحْيَى وعيسى عليهما السلام . فجاء بمعمودية جديدة ..

---

(١) .. راجع كتابى " الجنّىّ يسوع النصرانى مسيح بولس " فإنه هام جدا وجديد فى مادته .

جاء فى أعمال الرسل (١٩ : ٢ ـ ٧) عندما ذهب بولس إلى أفسس وجد فيها بعضا مِن أتباع يَحْيَى عليه السلام فقال لهم : " هل نلتم الروح القدس حين آمنتم ..!؟ فقالوا له : لا ، بل لم نسمع أنَّ هناك روح قدُس . فقال فأية معمودية اعتمدتم ..!؟ قالوا : **معمودية يَحْيَى** .

فقال بولس إنَّ يَحْيَى عَمَّدَ معمودية توبة داعيا الشعب إلى الإيمان **بالآتى بعده** (مع ملاحظة أنَّ المسيح كان معاصرا له ولم يأت بعده مما يدل بداهة على أن مسيح بولس جاء من بعد المسيح ابن مريم عليه السلام) . فلمَّا سمعوا ذلك اعتمدوا باسم الرَّب يسوع ووضع بولس يديه عليهم ، فنزل الشبح المقدَّس ـ حسب نسخة الملك جيمس المعتمدة (holly gost) ـ عليهم وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون " ..!!

هل شاهدتم كيف تعمَّد التلاميذ بمعمودية يَحْيَى وعيسى فجاء بولس وأدخل المعمودية باسم الرب يسوع ..!! فلم تعجبه قدوة المسيح عليه السلام وفعله وإقراره بصحة معمودية يَحْيَى . وبالتالى فإنَّ المسيحية البولسية فى مبدأ أمرها ـ من بعد بولس ـ لم تعجبها تلك المعمودية أيضا ـ أى معمودية بولس ـ فقال أتباعها بمعمودية الدَّم [1] التى اخترعت فيما بعد .

والكنائس الآن لا تعمل بمعمودية يَحْيَى وعيسى ولا حتى بمعمودية بولس ولا بمعمودية الدم وإنما تعمل بمعمودية أخرى وردت فى نصّ مزعوم فى إنجيل متىّ الذى لم يكن له وجود فى عصر بولس .

لقد وصفت الأناجيل معمودية كل من **يحيى وعيسى** عليهما السلام بوضوح وهى منافية تماما لمعمودية الكنائس . ومِن الغريب حقا أن ينعقد مجمع ترنت (Council of trent) ليقرر **لعن** كل شخص يقول بأنَّ المعمودية المسيحية تشابه معمودية يَحْيَى عليه السلام .

---

(١) .. قالوا بأنَّ الإستشهاد فى سبيل الإيمان المسيحى قبل المعمودية يعادل المعمودية ، ويُدعى عندهم بـ معمودية الدمّ .

وطالما أنَّ معمودية عيسى ﷺ كانت نفس معمودية يَحْيَى ﷺ وطالما أنَّ معمودية يَحْيَى كانت كافية لغفران الخطايا فلا معنى للقول المنسوب إلى يَحْيَى فى إنجيل يوحنا (١ : ٢٩) عندما رأى المسيح فقال : " هذا حَمَلُ الله الذى يُزيل خطيئة العالم " ..!! ولئن كانت مياه الأردن كافية لغفران خطايا الناس فلا داعى لسفك دم يسوع لأجل نفس الغرض ..!!

والملاحظ أيضا أنَّ لوقا تلميذ بولس قال فى سفر الأعمال أنَّ التعميد الذى كان تلاميذ المسيح يجرونه على الأتباع مِن بعد انتهاء بعثة المسيح ﷺ كان باسم عيسى فقط (أعمال ٨ : ١٦) . فاقرار لوقا بأنَّ المعمودية باسم عيسى لم تكن تتم بالروح القدس يعتبر برهانا حاسما على أنَّ المسيح ليس هو المقصود بالشخص الآتى - من بعد ابن زكريا - الذى يُعَمِّد بالروح القدس والنار . فلا يوجد نصّ واحد فى الأناجيل يفيد أنَّ المسيح ﷺ قد عَمَّد أحدا بمعمودية الدَّم أو بالمعمودية التى تجرى حاليا فى الكنائس . **إنَّ معمودية عيسَى كانت استمرار لمعمودية يَحْيَى ليس أكثر .**

المهم أنَّ التعميد بالماء الجارى فيه معانى طهارة العقل والقلب ونظافة الجسم والثياب والمكان . وحسب شريعة يَحْيَى ﷺ نجد فيه كل المعانى السابقة مُضافا إليها التوبة ومغفرة الذنوب والخطايا .

لقد قال يوحنا فى إنجيله (٣ : ٢٢ - ٢٣) " وذهب **يسوع** وتلاميذه بعد ذلك إلى بلاد اليهودية وأقام فيها معهم ، وأخذ يُعَمِّد . وكان **يَحْيَى** أيضا يُعَمِّد فى عين نون بالقرب مِن ساليم ، لأنَّ المياه هناك كانت كثيرة . فكان الناس يأتون ويتعمَّدون " . فها هما نبيَّا الله **يَحْيَى وعيسى** عليهما السلام **يُعَمِّدان الناس فى وقت واحد** . بطريقة واحدة بالماء الجارى وليس بالروح القدس والنار ، أو حتى باسم الثالوث . لقد مارس **عِيسَى** ﷺ المعمودية تماما كما كان يفعل **يَحْيَى** ﷺ فى جداول المياه وأمر تلاميذه أن يفعلوا الشيء نفسه مما يُبيِّن تماما أنه لم يكن الشخص المقصود الآتى بعده والذى يعمد بالروح وبالنار .

لقد كانت معمودية كل مِن يَحْيَى وعيسى عليهما السلام رمزا لدخول التائبين فى زمرة المؤمنين بالرسول الخاتم ﷺ الذى سيأتى مِن بعدهما . وكما كان الختان علامة على دين إبراهيم ﷺ ومَن تبعه مِن المؤمنين ، كان الختان إشارة إلى نبىّ الختان والختام ﷺ ولذلك أطلقوا عليه فى بشاراتهم الكتابية بنبىّ الختان ﷺ [1] .

وهنا كانت المعمودية بالماء الجارى علامة على شريعة يَحْيَى وعيسى عليهما السلام . **فمعمودية عيسَى كانت استمرار لمعمودية يَحْيَى لا أكثر** . فيها التوبة والإنابة إلى الله وطهارة الجسد والروح ، وتلك أمور لا تكون غالبا إلا عند الشعور باستقبال الآخرة وإدبار الدنيا .. كأنها إيذان بانتهاء شريعة بنى إسرائيل وإقبال الشريعة الخاتمة التى وصفها المسيح عليه السلام بكلمة الكل : " **حتى يكون الكل** (παυτα) " (متى ٥ : ١٨) .

فقال المسيح عليه السلام وهو يُؤكد لقومه أنه ما جاء لإلغاء أحكام التوراة وشريعتها ولكنه جاء مصدقا بها والعمل بأحكامها والسير على منهاج الأنبياء مِن قبله ، وسوف يستمر هذا الأمر مِن بعده إلى أن تأتى **الشريعة الكل** فقال عليه السلام : " لا تظنوا أنّى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس **حتى يكون الكل** (παυτα) " (إنجيل متىً ٥ : ١٧ ـ ١٨) .

فمعنى المعمودية (معمودية التوبة) التى نادى بها كل مِن يحيى وعيسى عليهما السلام لا يزال معناها هو الذى كان مستخدما عند بنى إسرائيل الغسل الكامل لمن أراد الانخلاع من كفره والدخول إلى دين بنى إسرائيل .. مضافا إلى معناها التوبة الكاملة والاستعداد للدخول فى **الشريعة الكل** عندما تأتى . تلك الشريعة التى تكون فيها المعمودية بالروح القدس وبالنار [2] كما سيأتى بيانه بإذن الله تعالى .

---

(١) .. راجع كتابى " نبىّ أرض الجنوب " لتعرف شيئا عن البشارات الجديدة عن نبىّ الإسلام ﷺ .
(٢) .. راجع التفصيل والأدلة فى كتابى : " يحيى أم يوحنا ..!؟ " .

إنَّ التعميد فى أصل معناه عند أتباع يَحْيَى بن زكريا ـ **المُغتسلة** أو **المندعيين** التى سبقت الاشارة عنهم ـ هو **الصبغ** بإبدال الهمزة إلى غين حسب لغتهم الآرامية أى الصبأ ومنها الصابئين و الصابئون القرآنيتين . وهى كلمة تدل على نفوذ ماء الطهارة إلى الروح والقلب بقوة الشريعة الرَّبَّانية المُعَبَّر عنها بالنار حسب النصوص التوراتية . وهذا المعنى هو الذى نجده فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **صبغة الله** ومَن أحسن مِن الله **صبغة** ونحن له عابدون ﴾ (الآية ١٣٨ / سورة البقرة) .

إنَّ المعمودية بالروح والنار فى حقيقتها هى الهداية الإلهية فكما يصبغ الصباغ الصوف أو القطن بصبغة تعطيه لونا جديدا ، وكما يوضع الحديد فى النار لإزاله خبثه ، كان يمحو يَحْيَى عليه السلام **بإذن الله تعالى** الخطايا السابقة للمؤمنين التائبين بتغطيسهم فى المياه الجارية . والإسلام لا يصبغ الجسم بتغطيسه فى مادة الصبغ بل يتركه على حاله الأصلى الفطرى (صِبغة الله) الذى يولد عليه الإنسان . فيتولاه الله برحمته ويهديه لدين الإسلام ﴿ **فطرة الله** التى فطر الناس عليها ﴾ .

لقد وصف يَحْيَى هذه المعمودية بالروح والنار لرسول الله ﷺ **الأقوى منه** باعتباره رسولا من الله إلى الناس كافة ووسيلة يتم عن طريقها ذلك الصبغ الإلهى . لقد بلَّغ محمد ﷺ رسالة الله وكان يقيم الصلاة ويوتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤدى باقى الشعائر الدينية . ويخوض الحروب ضد الكفرة والوثنيين للدفاع عن قضيته ، وكان النجاح والنصر من عند الله .

وبنفس الطريقة التى وعظ بها يَحْيَى وعَمَّد ، كان قبول التوبة والكفارة وطرح الخطايا من عند الله وليس مِن عند يَحْيَى . وإنَّ قوله عليه السلام : " إنَّ الذى يأتى بعدى **أقوى منى** ، وسوف يعمدكم بالروح وبالنار " (متى ٣ : ١١) قد تحقق وظهر للناس صدقه عن طريق محمد ﷺ فقط [١] . وصدَقَ المسيح عليه السلام حين قال فى

---

(١) .. فيحيى وعيسى عليهما السلام حسب الأناجيل التى بأيدى المسيحيين قد قتلا ولم يهزما أحد من طواغيت عصرهم ، و**محمد** ﷺ كان هو **الأقوى** .. فدحر الامبراطورية الرومانية وأباد ملك كسرى ، وجمع المؤمنين تحت لوائه ، وساق المشركين إلى النار وبئس القرار . راجع التفصيل فى كتابى " يحيى أم يوحنا ..!؟ " .

معرض الكلام عن التمييز بين الأنبياء الصادقين والأنبياء الكذبة " **مِن ثمارهم تعرفونهم** " (متى ٧ : ١٦) .

ويصعب تحديد الوقت الذى بدأت فيه المعمودية المسيحية بصيغتها الحالية فى الكنائس . وسوف نناقش سويًا النصّ الإنجيلى الآتى ونتعرَّف على مدى مصداقيته ومطابقته للواقع المسيحى ..

جاء فى آخر إنجيل متى (٢٨ : ١٩) قول المسيح عليه السلام لتلاميذه الأحد عشر : " **فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس** " . قيلت هذه الفقرة حسب اعتقاد المسيحيين جميعا مِن بعد حادثة صلب يسوع وموته وانتهاء بعثته الأرضية . وهى فقرة انفرد بذكرها إنجيل متىّ الموجود بين أيدينا ، ولا أثر لها فى الأناجيل الثلاثة أو سفر أعمال الرسل الذى هو تسجيل لسير الدعوة من بعد حادثة الصلب مباشرة . اضافة إلى أنَّ إنجيل متى لم يكن أول الأناجيل كتابة .

وتتكلم هذه الفقرة على صيغة التعميد الذى يعتبر من أساسيات الاعتقاد المسيحى . ويعتقد المحققون مِن علماء المسيحية أنَّ نصّ متىّ السابق لو كان صحيحا لاستشهد به بولس فى وجه التلاميذ المناهضين له . ولكتبه مرقس فى إنجيله المكتوب قبل إنجيل متى أو كتبه لوقا ويوحنا مِن بعد متى فى إنجيليهما . فلم تعرف تلك الصيغة لا قبل متىً ولا بعده حتى القرن الثالث وربما بعده ..!!

فصيغة التعميد الواردة هنا بـ (**اسم الآب والابن والروح القدس**) هى صيغة لا وجود لها فى التاريخ الكنسى أبَّـان فترة عصر التلاميذ وما تلاها كما لا يوجد نصّ يماثل هذه الصيغة فى كل أسفار العهد الجديد .

فلا يُعْرف فى المسيحية نص واحد يفيد بأنَّ المسيح عليه السلام قد عَمَّدَ أحد تلاميذه أو أنه قد تعمَّدَ بهذه الصيغة . فالمعمودية عند اليهود كانت ولا تزال تشبه الوضوء أو الغسل بالماء عند المسلمين . علامة للطهارة وللدخول فى دين اليهودية إلى أن جاء يَحْيَى بن زكريًا عليه السلام وشرع لهم معمودية التوبة وغفران

الخطايا والاستعداد للدخول فى الشريعة الكل عند مجىء **نبىّ التوبة** [1] . وبهذه الصيغة تعمَّد المسيح على يد يَحْيَى ابن زكريا عليه السلام .

وإذا رجعنا إلى نصوص الأناجيل وسفر الأعمال (٢ : ٣٨ ؛ ٨ : ١٦) نجد أنَّ صيغة التعميد المنسوبة إلى التلاميذ من بعد انتهاء بعثة المسيح عليه السلام **كانت بـ اسم المسيح فقط** . وظلت هكذا فى القرون الأولى من قبل إعلان الثالوث المؤله فى مجمع أفسس سنة ٣٨١ مـ . فها هو المؤرخ الكنسى القديم يوسابيوس القيصرى يذكر نصّ متى موضوع دراستنا هكذا " **اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم بـ اسمى** " . وهذا النصّ لا يوجد الآن فى نسخ إنجيل متى المتداول الآن مما يوحى بأنَّ صيغة التثليث ألحقت بالإنجيل من قِبَل الكنيسة فيما بعد القرن الرابع (راجع التفسير الحديث لإنجيل متىً الذى تصدره دار الثقافة ص ٤٦٣) .

وخلاصة القول : أنَّ نصّ متى (٢٨ : ١٩) غير صحيح ، وهو إلحاقى أضيف إلى الإنجيل لتحقيق غرض الكنيسة فى إعلان عالمية الدعوة . كما أنه لا يثبت أمام النصوص المنقولة عن المسيح عليه السلام إبَّان فترة بعثته . أو النصوص المذكورة عن التلاميذ وأتباعهم فى الثلاث قرون الأولى .

متى تم وضع قانون التعميد بـ اسم الثالوث ..!؟

لقد غيَّرت الكنيسة صيغة التعميد مِن " بـ اسم المسيح " إلى " بـ اسم الآب والابن والروح القدس " (دائرة المعارف البريطانية ط ١١ مجلد ٣ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ؛ دائرة معارف الكاثوليك ج ٢ ص ٢٦٣) . ولقد كانت الكنيسة الأولى تعمد بـ **اسم المسيح** إلى أن تم اعتماد الثالوث فيما بعد (دائرة معارف كانِّى للأديان) .

وتقول دائرة معارف هاستنجس للأديان (ج ٢ ص ٣٧٧ ، ٣٨٩) " كان المسيحيون يستخدمون الصيغة بـ اسم عيسى (the name of Jesus) حتى عصر جاستن مارتين عندما اعتمد الثالوث (ج ٢ ص ٣٨٩) .

---

(١) .. من أسمائه صلى الله عليه وسلم " نبىّ التوبة " كما ورد فى صحاح الأحاديث عنه ﷺ .

قرَّائى الأعزَّاء ..

وبعيدا عن المراجع والموسوعات الكتابية .. انظروا معى بتمعن لقول المسيح عليه السلام الوارد فى إنجيل متىً (٢١ : ٢٥ ـ ٢٦) وهو يقول لشيوخ قومه وعظماء كهنتهم : " مِن أين جاءت معمودية يَحْيَى : أمِنَ السماء أم مِن الناس ..!؟ فقالوا فى أنفسهم : إن قلنا مِن السماء .. يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به ؟ وإن قلنا مِن الناس نخاف الجمع لأنهم كلهم يعُدُّون يَحْيَى نبيًا " .

وهذا السؤال لا يزال مطروحا إلى الآن أمام أتباع الكنائس ..

فإن كانت معمودية يَحْيَى مِن السماء وهى كذلك ، وقد تَعَمَّد بها المسيح عليه السلام ولم يثبت أنه قد تعمَّد بغيرها ، فلماذا لا تؤمنون بها ..!؟

ولا يزال قول المسيح عليه السلام يُسمَع صداه فى أذن المؤمنين به " **قد جعلت لكم من نفسى قدوة** " . فهل أنتم منتهون أيُّها المسيحيون عمًّا تفعلون وترجعون إلى القدوة الصالحة ..!!؟

هل هناك فرق بين معمودية يحيى ومعمودية المسيح ..!؟

فى الحقيقة لا فرق بينهما ، ولكن سوء الفهم وإنزال النصوص فى غير موقعها أدَّى إلى القول باختلاف المعموديتين . فقال يحيى بن زكريا عليه السلام : " أنا أعمدكم بالماء والتوبة . وأمَّا الذى يأتى بعدى **فهو أقوى منى** وأنا لا أستحق أن أنحنى وأحل سيور حذائه . وهو يعمدكم بالروح القدس والنار " (متى ٣ : ١١ ؛ مرقس ١ : ٧) .

ولم يأت بعد يحيى سوى نبىّ الإسلام **مُحَمَّد** صلى الله عليه وسلم لأنَّ المسيح كان معاصرا ليحيى ، وقبوله لتعميد يحيى له فى مياه الأردن كان تأكيدا على صلاحية ذلك التعميد فى ذلك الزمان ، أقصد زمان يحيى وعيسى عليهما السلام . ومارس المسيح التعميد بنفس طريقة يحيى كما سبق بيانه .

ولكن الكنائس تزعم أنَّ معمودية يحيى عليه السلام غير قادرة على تطهير النفوس ومغفرة الخطايا وإنما هى تهيىء الطريق لقبول مغفرة الخطيئة الأصلية التى ارتكبها أبونا آدم ..!!

بمعنى أنَّ معمودية يحيى كانت تثير فقط الشعور بالندم وليتقبل الناس المعمودية الجديدة التى أتى بها بولس والكنيسة من بعده ..!!
ويزعمون أنَّ معمودية الكنيسة الآن تتم بفعل الشبح المقدَّس الذى يخترق أعماق النفس ليطهرها ويطورها ويطوّعها لأوامر الكنيسة ..!!

عودة إلى سِرّ المعمودية :

لقد اشترطوا لصحة سِرّ المعمودية فيمن يُجْرَى عليه العماد : أن يتوب عن حياة الخطية ، وأن يؤمن بعمل يسوع الكفارى على الصليب ، وأن تكون عنده الرغبة على الحياة تحت قيادة الكنيسة . هذا بخصوص البالغين الداخلين فى دين الكنيسة . أمَّا بخصوص الأطفال فيحل الأشابين [1] محل الأطفال المعمدين لاستيفاء هذه الشروط حتى إذا ما بلغوا سِنّ الادراك يلقنونهم هذه التعاليم لتصبح هى رغبتهم الشخصية .

مكان اتمام سِرّ المعمودية :

لما كانت المعمودية هى الخطوة الأولى لدخول المعمَّد إلى الكنيسة ، وجب أن لا تتم إلا فى الكنيسة وعلى يد كاهنها المشرطن . ولا تزال فى الكنائس القديمة أجران ماء خاصة للمعمودية .

كيفية اتمام سِرّ المعمودية :

تمارس الكنيسة الأرثوذكسية سِرّ المعمودية بتغطيس المعتمد ثلاثا فى الماء باسم الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس . وفى بعض الكنائس الأخرى يُجرى التعميد بالاكتفاء برش الماء ثلاثا بدلا من التغطيس كاملا فى الماء . وقد ابتدعت الكنيسة المصرية عيد الغطاس فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة المصرى . فالقبط ـ مسلمون ومسيحيون ـ كانوا قديما يحتفلون به فوق مياه النيل الجارية كما قال الجبرتى فى تاريخه ، على أساس أنه عادة مصرية قديمة لا علاقة لها بسر المعمودية المسيحى . أمَّا الآن فلا يحتفل بعيد الغطاس إلا المسيحيون فقط .

---

(١) .. الأشابين جمع أشبين وهو العرّاب الذى يضمن تربية الطفل تربية مسيحية أرثوذكسية ، ويعلمه حقائق الإيمان ويتعهد بذلك أمام الكنيسة . فهو عبارة عن كفيل يتعهد بأن يتمم بعد المعمودية ما كان غير ممكن قبلها . فعلى العراب مسئولية كبيرة أمام الرب ، لأنه بمثابة أب روحى للطفل .

وللقارىء أن يسأل ذلك السؤال الفطرى :

إذا كانت صيغة التعميد الصحيحة تجرى باسم الآب والابن والروح القدس .

فهل يعرفون اسم الآب الذى بينه المسيح لقومه ..!!؟

وهل يعرفون اسما واحدا يجتمع عليه مسيحيو العالم أجمع للمسيح عليه السلام ..!!؟

وما هو اسم الروح القدس الذى أشار إليه يوحنا بكلمة بارقليطا الآرامية ..!!؟

وهل هناك اسم واحد جامع لـ (الآب والابن والروح القدس) أم هناك ثلاثة أسماء لا يعرفونها حاليا ..!!؟

ـ لقد أظهر وبيَّن المسيح عليه السلام لقومه اسم الآب وعَرَّفه لهم من بعد أن طمسَ معالمه علماءُ بنى إسرائيل ومنعوا الناس مِن نطقه والتلفظ به . فقال عليه السلام مناجيا لربِّه كما جاء فى إنجيل يوحنا (١٧ : ٦ ، ٢٦) :

" **أظهرت اسمك للناس** الذين وهبتهم لى من العالم " و " **قد عَرَّفتهم اسمك** وسأعرِّفهم أيضا " . فأى اسم هذا الذى أظهره المسيح عليه السلام لقومه ..!؟

وأى اسم هذا الذى عَرَّفهم إيَّاه [١] ..!؟

لقد خلت الأناجيل تماما من ذكر ذلك الاسم المقدَّس الشريف . فمن يا ترى الذى حذف الاسم المقدَّس من الأناجيل الحالية ..!؟

ـ أمَّا عن اسم الابن فأقول : هل هو **يسوع** المذكور فى الأناجيل العربية والذى لا يعرفه أحد من غير العرب ..!؟ أم هو **جيسس** المذكور فى الأناجيل الإنجليزية ..!؟ أم **هيسُوس** المذكور فى الأناجيل الأسبانية ..!؟ أم هو **جايزو** المذكور فى الأناجيل الإيطالية ..!؟ أم **ياسوس** أو ييسوس المذكور فى الأناجيل الألمانية ..!؟ لا أحد يعرف النطق الصحيح لاسم الابن . ومن يعرف لا ينطقه ولا يتلفظ به خوفا من رجال كنيسته [١] ..!!

ـ وعن اسم الروح القدس الذى انفرد يوحنا الإنجيلى بذكره (بارقليطا) والتى تكتب فى اليونانية باركليتا فى كل من رسالته الأولى (٢ : ١) وإنجيله

---

(١) .. راجع كتابى " معالم أساسية ضاعت من المسيحية " لتعرف الإجابة الشافية .

(١٤ : ١٦ ، ٢٦ ؛ ١٥ : ٢٦ ؛ ١٦ : ٧) . فقد اختلف المترجمون فى ترجماتهم لذلك المصطلح اليوحناوى (راجع كتابى نبىّ أرض الجنوب لتعرف الإجابة ودلائل صدقها) .

تلك هى **بعض المعالم** التى فقِدَت منهم : اسم الآب ؛ واسم الابن ؛ واسم الروح القدس . ومع ذلك يقولون باسم الآب والابن والروح القدس ..!!
وتلك أسماء ثلاث مفقودة فى أناجيلهم ولا يعرفونها على الوجه الصحيح ومع ذلك فهم يُصِرُّون على تمريرها فى صيغة اسم واحد - لا يعرفونه أيضا - يُعَمِّدون به رغم الجهل الفادح بها وبه ..!!

جاء فى يوحنا (٤ : ١ - ٢) : " ولما عرف الرب (κυριος) [١] أنَّ الفريسيين سمعوا أنه يتخذ تلاميذ ويُعمِّد أكثر من يوحنا (يحيى) ، مع أنَّ يسوع نفسه **لم يكن يُعمِّدُ** بل تلاميذه " . وفى يوحنا (٣ : ٢٢) " وذهب يسوع وتلاميذه بعد ذلك إلى بلاد اليهودية وأقام فيها معهم **وأخذ يُعمِّد** . وكان **يوحنا أيضا يُعمِّد** فى عين نون بالقرب من ساليم لأنَّ المياه هناك كانت كثيرة فكان الناس يأتون ويتعمدون " .
يسوع لم يكن يُعمِّد أحدا ، وفى نفس الإنجيل كان يسوع يُعمِّد ..!!

إذا دققنا نظرنا إلى أسفار العهد الجديد نجد دائما وفى معظم الحالات تأتى كلمة التعميد متبوعة أو مسبوقة بالتوبة والإيمان بالإنجيل (أعمال ٢ : ٣٨ ؛ مرقس ١٦ : ١٦) . فمن لم يتب فلا تعميد له وبذلك تنهار أسطورة تعميد الأطفال لأنَّ الأولاد الصغار لا توبة لهم إلى أن يبلغوا الحُلُم .

وهذا ما حدث مع يحيى بن زكريا (متى ٣) بقوله : " يا أولاد الأفاعى .. أثمروا ثمرا يليق بالتوبة ... فأنا أعمدكم بالماء لأجل التوبة " .
ومثله قاله سمعان كبير الحواريين فى رسالته الأولى (٤ : ٢١) وهذه الفقرة محذوفة للأسف الشديد فى النسخ العربية . والمسيح لم يتعمد إلا فى سِنّ الثلاثين

---

(١) .. الأصل اليونانى هنا فيه كلمة كيريوس وهى بمعنى السيد ، وفى بعض النسخ الأخرى نجدها مكتوبة عيسو (Ιησους) .

كما تزعم الأناجيل . فلا تعميد للأطفال فى الكتاب لأنَّ لهم الملكوت وهم لم يخطئوا بعد حتى يتوبوا . وانظروا إلى مَن تَعَمَّدَ فى منتصف الليل عقب توبته (أعمال ١٦ : ٣٣ ، ٨ : ٣٦ - ٣٩) . وهذا يدل على أنَّ الخلاص المزعوم يأتى عقب التوبة وليس عقب التعميد .

إنها متاهة ضاعت فيها الأصول والفروع ، فبحثوا فى الغيبيات وتركوا ما جاءهم به المسيح ابن مريم من بينات ظاهرات . واتبعوا ما تلاه عليهم معلمهم بولس قديما : " .. نرفع أنظارنا عن الأمور المنظورة ونثبتها على الأمور غير المنظورة ، فإنَّ الأمور المنظورة إنما هى إلى حين ، وأمَّا غير المنظورة فهى أبدية " (٢ كورنتوس ٤ : ١٨) .

مع التعميد وصِيَغه :

دائما نجد صيغة التعميد فى سفر الأعمال الذى هو بمثابة تاريخ المسيحية فى فترة عصر التلاميذ كما يقولون . نجده دائما يذكر صيغة التعميد باسم المسيح فقط ولا وجود للأقانيم الثلاثة الواردة فى فقرة متى (٢٨ : ١٩) . راجع الأعمال (٢ : ٣٨ ؛ ٨ : ١٦ ؛ ١٠ : ٤٨ ؛ ١٩ : ٥) كما لا وجود لصيغة متى عند بولس (١ كورنتوس ١٥ ؛ ١ كو ٦ : ١١ ؛ كولوسى ٣ : ١٧) . وحتى صيغة متى المعنية ذكرها يوسابيوس فى تاريخه باسم المسيح فقط مما يشير إلى أنها موضوعة من قبل الكنيسة .

فهناك وثائق كثيرة تثبت أنَّ المسيحيين الأوائل كانوا يعتمدون باسم المسيح فقط (**إمَّا** بـ اسم يسوع فقط **وإمَّا** بـ اسم يسوع المسيح **وإمَّا** بـ اسم الرب) . فقالت دائرة المعارف الكاثوليكية " يبدو أنَّ المسيحيين الأوائل كانوا يعمدون بـ اسم يسوع " . ففى دائرة المعارف البريطانية (Voi.3, page 369) إشارة إلى عدة وثائق قديمة سجلت نصّ متى (٢٨ : ١٩) أنَّ المسيح قال فيه " باسمى " وليس كما قال متى " باسم الآب والابن والروح القدس " . وللقارىء هنا أن يراجع لمزيد التفصيل متى ظهرت صيغة التعميد المثلث التى تقول بها الكنائس حاليا [١] .

---

(١) .. راجع كل من : (Encyclopedia Biblica, Vol. 1 ؛ Bible Encyclopedia, page 392) .

فالتعميد باسم المسيح فقط هو الموجود فى الوثائق والمخطوطات الكتابية . أمَّا صيغة متى التى تعمل بها الكنائس اليوم فلا ترجع إلى أصل كتابى أو تاريخى . وإنما ترجع إلى قوانين مجامع وتقاليد بالية . صيغة تطورت حسب تطور العقيدة من التوحيد إلى التثليث منذ القرن الثالث والرابع الميلاديين . وعلى تلك النتيجة قال معظم علماء النقد واللاهوتيين .

ولكى نفهم معنى التعميد وغرضه لا بد مِن الكلام عن معناه فى فترتين منفصلتين : **فترة بعثة المسيح وما قبلها** .. حيث كانت شريعة التوراة هى المبينة لمعناه ، وأفعال يحيى وعيسى عليهما السلام هى الدالة عليه . إنه الغسل بالماء طلبا لطهارة الجسد والروح بغية التوبة الصادقة ومغفرة الذنوب كما سبق بيانه . ثم **فترة ما بعد بعثة المسيح** ﷺ .. وهى فترة ما بعد الصلب المزعوم حيث كان التعميد النظري بالروح القدس والنار أى أنه كان التعميد المنتظر حدوثه والمُبشر به حسب أقوال كل مِن يحيى وعيسى عليهما السلام (متى ٣ : ١١) . وكان التعميد العملي يجرى بين المسيحيين فى تلك الفترة باسم المسيح فقط وإن اختلف الغرض منه بين أصحاب كنيسة الختان (النصارى) وبين أتباع بولس (المسيحيين) . ثم **تطورت صيغة التعميد** إلى بـ اسم الآب والابن والروح القدس منذ القرن الرابع والخامس على التوالى .

والمعمودية فى الكتاب كله لا تعنى سوى الاغتسال أو التطهير . فنقرأ فى المزمور ٥١ مثلا قول داود ﷺ فى تضرعه إلى الله " طهرنى بالزوفا فأطهر . اغسلنى فأبيض أكثر من الثلج " . ودعاء داود السابق يُشابه دعاء النبىّ الخاتم ﷺ الذى يقول فيه " اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد " . فالمشكاة واحدة يأخذ منها كل النبيين . فالله سبحانه وتعالى هو الذى يمحو الذنوب عن عباده التائبين .

والتعميد كان أساسا بـ اسم الله ، ذلك الاسم الآرامى الذى أعطاهم إيَّاه المسيح وعلمه لهم .. ولكن التحريف تحول به إلى اسم الرب ثم إلى اسم المسيح ثم إلى اسم " الآب والابن والروح القدس " .. والدليل كما هو آت :

كما أنَّ **اسم** " الآب والابن والروح القدس " وارد بصيغة الافراد عن ثلاثة أشخاص .. فكيف يُعقل أن يكون للثلاثة نفس الاسم ..!!؟
هل هو الله رب العالمين ..!!؟ أم غيره ..!؟ إنَّه الله بلا أقانيم ولا تثليث . **إنه الاسم الذى أظهره لهم المسيح ﷺ وبينه لهم أثناء بعثته .**

قال المسيح ﷺ مناجيا لربِّه كما فى إنجيل يوحنا (١٧ : ٦ ، ٢٦) على التوالى : " **أظهرت اسمك للناس** الذين وهبتهم لى من العالم " و " **قد عَرَّفتهم اسمك** وسأعرِّفهم أيضا " . ذلك الاسم الذى أظهره المسيح وعرَّفه لقومه هو الاسم الذى يتم به التعميد الصحيح . فلا يجب أن نأخذ هذا النصّ المتاوى الحاوى للتثليث منفردا ونهمل النصوص الواردة فى التعميد . كما أنَّ التعميد كان قاصرا على قوم المسيح ﷺ وليس إلى العالم أجمع وأدلة ذلك الأمر واضحة جلية فى النصوص قد بينتها فى كتبى السابقة فلا داعى للتكرار .

قال مرقس (١٦ : ١٥) " اذهبوا إلى العالم أجمع وبشِّروا الخليقة كلها بالإنجيل . **مَن آمن وتعمد خلص** ، ومن لم يؤمن فسوف يدان ... " . ولم يذكر الاسم فى التعميد مع أنَّ النصّ ليس من إنجيل مرقس الأصلى فهو من إضافات الكنيسة لنهاية إنجيل مرقس باعتراف معظم علماء المسيحية . ونصّ مرقس يُشير إلى أنَّ الخلاص لا يكون إلا بعد الإيمان بما جاء به المسيح ثم الاغتسال للدخول فى تلك الدعوة .

وقال لوقا (٢٤ : ٤٧) " وأن يُبشر باسمه بالتوبة وغفران الخطايا فى جميع الأمم انطلاقا من أورشليم " . **فذكر الاسم ولم يذكر التعميد** . وإنما ذكر التوبة وغفران الخطايا فقط . وهذا النص أيضا قيل مِن بعد بعثة المسيح وفيه يقول " وأن يُبشر باسمه .. " ولم يقل باسمى .. إنه اسم **الله** الذى بينه لهم وعلمهم إيَّاه .

وفى الأعمال (٢ : ٣٨) قال بطرس " **توبوا وليتعمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح** فيغفر الله خطاياكم وتنالوا هبة الروح القدس " . فذكر التوبة والتعميد باسم المسيح فقط ولم يذكر عالمية الرسالة . وهنا بدأ الخلط والتشويش على اسم الله الذى أظهره لهم المسيح وبيَّنه لهم فحُذِف تماما من النصوص .. **إنَّه اسم الله** [١] . **فالإيمان منعقد باسم الله** وليس باسم المسيح كما يزعمون وإنما بما جاء به المسيح من عند ربه .

ومِن الضرورى أن نعلم جيدا أنَّ قول بطرس كان فى يوم الخمسين أى بعد موت يسوع المزعوم على الصليب بخمسين يوما وظهور يسوع النصرانى [٢] الذى لم يتعرف التلاميذ على شكله وقالوا عنه " **إنه شبح** " (١٤ : ٢٦) .

بمعنى أنَّ قول يسوع المصلوب كان قبل قول بطرس بحوالى أسبوع لأنَّ الرفع كان فى اليوم الأربعين حسب إحدى تسجيلات لوقا فى سفر أعماله . والمفروض والأقرب للصحة أنَّ بطرس لم ينس قول أستاذه عقب تلك الأيام القليلة . وبالتأكيد كان متى التلميذ ـ إن كان هو كاتب الإنجيل ـ موجودا فى أثناء إلقاء بطرس لخطبته (أعمال ١ : ١٣) ولم نجده يعترض على بطرس ويصحح له كلامه . ولقد عمل التلاميذ بقول بطرس حسب شهادة سفر الأعمال ولم يعملوا بقول متى .

المهم أن نعرف ونحدد ونفهم جيدا أنَّ التوبة كانت لله تعالى ، وأنَّ الله هو مَن يغفر ذنوب عباده . وأنَّ باسم الله الذى أظهره وبيَّنه المسيح عليه السلام كان التعميد .

ولا يمكن أن يكون التعميد باسم المسيح لأنَّ المسيح ويحيى عليهما السلام هما اللذان كانا يُعمدان الناس . ولم يثبت أن عَمَّدَ يحيى أو المسيح أحدا باسم المسيح لأنَّ التوبة كانت لله وحده ولم تكن للمسيح ..!! ومغفرة الذنوب كانت مِن الله ولم تكن مِن يحيى أو المسيح ..!! فمِن غير المعقول أن يقول المسيح باسم يسوع أثناء تعميده للناس ولكنه سيقول باسم الله . هكذا تستقيم الأمور ويعتدل العقل المنكوس ..!!

---

(١) .. راجع الدليل على أنَّ الاسم الذى بينه المسيح هو " الله " وذلك فى كتابى " معالم أساسية .. " .
(٢) .. راجع كتابى يسوع النصرانى لتعرف حقيقة ذلك الشيطان النصرانى . وأيضا كتابى " ولكن شبه لهم " .

لقد مارس التلاميذ على ما يبدو التعميد باسم الله والصلاة والسلام على عيسى رسول الله . فالإيمان " باسم الله وأنَّ المسيح رسول الله " كان هو الأصل الأول مِن أصول الرسالة التى نادى بها المسيح ﷺ حين وقف بين تلاميذه وهو رافعا عينيه إلى السماء داعيا إلهه قائلا وبصوت مسموع : " **هذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك والمسيح عيسى الذى أرسلته** " (إنجيل يوحنا ١٧ : ٣) .

فقرن عليه السلام بين معرفة الله ورسوله الذى أرسله . تماما مثل قولنا " بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله " أو قولنا فى شهادة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله " . وضاع اسم الله مِن على أفواه المسيحيين ومِن فوق صفحات أناجيلهم ، ولم يتبق لهم سوى اسم المسيح الذى تحرَّف أيضا إلى يسوع وجيسس وغيرهم من الأسماء .

وعندما تطورت العقيدة المسيحية وقالت بتثليث الأقانيم تغيَّرت صيغة التعميد واختفى اسم الله تحت مسمى الآب ووُصِف المسيح بالابن وأضيف إليهما الروح القدس كثالث الأقانيم .

فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

السرّ الثانى

﴿ سِرّ الميرون ﴾

ارتبط سِرّ الميرون مع سِرّ المعمودية ، فبعد صبغ المرء بصبغة الكنيسة عن طريق سِرّ المعمودية ، وتحويله مِن دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها إلى دين الكنيسة ، وبعد أن مات المُعَمَّدون فى المسيح وولدوا الولادة الجديدة التى قالت بها الكنيسة . وبعد أن لبس المُعَمَّدون المسيح وتدثروا به (clothed him) ولم يشعروا بشىء بعد بتلك الوفاة والولادة ، ولم يروا المسيح الذى تدثروا به . لجأت الكنيسة خوفا على شعبها مِن عدم تصديقها إلى القول بتثبيت المعمَّدين فى دين الكنيسة . فقالت بسِرّ الميرون .

وهذا السِرّ يُطلق عليه أيضا سِرّ دهن المسحة المقدَّسة . فالمَسح بزيت الميرون هو من أجل تثبيتهم فى المسيحية الكنسية ولتسهيل عملية حلول الشبح المقدَّس (حسب نسخة الملك جيمس المعتمدة holly gost أى الروح القدس فى الترجمات العربية) فى أجساد المُعَمَّدين حسب قول الكنيسة . وبدون المَسح بزيت الميرون تكون المعمودية ناقصة وصِبغة دين الكنيسة لم تتم بعد . كما أنَّ عملية لبس المسيح لم تتم بعد ..!!

والميرون كلمة يونانية معناها زيت مميز الرائحة (١) ، كان يُستخدم فى العهد القديم فى مسح الكهنة وأنبياء بنى إسرائيل وملوكهم . وهذا الزيت يتم طبخه من مجموعة من العطور التى تُذاب فى زيت الزيتون النقى . ويقوم بهذا العمل هنا فى مصر البابا ومعه البطاركة والأساقفة وهم يصلُّون صلوات خاصة مع الألحان الموسيقية الكنسية ..!!

---

(١) .. وللخروج من مأزق حلول الروح القدس فى أجساد المعمدين عقب مسحهم بزيت الميرون يقول البابا شنودة وقد يتأخر حلول الروح القدس فى أجساد المعمَّدين لمدة طويلة ..!!

قلت : ولعل تلك الرائحة الكريهة (الزنخة) التى نشمها فى بيوت جيراننا المسيحيين من أثر تلك المسحة ..!!

وتزعم الكنيسة أنه يُضاف لهذا الزيت خميرة مُقدَّسة من زيت الميرون القديم الذى يحمل جزءًا من الأطياب والحنوط التى كانت عند جسد المسيح أثناء وضعه فى القبر ..!!

والرشم بزيت الميرون تعتبره الكنيسة سِرًا من أهم أسرارها وتسميه سِرّ الميرون أو سِرّ التثبيت أو سِرّ مسحة الروح القدس . وفيه يُرشَم المرء بعد تعميده على كل أعضائه ومفاصله وحواسّه [1] ، ثم يختم بواسطة هذا الزيت بختم المسيح أى بالصليب .

وهذا الزيت لايحِقّ حَملُهُ إلاّ للكهنة فقط ، وبشرط أن يكونوا صائمين إكرامًا لهذا السِّر العظيم . ويزعمون أنَّ هذا الزيت يحمل فاعلية الروح القدس لتقديس الأشخاص والمذابح والأوانى المقدّسة والكنائس والأيقونات لتكون مكرَّسة لله . وفى الحقيقة لا يوجد ذكر لهذا السِّر فى عصر المسيح ﷺ ، كما لا يوجد أى نصّ صحيح فى الأناجيل يفيد مزاولة تلاميذ المسيح له أثناء بعثة المسيح أو بعد انتهائها .

أى نعم هناك زعم كنسى لا دليل عليه ، مصدره أنَّ بعض التلاميذ قد حفظوا ما كان من الحنوط على جسد يسوع حين دفنه مع الحنوط الذى أحضرته النسوة ثم أذابوه فى زيت الزيتون وجعلوا منه دهناً مقدساً خاتماً للمعمودية . وهذا الزعم لا دليل عليه ولذا رفضه الإنجيليون كسِرّ كنسى .

وقد بينت فى كتابى " ولكن شبِّه لهم " أنَّ الأناجيل القديمة والوثائق القبطية التى اكتشفت سنة ١٩٤٥ فى نجع حمادى تقول بأنَّ الذى صُلِب هو البديل وليس المسيح . فالمسيح ﷺ لم يُحنط ولم يُدهن بالميرون ولم يمت وبالتالى لم يُقبر . فلا أصل حقيقى لتلك الترَّهَات والمزاعم الكنسية .

---

(١) .. تأملوا جيدا فى مسح كل أعضاء ومفاصل النساء والبنات البالغات بأيدى الكهنة ، إنهم يقولون بالمسح بدون حائل كالثياب وغيرها ..!!

ويعتبر هذا السِّر هو الثانى فى ترتيب الأسرار ويطلق عليه أحيانا بسِرّ وضع الأيدى . وقد اختير المسح بالميرون ليكون علامه لحلول الشبح المقدس . ربما تقليدا للمسحة المقدسة التى كان كهنة بنو إسرائيل يمسحون بها أنبياءهم وملوكهم ومَن قدَّم لهم خدمات جليلة ليكونو مُسَحَاء ـ جمع مسيح ـ الرب يهوة .

وتقول الكنيسة إنَّ من فوائد مِسْحَة الميرون **التثبيت** فى الإيمان الكنسى **وإناره الفهم** ، فلا يحتاج الممسوح إلى مَن يُفَهِّمَهُ أو مَن يُعَلِّمَهُ حيث أغلق عقله وقلبه بالضبَّة والمفتاح على دين الكنيسة ..!!

ولا يُمنح هذا السِّر إلا مرة واحدة فى العمر لأنه يَسِمُ النفس وسمًا لا يُمْحَى من بعد صبغتها بصبغة الكنيسة . فيقوم كاهن الكنيسة بوسم جبهة المُعَمَّد بالميرون على شكل صليب ثلاث مرات وهو يقول : بميرون **المسيح الإله** . رائحة الإيمان الحق العذبة ، طابع وملء نعمة الروح القدس . يطبع فلان أو فلانة باسم الآب والابن والروح القدس آمين . ثم ينشف الكاهن الميرون بالقطن عن جبهة المثبت ويقول : ها قد لبست الآب الحىّ وأخذت الابن المسيح ، واتشحت بالروح القدس ، وقبلت حلة المجد التى خلعها آدم ..!!

فالممسوحون بالميرون لم يلبسوا المسيح فقط هنا كما قيل فى التعميد . ولكنهم لبسوا هنا الآب وأخذوا الابن واتشحوا بالشبح المقدَّس ..!!
إنَّه كلام لا معنى له إلا عند المجاذيب الذين يتفوهون بما لا يفقهون .

ويقول الكاهن أيضا وهو يسم المثبت بالصليب : ثبت يا رب عبدك هذا فى قداسة النفس والجسد . كمِّله بموهبة الروح القدس . وطد نفسه فى سبل وصاياك المحيية لكى يؤهل للتنعم بلذة التبنى ولميراث الملكوت السماوى ، أيها الآب والابن والروح القدس ، لك المجد إلى الأبد آمين .

ثم تكون صلاة الختام فيقول : أيها الرب الإله ، العظيم والمخوف . يا مَن تهب مغفرة الخطايا للمولودين بالماء والروح من المعمودية ، يا مَن تمنح البالين بالخطيئة ميلادا ثانيا ، وتقيم الساقطين وتحفظ المتقدمين إليك . أنر قلب عبدك هذا

الذى تعمد . وكما أهلته ليكون ابن نعمتك ، احفظه بعذوبة تحننك فى ذخيرة البنين الثابتة . ارتض يا رب به ليكون من بعد أن تطهر فى مياه ميثاقك من الذين هم كهنوت سيدى بالشبه الملكى ، قبيلة مقدسة ، شعب مفتدى ، جماعة مباركة . ولا تسمح يا رب عند تعريه من ثوب جسده هذا المنظور أن يتعرى منك أنت المسيح الثوب الخفي غير المنظور ولكن كن له أيها الرب الإله ثوبا غير منظور وغير فاسد فيكون مخوفا تجاه شهوات الضلال ولا تغلبه الأرواح المضادة ، فأنت يا رب من يترأف فيخلص وينجى جميع الراجعين إليه . يا ربنا والهنا لك المجد إلى الأبد .. آمين [١] .

هذا مع العلم بأنَّ كتب المسيحية اليونانية الأولى فيها أنَّ الشبح المقدَّس يُمنح بوضع يد الكهنة ، ثم صار فيما بعد يُمنح بالمسحة المقدسة والوسم بالصليب . ويلاحظ أنَّ الكاثوليك يقومون بتأجيل مسح الأطفال بالميرون إلى سن ٨ ـ ١٢ سنة كى يشتركوا فيه بعقل بالغ ومعرفة كافية .

ويزعم المسيحيون أنَّ الشبح المقدَّس يعمل فى الكنيسة من خلال الأسرار المقدسة ويعطيهم البركات والمواهب الروحية ، ففى سِرّ الميرون يسكن فيهم الشبح المقدَّس فتصبح أجسادهم هياكل مقدسة ومساكن طاهرة لذلك الشبح الموهوم .
لقد **لبسوا** المسيح فى التعميد ، وهنا **سكن فى أجسادهم** الشبح المقدَّس ..!!

(١) .. تختلف صيغ العبارات والكلمات التى يقولها الكاهن من طائفة إلى أخرى .

السِّرّ الثالث

﴿ سِرّ الاعتراف والكفَّارة ﴾

قالوا : لمَّا كان الإنسان الأول بعد تطهيره من الخطيئة بماء المعمودية لا يعتق مطلقاً من نتائج الخطيئة الجديدة - الذنوب والآثام التى يرتكبها بعد التعميد والتثبيت - لذلك رتبت الكنيسة **سِرّ التوبة والاعتراف** ليكون بمثابة الدواء الشافى من الخطايا المقترفة بعد قبول سِرَّى المعمودية ومِسْحَة الميرون ، حسب السلطان الممنوح لها من يسوع فى زعمهم . وهذا السِّر يتم باعتراف الفرد ذكرا كان أم أنثى أمام الكاهن بخطاياه وذنوبه ومعاصيه .

قلت جمال : فكأنَّ شكهم فى نجاح سِرّ المعمودية ، دعاهم للقول بسِرّ الميرون للتثبيت . ولما لم ينجح أيضا ذلك السِّر الثانى احتاطوا فقالوا بذلك السِّر الثالث .. وهو الاعتراف أمام الكاهن وليس بين الإنسان وربه ليغفر له . إنها حقا سلسلة من الحواجز الجمركية يمر عليها المسيحيون تحت رقابة الكنيسة وكهنتها ..!!

ويُرَوِّجُون بين شعب الكنيسة أنَّ هذا السِّر أعلنه يسوع عقب قيامه من بين الأموات . وبالبحث والتقصى فى أصول الأناجيل اليونانية لا نجد أصلا لذلك الكلام منسوب إلى المسيح ؏ .

كما زعموا أنَّ الوحيد القادر على غفران الخطايا هو الآب ولكن عن طريق دم ابنه يسوع المسفوك على الصليب . وإنما كاهن الكنيسة جزء من جسد المسيح الذى هو الكنيسة والتى يمثل المسيح رأسها . فلن يغفر الآب الخطايا بدون الإيمان بدم يسوع المسفوك على الصليب وبدون وجود الكاهن أمام التائب المعترف ..!!

قلت : ولم يبينوا الجزء الذى يمثله الكاهن كما بينوا أنَّ المسيح يمثل الرأس . ربما كان الكاهن يمثل القدم أو العجز وربما العورة ذاتها ..!!

وطوائف البروتستانت لا يؤمنون بسِرّ الاعتراف على يد كاهن ، وهم يعترفون فرادى أمام ربّهم يسوع مباشرة فهم أحسن حالا من غيرهم .

وزعمت الكنيسة أنَّ يسوع بعد موته وقيامته وانتهاء بعثته الأرضية قال لتلاميذه " من غفرتم خطاياهم غفِرَت لهم ، ومَن أمسكتم خطاياهم أمْسِكَت " (يوحنا : ٢٠ : ٢٢) . فهذه الكلمات هى رسم سِرّ التوبة والاعتراف .. وأنَّ الرب أقام الرسل وخلفاءهم الكهنة من بعدهم قضاة على الناس ، وجعل حكمهم مناطا لغفران الخطايا والذنوب فى السماء أو امساكها .

ولما كان لا يتأتى لهم ان يغفروا ذنبا يجهلونه أو بعبارة أخرى لما كانوا لا يستطيعون أن يصفحوا أو يمسكوا الخطايا ما لم يكونوا على معرفة بها ـ هكذا قالوا ـ لذا وجب على التائب أن يعترف بذنوبه أمامهم لتغفر له . ويسمى الكاهن هنا أب **الاعتراف** الذى يستطيع أن يغفر الخطايا أو يمسكها بعد أن يعلمها ويفحصها .

ولبثّ الطمأنينة فى قلوب المعترفين قالت الكنيسة أنَّ الكاهن أبو الاعتراف هو صديق صدوق لا يشمئز من سماع خطايا الناس لأنه تعود سماع الخطايا ومعرفة أسرار الناس ، وهو أكتم انسان للسِّر بحكم وظيفته لأنه يعرض نفسه للقطع من الكنيسة إذا باح بالسِّر . فالاعتراف أمام الكاهن واجب على كل المسيحيين لالتماس الرحمة الإلهية وللحصول على المغفرة من ذلك الكاهن الذى أعطته الكنيسة سلطات رب العالمين وهو فى الحقيقة يمثل العورة ذاتها فى جسد الكنيسة ..!!

ومن الملاحظ أنَّ كثيراً مِن المسيحيين فى وقتنا الحاضر قد أهملوا هذا السِّر حتى أنَّ البعض أصبح يعتقد أنَّ الكنيسة قد ألغت سِرّ الاعتراف من قائمة أسرار الكنيسة السبعة . ولذا نراهم يطلبون من الكاهن إذا كانوا عازمين على إتيان سِرّ المناولة أن يقرأ لهم " **أفشين الحل** " دون محاولة الإقرار أمامه بذنوبهم ، كأنَّ **أفشين الحل** هو العصا السحرية التى ستغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم . ويبرر البعض مسلكهم هذا بقولهم : إننا نشعر بالخجل ساعة الاعتراف . والبعض الآخر يقول

كسبب لعدم التقدم للاعتراف إنه ليس عندنا الأب الروحى الجدير بالثقة حتى نصرح له بخطايانا .

وقد شاعت قضايا انحراف الكهنة فى الشرق والغرب وحتى فى مصرنا الحبيبة حيث اعتدى بعض الكهنة على النساء المعترفات ومارسوا معهن الجنس . وتم تسجيل تلك الممارسة على أشرطة فيديو لاجبارهن على تكرار ذلك الأمر أو لجمع النقود تهديدا بالفضيحة ..!!
ولم تقم قيادة الكنيسة القبطية بردع هؤلاء الكهنة سوى بابعادهم وطردهم من حوزة الكنيسة ونزع رتبة الكهنوتية منهم ذرا للرماد فى أعين الغير . بدلا من إلغاء ذلك السِّر المُهين لكرامة الانسان وحياته .

وترى الكنيسة أنَّ المسيح عند قيامته من بين الأموات ظهر لتلاميذه وقال لهم " كما أرسلنى الأب أنا أرسلكم . ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت " .

قلت جمال : والروح القدس هنا هو الالهام والتأييد المتمثل فى خروج هواء نفخة المسيح وليس هو بالبارقليط ـ المعزى ـ الشخص الآتى من بعده والذى جعلوه أقنوما ثالثا يعبدونه تحت مُسمى الروح القدس أيضا . وبزعمهم هذا يكون الله سبحانه وتعالى قد جعل بأيدى الكهنة قبول التوبات والعفو عن السيئات . تعالى الله عمًا يقولون علوا كبيرا .

واستغلال الكنيسة لهذا السِّر قديما فى قضية صكوك الغفران ما هو إلا أمر طبيعى يقتضيه الإيمان بذلك السِّر . فما على المرء إلا أن يشترى صكوك الغفران بدلا من الاعتراف أمام الكاهن فتغفر له جميع ذنوبه ويتخلص مِن جميع التبعات والحقوق الشرعية التى فى ذمته ، ويحفظ كرامته وحياته .

وكما يملك الكهنة حق الغفران فهم يملكون كذلك حق الحرمان . فبسِرّ الاعتراف يحصل المعترف بقوة الشبح المقدس على الصفح من جميع الخطايا التى

اقترفها . فيتصالح مع الرب ومع الكنيسة لأنَّ الخطيئة التى تبعد الإنسان عن الرب تبعده عن الكنيسة .

وقد رفضت بعض الطوائف هذا الاعتراف ولم تأخذ به ، لما فى ذلك من حدوث منكرات يقشعر لها البدن بسبب ما حدث من اعتداء منكر على بعض النساء اللاتى جئن للاعتراف أمام الكهنة ، والقصص فى هذا كثيرة وأمر ذلك معلوم للمسيحيين .

ونحن نتساءل إذا كان الكهنة هم الجهة الوحيدة لغفران ذنوب البشر فمن يتكفل بغفران ذنوب الكهنة أنفسهم ..!!؟
قالوا : الأسقف الأكبر أو البابا .
قلت فمن يغفر لذلك الأسقف الأكبر والبابا ذنوبهما ..!؟؟
وكان جوابهم على قولين :
- في حالة الكنائس البابوية فإنَّ البابا معصوم مِن الذنوب والخطايا وكلامه كله مُقدَّس واجب الاتباع وهو الذى يغفر الذنوب لمَن تحته مِن قسوس وكهنة .
ولكن رجال الكنيسة وعلى رأسهم البابا الرئيس الأعلى للكنيسة كلها حسب التعليم الكاثوليكى (معجم اللاهوت الكاثوليكى .. مادة البابا) من ذرية آدم فإذا غفرت خطيئتهم الأصلية بالفداء كما يقرر دينهم ، فما زالت خطاياهم الشخصية تلاحقهم أينما ذهبوا ، فكيف يتسنى لمخطئ تبرئة مخطئ ..!؟ وكيف يمنح الغفران من هو فى حاجة إليه ..!؟

ولتفادى هذا الاحتجاج الذى ترتفع به أصوات الكثيرين ، أصدروا قراراً آخر يفيد عصمة البابا ، وهو القرار الصادر عن المجمع العشرين المنعقد فى روما عام ١٨٦٩ م . وهكذا أصبحت قرارات الكنيسة قرارات تتسم بالعصمة من الضلال فرأسها البابا معصوم ، وعصمته تلك تنتقل بالتالى لقراراته . وهكذا أرست الكنيسة الكاثوليكية سلطانها فى نفوس أتباعها بنصوص من الأناجيل وبقرارات مجمعية .

- وفى حالة الكنائس الأسقفية (مثال الكنيسة القبطية) فإنَّ المجمع المقدَّس الذى يحوى ضمن أفراده الأسقف الأكبر - البابا حاليا - له حكم العصمة والقداسة . وهذا المجمع له سلطة غفران الذنوب لجميع القسوس والكهنة ..!! وتحت هذين الشعارين القداسة والعصمة ومن أجلهما خاضت المسيحية حروباً كثيرة وأزهقت أرواحاً بين أنصار عِصْمَةَ الباباوات والكنائس ومعارضيها ... وعقدت عدة مجامع مسكونية لإثبات هذه العِصْمَة .

فهذه العِصْمَة والقداسة المزعومتان هما امتداد لعِصْمَة وقداسة المسيح فى زعم الكنيسة ، فمن لم يقبل قداستهم وعِصْمَتِهم فقد خرج على المسيح . ولا يمارس الخدمة الكهنوتية إلا من حصل قانونياً على ما يسمى بسِرّ الكهنوت والذى سنتعرف عليه فى السِّر السابع فى كتابنا هذا .

هل الاعتراف لله غير كافى ..!!؟

يقولون إنَّ الإنسان حينما يخطئ يطالب بأن يندم على خطيئته ويكرهها ثم يقر بها أمام الكاهن وحينها يقوم الكاهن بغفران هذه الخطايا .
ويجادلوننا بقولهم هل يستطيع أحد أن يخرج لنا آية من العهد الجديد تقول : لا تعترفوا على يد الكهنة ..!!؟
فأقول لهم : بكل بساطة آتونى بقولة واحدة صادقة عن المسيح ابن مريم عليه السلام يقول فيها لأتباعه لا تعترفوا مباشرة أمام الله ولكن اعترفوا أمام كهنة الكنائس وهم الذين سيغفرون لكم خطاياكم ..!!؟

وزعموا : أنَّ للاعتراف جزئين **أولهما** أن يقر المرء بخطاياه أمام الكاهن . **وثانيهما** أن يتلقى المعترف المغفرة من الكاهن كما مِن الله نفسه بدون شك فى ذلك وباعتقاد راسخ أنَّ الله قد غفر خطاياه من خلال الاعتراف أمام الكاهن . فلا حول ولا قوَّة إلا بالله الغفور الرحيم .

وكما قرر بولس مِن قبل بأنَّ التوبة والأعمال الصالحة ليس لهما مكان فى قضية غفران الذنوب ، فعمدت الكنيسة إلى سِرّ الاعتراف أمام الكاهن . وبيَّنت

لأتباعها أنَّ مفتاح النجاة بأيدى رجالها المشرطنين ، فهم الوحيدون الذين بإمكانهم غفران الخطايا الفردية ، ولكن شريطة دفع مقابل الاعتراف وأداء التعويض المادي الذي يقرره الكهنة .

فأصدرت قانونا يمنح هذه الصلاحية لرجال الدين المسيحى ، وهو الصادر عن المجمع الثانى عشر المنعقد فى روما سنة ١٢١٥ م . فالسلطان المعطى للكهنة يتضمن حقهم فى أن يفرضوا على التائب المعترف أمامهم تعويضا ماديا يوازى الخطيئة المقترفة المطلوب غفرانها . وتقدير ذلك التعويض متروك لفطنة الكاهن ..!!

وللتعويض أهمية كبرى فى دين الكنيسة . فقد قررت أنَّ التعويض فى سِرّ الاعتراف هو جزء مِن هذا السِّر . فإن امتنع المعترف عن دفع التعويض الذى فرض عليه مِن قِبَل الكاهن ، فالمغفرة فى حقه تكون غير كاملة ، وترى الكنيسة الكاثوليكية أنَّ مصيره هو دخول **المطهر** بعد الموت مباشرة كمرحلة تطهيرية لأنَّه لم تغفر له خطاياه كاملة أمام كاهن سِرّ الاعتراف ..!!

وهكذا استطاعت الكنيسة إرساء سلطانها على أتباعها ، فلا بد لهم مِن طاعتها طاعة تامة . فهى مؤسسة بأمر المسيح يسوع ، ومعصومة وقراراتها إلزامية ، مما أهلها لغفران خطايا شعبها حسب ما ترى . وعلى المسيحى التابع إن أراد الخلاص مِن خطاياه الشخصية التقدم إليها مرة كل عام على الأقل ليعترف ويدفع التعويض اللازم . وكأنى بها تريد مِن كل فرد مِن أتباعها أن يدفع ضريبة للكنيسة . لتتمكن مِن إدارة شئونها وتوسعة سلطانها وسيطرتها على أتباعها . وقطعا فإنَّ القارىء يعرف أنها تأخذ العشور دائما بجانب تلك الضريبة الساذجة المفهوم والأسباب ..!!

وهناك ملاحظة جيدة لمن يقرأ ويتدبر فى نصوص الأناجيل الحالية حيث يجد فيها نصوصا عِدَّة تبيِّن أنَّ هناك رجالا ونساءً قد نالوا الخلاص بدون أن يتعمَّدوا أو يُمسحوا بالميرون أو حتى يعترفوا أمام الكهنة ..!!

راجعوا كل مِن (لوقا ٧ : ٣٧ ـ ٥٠ ، ١٨ : ٣٥ ـ ٤٣ ، ١٨ : ١٣ ـ ١٤ ، ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٣ ؛ يوحنا ٣ : ٣٦ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٤) لتعلموا أنَّ التعميد وغيره من أسرار الكنيسة ليست بذات أهمية ولا أصل لها .

وكما كان التعميد عندهم أساسى لاستقبال باقى الأسرار . فمَن لم يتعمَّد لن يكون استقباله لسائر الأسرار صحيحا . فلا اعتراف لمن لم يتعمد ولا تناول ولا مغفرة ذنوب ولا صحة زواج ولا كهنوت ولا حتى مسحة المرضى ..!! وكل ذلك غير صحيح بشهادة الأناجيل الحالية ..!!

وقالوا مرارا وتكرارا : لمغفرة الذنوب أمام الكاهن ثلاث مراحل :
توبة المعترف ؛ اعتراف المعترف ، قراءة الكاهن للتحليل ..
ثم ينال المعترف الغفران بعد دفع التعويض المادى اللازم ..!!

وأثناء ذلك الطقس يصرخ الشماس أمام الحضور قائلا : " خلصت حقاً ومع روحك أيضاً " . شاهداً للكاهن والشعب أنَّ الخلاص قد حضر بسبب الغفران . فيفرح جميع الحضور ويتهللوا ويصرخوا بنغمة الفرح قائلين :

آمين .. كيرياليصون .. كيرياليصون .. كيرياليصون ..!!

فلتلك الكلمة اليونانية الأصل **كيرياليصون** فعل السحر عند الأقباط الأورثوذكس فى مصر حيث نقلوا بها جبل المقطم من الضفة الغربية للنيل إلى مكانه الحالى بالضفة الشرقية حسب زعمهم ..!!
رغم أن جميع الخرائط منذ أيام الفراعنة تضع جبل المقطم بمكانه الحالى . والمسح الجيولوجى لا يدل على نقل الجبل من مكانه ..!!

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

السِّرّ الرابع

﴾ سِرّ التناول (القربان) ﴿

ويُعرف بسِرّ (الإفخارستيا) وهو سِرّ تجسُّد يسوع بلحمه ودمه فى رغيف خبز وكأس خمر . ومواد ذلك السِّرّ المستخدمة هى الخبز والخمر . وهذا السِّرّ يتم إحياءً لذكرى العشاء الربَّانى الأخير . وكلمة إفخارستيا اليونانية تعنى العرفان بالجميل والإمتنان . وهى كلمة لم ترد إلا فى كتابات بولس (رومية ١٦ : ٤) وتلميذه النجيب لوقا (أعمال ٢٤ : ٣) . ولا وجود لها فى الأناجيل الأربعة .

ويقول معجم اللاهوت الكاثوليكى (ص ٢٧) أنَّ المعنى الحصرى والحرفى لكلمة إفخارستيا وفى استعمالها الأول يدل على فعل الشكر وعلى التعبير عن عرفان الجميل عند مَن قبل عطية ثمينة . وفى المعنى الحديث تعنى " جسد السيد " بصفته تحت الشكل المنظور للخبز والخمر .

ويُعد هذا السِّرّ عندهم هو سِرّ **الأسرار** . فمَن لم يقبله ويؤمن به لن يُقبل سائر عمله ، ويُرد عليه إيمانه . فهو أعسر الأسرار على الفهم والعقل فمن يقبله ويؤمن به يقبل باقى أسرار الكنيسة وهى عليه هينة حينذاك .

ففى ذلك السِّر يأكلون لحم ربهم يسوع ويشربون دمه **على الحقيقة** حسب قبول ورفض قانون الاستحالة الكنسى ، وهذا أمر لا يُعقل ولا يُفهم إلا بالتسليم بما تقوله الكنيسة . فهو سِرّ يُشكل خطورة كبيرة على إيمان عقلاء شعب الكنيسة . وبذلك يكونون قد قدَّموا فعل الشكر الواجب عليهم وعبَّرُوا عن عرفانهم بالجميل لما حدث أثناء بعثة المسيح عليه السلام ..!!

فما هو الذى حدث أثناء بعثة المسيح يستوجب التذكار وتقديم الشكر ..!؟ وقبل الإجابة ومناقشة ذلك السِّر الكنسى أوَد أن أعرض على القارىء الكريم على الله موجزا تاريخيا .. موجزا مسيحيا لا بد منه لنفهم لماذا نحَت الكنيسة ذلك المنحى الغريب فى ديانتها ..

فعندما خرجت **النصرانية** من بنى إسرائيل بعد انتهاء بعثة المسيح ﷺ وتسمت **بالمسيحية** فى أنطاكية [1] على أيدى الأتباع اليونان فقدت معالم أساسية وأصولا هامة فى دينها ولم يبحث عنها مَن جاء بعدهم [2] .

فقامت المجامع الكنسية بلم شمل تلك المسيحية بعد هضمها وهى مخلوطة بالأساطير الوثنية التى كانت سائدة فى ذلك العصر ، وتم ذلك الأمر بعيدا عن القوم الذين أرسِل المسيح إليهم . فأضافت وحذفت كثيرا من تلك المعالم والأصول وفرضت قوانين إيمانية وأسرارا جديدة لم يعرفها المسيح ﷺ ولا قومه . فضلت وأضلت . وإليكم مثالين اثنين أذكرهما كثيرا . وأكرر هنا بأنَّ مَن أراد المزيد فعليه بكتابى " معالم أساسية ضاعت مِن المسيحية " حيث توسعت فى ذكر تلك المعالم التى فقِدَت :

- أظهر المسيح ﷺ وبيَّن لقومه بنى إسرائيل اسم الله تعالى مِن بعد أن فقدوه وضاع منهم . فقال ﷺ فى إنجيل يوحنا (١٧ : ٦ ، ٢٦) : " **أظهرت اسمك للناس** الذين وهبتهم لى من العالم " و" **وقد عَرَّفتهُم اسمك** وسأعرفهم إيَّاه " . **والاظهار** لا يتم إلا من بعد الاخفاء والفقدان ، واليهود قد أخفوه ثم فقدوه . **والتعريف** بالشىء لا يكون إلا مِن بعد الجهل وعدم المعرفة واليهود قد جهلوه ولم يعرفوه .

نعم لقد **أظهر** و**عرَّفَ** المسيح ﷺ **اسم الله** لقومه من بعد اخفائهم له وضياعه مِن على ألسنتهم . انظروا معى وتمعنوا جيدا فى قول المسيح ﷺ حسب ما جاء فى إنجيل يوحنا (١٧ : ١١ ، ١٢) وهو يبرىء نفسه أمام الله مِن تبعة إخفاء اسمه تعالى فقال " حين كنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى **اسمك الذى أعطيتنى** .. " وقوله ﷺ " أيها الأب القدوس احفظهم فى **اسمك الذى أعطيتنى** .. " . وقال ﷺ لقومه كما جاء فى إنجيل يوحنا (٥ : ٤٣) : " **أنا جئت باسم إلهى** - وفى الترجمات العربية نجد كلمة أبى بدلا من إلهى - **ولم تقبلونى** " .

---

(١) .. سفر الأعمال (١١ : ٢٧) .
(٢) .. راجع التفاصيل فى كتابى " معالم أساسية ضاعت من المسيحية " .

فهناك إذا اسم الله تعالى قد أعطِيَ للمسيح ليبلغه لقومه ويظهره لهم . هذا هو الاسم الذي فقده الأتباع اليونان ولم يلتفتوا إليه فضاع منهم ، ولم يذكروه فى أناجيلهم وباقى كتب العهد الجديد . ويُصِرُّ الأتباع الحاليون على إخفائه ومحوه من النصوص بقصد أو بدون قصد . وذكر بولس وكتبة الأناجيل مِن بعده بدلا مِن الاسم الآرامى الذى بيَّنه وأظهره المسيح ﷺ اسم صنم اليونان الأكبر **ثيوس** ..!! فضاع الأصل وبقيت أسطورة ثيوس .

ـ وبينما طلب المسيح ﷺ مِن قومه التوبة والإيمان بـ **الإنجيل** الذى معه فقال " توبوا وآمنوا بالإنجيل " (مرقس ١ : ١٤) وأشار إلى إنجيله بقوله " **هذا الإنجيل** " (متى ٢٦ : ١٣ ؛ مرقس ١٤ : ٩) [١] . لم يتعرف مسيحيو اليونان على ذلك الإنجيل ولم يُحاولوا أن يجمعوه فضاع منهم . قطعا إنه ليس إنجيل متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا أو غيرها مما كشفت عنها آثار نجع حمادى المصرية . فكل ذلك كان مِن بَعد بعثة المسيح ﷺ .

فأى إنجيل هذا الذى كان يتكلم عنه المسيح ﷺ .. !؟

وهل كان إنجيل المسيح الذى طالب قومه بالإيمان به كتابا أم مُجَرَّد بشارة سارة كما يقول المسيحيون أجمعين ..!؟ الكل يؤمن بأنَّ المسيح ﷺ لم يترك لهم كتابا أو رسالة مكتوبة أو محفوظة تعرف باسم **إنجيل** . فهل هذا الإيمان صحيح على التحقيق ..!!؟

إنَّ هناك نصوصا منسوبة إلى المسيح ﷺ يُبينُ فيها أنَّ الله قد أعطاه كلاما ليبلغه لقومه من بنى إسرائيل ، فبلغ ﷺ ذلك الكلام . فقال مناجيا ربه : " **الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم** " و " **أنا قد أعطيتهم كلامك** " (إنجيل يوحنا ١٧ : ٨ ، ١٤) .

وهذا الكلام .. هو **كلام الله** الذى أعطاه الله للمسيح ليبلغه لقومه .

وهذا الكلام .. هو **الإنجيل** الذى أعطاه الله للمسيح .

وهذا الكلام .. قد أعطاه المسيح ﷺ لقومه " **قد أعطيتهم** " .

فأين كلام الله هذا المبلغ بواسطة المسيح ﷺ إلى بنى إسرائيل ..!؟

---

(١) .. راجع التفاصيل فى كتابى " معالم أساسية ضاعت من المسيحية " .

هل قام الأتباع بجمعه فى كتاب نسبوه إلى المسيح ..!؟

لا .. لم يفعلوا شيئا من ذلك . وإنما فعل اليونان والرومان شيئا آخرا حيث قاموا بتسجيل لبعض حوادث سيرة المسيح ومزجوها بأقوالهم وعقائدهم اليونانية وأطلقوا عليها اسم أناجيل ثم نشروها بين الأمم وشعوب العالم المختلفة . فضاع إنجيل المسيح [1] وبقيت البشارة المزعومة بصلبه وموته وقيامته ..!!

وجاء نبىّ الإسلام ﷺ بالكتاب الخاتم مبيّنا فيه تلك المعالم وكثيرا مِن الأمور التى فقدت ولم يتبق منها إلا إشارات وأسماء تشير إليها ، كـ **اسم الله و اسم الكتاب** الذى كان مع المسيح عليه السلام .

ومِن تلك الأمور الهامة التى فقدت ذِكْر تفصيل المائدة التى نزلت مِن السماء استجابة لطلب الحواريين لتطمئن قلوبهم وليعلموا مدى صدق المسيح عليه السلام فيما أخبر به عن ربه ويكونوا لها من الشاكرين . ومُحِيَت تلك المعجزة الإلهية مِن ذاكرة مسيحيى اليونان ولم يتبق منها سوى الاشارة إلى الأكل وتقديم الشكر ..

وكما كان يفعل آباءهم تجاه آلهتم الوثنية .. فقالوا بالعشاء الأخير واحتفلوا بذكراه مع أنَّ العشاء قد مات الذين أكلوه ولم يكن فيه معجزة ربَّانية تستوجب أن تظل ذكراها مع تقديم الشكر ..!! ولكنها الأساطير التى بنت أعشاشها وأوكارها فى عقول مسيحيى اليونان والرومان ..!!

فمع بولس دخلت فكرة أكل الإله وشرب دمه فى تلك المناسبة أخذا عن الأساطير القديمة التى كانت رائجة فى تلك الأزمنة [2] . فقالوا بالقربان المقدس والتناول . ونظرا لتعارضه مع فطرة الناس وعقولهم قننوه فى مجامعهم كسرّ مِن الأسرار السبعة وجعلوه أهمها . وكل أسطورة لها أساس مِن الحقيقة ، وحقيقة ذلك السِّر الأسطورى هو المائدة التى نزلت مِن السماء وذكرها الله تعالى فى قرآنه .

---

(١) .. راجع التفاصيل فى كتابى " معالم أساسية ضاعت من المسيحية " مبحث الإنجيل .

(٢) .. راجع أى كتاب عن الأساطير فى تلك الأزمنة لتجد أنَّ أكل جسد الإله وشرب دمه كان مشهورا معروفا بين الوثنيين .

ومما تبقى مِن أمر تلك المائدة السماوية **فعل الشكر** مِن الحواريين لله تعالى على إنزاله المائدة السماوية إليهم . فكلمة إفخارستيا اليونانية تعنى الشكر وعرفان الجميل كما سبق . قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ . قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا **عِيداً** لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ **وَارْزُقْنَا** وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .
(١١٢ ـ ١١٥ / المائدة) .

قال الجبائى وغيره مِن المفسرين " أنَّ معنى **وَارْزُقْنَا أى الشكر عليها** [١] أى ارزقنا الشكر عليها " . فاستبدل المسيحيون فعل الشكر لله تعالى على المائدة السماوية بطقس وثنى قدموا فيه الخمر المحرمة ـ فى كتابهم ـ وأكلوا فيه يسوعهم وشربوا دمه ..!!

ومن مفارقات الكنائس المسيحية بين بعضها ، نجد الكاثوليك يستخدمون الفطير بدلا من رغيف الخبز ، ولا يستخدمون الخمر معه . أمَّا الأرثوذكس بما فيهم القبط فيستخدمون الخبز والخمر . وهناك طوائف مسيحية فى الغرب يشربون عصير الفاكهة الغير مختمر بدلا مِن الخمر ..!!

ومِن طرائفهم ـ أى الأرثوذكس ـ الالتزام **بالاحتراس** بمنع الأكل لمدة لا تقل عن تسع ساعات قبل التناول حتى يمكث يسوعهم فى بطونهم أطول فترة ممكنة مع الفضلات قبل الخروج إلى مجارى الصرف الصحى ..!!

بينما نجد مسيحيى الغرب لا يلتزمون بذلك الاحتراس ، فمثل هذه الأمور عندهم لا أهمية لها . وكثير منهم يقيمون أكثر مِن قدَّاس على نفس المذبح فى اليوم الواحد ليأكلوا ربهم جيسس أكثر مِن مرة فى ذات اليوم ..!!

---

(١) .. راجع تفسير روح المعانى ج ٧ ص ٦٢ .

ويذهب بعض الأساقفة الكاثوليك إلى مناولة الأطفال ابتداء مِن بلوغهم سِنّ الثامنة . خلاف الأرثونكس الذين يدربون الأطفال على أكل يسوعهم منذ الفطام ..!!
ويمنع **الأقباط** الأرثوذكس مناولة غير المسيحيين من لحم ودم ربهم خلاف ما يحدث فى الغرب المسيحى .

أمّا بخصوص البروتستانت فإنهم لا يؤمنون بسِرّ **استحالة** الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح على التحقيق ـ أى تحول الخبز والخمر إلى لحم ودم يسوع ـ وإن آمنوا بالإفخارستيا كسِرّ . والاستحالة عندهم عبارة عن رمز ومعنى .

والمسيحيون اشتهر منهم أربعة أقوال فى هذه المسألة أذكرها هنا نقلا عن كتاب اللاهوت النظامى بتصرف :

١ ـ **تعليم زونجلى** : وقد تبعه الأرمينيون والسوسيانيون ، وهو أنَّ العشاء الربَّانى مجرد علامة محسوسة تشير إلى موت المسيح ، بدون أن يكون فيه أدنى فاعلية فى حد ذاته . ولا يحضر فيه المسيح على الإطلاق لا جسدياً ولا روحياً . ولذلك لا يحسبون عشاء الرب من وسائط النعمة . ويخلو هذا المذهب من الاحترام الواجب لهذا السِّر .

٢ ـ **تعليم الكنيسة اللوثرية** : وهو أنَّ جسد المسيح موجود فى ذلك العشاء لا بمعنى أنَّ الخبز والخمر يستحيلان إلى جسده ودمه ، بل بمعنى أنَّ المسيح يحضر جسدياً ويصاحب العناصر ويرافقها على منوال سِرِّي حتى يقبل المشترك المسيح فعلاً بمعنى سِرِّى أثناء قبوله الخبز والخمر اللذين لا يزالان فى حد ذاتهما خبزاً وخمراً . وعلى ذلك يكون لعشاء الرب فاعلية حقيقية ذاتية وتأثير فعلى فى كل مَن يقبله . غير أنَّ فاعليته ـ وإن كانت ذاتية فيه ـ تتوقف على إيمان المشترك وهذا يعنى أنَّ عدم الإيمان يمنع فاعلية السِّر .

٣ ـ **التعليم التقليدى** : وهو أنَّ فى عشاء الرب نعمة ذاتية ، وليس فقط إشارة إليها . وأنه واسطة فعالة فى توصيل النعمة إلى قلوب المشتركين فيه فعلاً مفعولاً . وأنَّ نوال الفائدة لا يتوقف على إيمان المشترك ، بل على عدم مقاومته

لذلك الفعل . وأنه يجب على الذى يناول السِّر أن يكون ذا سلطان من الكنيسة . وأن يكون قصده قصدها فى ممارسة السَّر .

فالأسرار (عندهم) تتضمن النعمة ، ولها فى نفسها قوة ذاتية على تطهير المتناول ، وأنَّ قوتها فى الدين تشبه قوة المواد الطبيعية فى الطبيعة أو قوة النار على الإحراق . فكما أنَّ النار تشتعل لأنَّ الله جعل فيها قوة على الاشتعال ، كذلك تُوصّل الأسرار النعمة للمتناول ، لأنَّ الله جعل فيها قوة على ذلك ، وهى معيّنة لهذه الغاية .

٤ ـ **تعليم الكنيسة الإنجيلية** : وهو أنَّ فاعلية العشاء الربَّانى ليست فيه بالذات بل بواسطة الشبح المقدَّس ـ الروح القدس ـ الذى يرافقه ويوصّل فوائده إلى قلب المؤمن . فالشبح المقدَّس هو الذى يجعل ذلك السِّر واسطةً لاتحاد المؤمن بالمسيح اتحاداً روحياً بالإيمان . وعلى هذا تكون للعشاء الربَّانى فاعلية عظيمة فى بنيان المشتركين وتقوية اتحادهم بالمسيح وتحريك عواطفهم وملئهم بالقداسة والتقوى . وتتوقف فاعلية السِّر على حضور المسيح روحياً وبركته على المشتركين وعلى فعل الروح القدس فى إتمام غاية السِّر الروحية . فعلى متناول السِّر أن يقبله بالإيمان بإحساسات التواضع والشكر والمحبة القلبية وإلا فليس له شركة فيه .

ويرفض الإنجيليون القول إنَّ العشاء الربَّانى فعَّال فى ذاته ، وإنَّ العنصرين يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه حقيقةً ، وكذلك يرفضون قول اللوثريين إنَّ فى السِّر فاعلية ذاتية (وإن كانت تتوقف على إيمان المشترك) لأنَّ جسد المسيح حاضر فيه حقيقة بمعنى سِرِّى . وكذلك يرفض الإنجيليون قول زونجلى والسوسيانيين وغيرهم إنَّ سِرّ العشاء هو علامة خارجية وإعلان منظور لإيمان المشتركين .

وتتوقف فاعلية السِّر ـ بموجب مذهب الإنجيليين ـ على حضور المسيح روحياً بالشبح المقدَّس ، وتأثيره فى قلوب المشتركين حتى ينالوا جسد المسيح بطريقة روحية لا جسدية ، لأنَّ جسد المسيح ودمه ليسا حينئذ فى الخبز والخمر

بمعنى جسدى ، أو بمعنى استحالتهما ، بل المسيح حاضر فيه لإيمان المؤمنين بطريقة روحية كحضور العناصر الخارجية للحواس الظاهرة . أمَّا جسده الحقيقى فهو فى السماء . وإنما هو يحضر مع شعبه على الأرض وفى احتفال مائدته بروحه القدوس .

ثمَّ ساق الإنجيليون الأدلة على بطلان القول بالاستحالة فقالوا ..

١ ـ لم يُعرَف تعليم الاستحالة فى الكنيسة الأولى . وأوَّل مَن صرح به على نسق تعليمى فى الكنيسة الغربية باسخاسيوس رادبرتس فى منتصف القرن التاسع فى كتاب ألفه فى " جسد الرب ودمه " فقاومه أفضل لاهوتيى ذلك القرن ومنهم راترامنس الذى ألَّف كتاباً قال فيه " أمَّا مِن جهة الجواهر المادية فكما كانت قبل التقديس لم تزل كذلك بعده " . وقال أريجينا عن أكل يسوع فى ذلك السِّر " نقدمه روحياً ونأكله عقلياً بالذهن لا بالأسنان " .

وفى القرن الحادى عشر نفى برانجر تلك البدعة ، على أنَّ السنودس الرومانى أثبتها سنة ١٠٧٩ وقُبلت قانونياً بأنها من الإيمان فى المجمع اللاترانى الرابع سنة ١٢١٥م تحت رئاسة البابا إنوسنت الثالث .

ووجدت هذه البدعة احترامها فى الكنيسة الشرقية فى أواخر القرن الثامن حين حكم المجمع النيقوى الثانى سنة ٧٨٧م ـ وهو المجمع الذى حكم بعبادة الصور والتماثيل ـ بجواز اعتبار العناصر رموزاً قبل تقديسها ، لا بعد ذلك .

على أنَّ المجمع الذى التأم فى القسطنطينية سنة ٧٥٤م حكم أنَّ عناصر الأفخارستيا هى بمنزلة رموز أو إشارات . ولكن بعد المجمع النيقوى الثانى أخذ الشرقيون يؤمنون بالاستحالة ، وداموا على ذلك إلى أن صُرح بالإيمان بها فى عقائد كنيستهم التى أُعلنت فى منتصف القرن السابع عشر بعد الإصلاح اللوثرى فى القرن السادس عشر .

وإذا نظرنا إلى القرون الأولى من تاريخ الكنيسة رأينا فى مؤلفات الآباء القدماء ما يحقق لنا عدم تصديق الكنيسة لتعليم الاستحالة ، فإننا لا نرى له ذِكراً فى

القرون الثلاثة الأولى بعد المسيح . ولو أننا نجد فى كلام جستن الشهيد (سنة ١٥٥م) وإيريناوس (سنة ١٨٥م) عبارات مبهمة حوّلها القائلون بالاستحالة عن معناها المقصود .

لأننا لا نجد فيه ما يشير إلى تغيُّر جوهر الخبز بل ما معناه إنه صار مفروزاً لغاية مقدسة ، وهو رمز إلى جسد المسيح ، أو بمعنى سرى صار الخبز إشارة إلى حضور المسيح روحياً وكذلك الدم . وليس فى مؤلفات أكليمندس الإسكندرى وأوريجانوس وترتليان وكبريان ما يثبت تعليم الاستحالة قط . وفى القرن الرابع والخامس والسادس لم يصدق أفضل المؤلفين المسيحيين القول بالاستحالة .

فقال أوسابيوس القيصرى (سنة ٣٣٠ م) إنَّ تذكار ذبيحة المسيح على مائدته " بواسطة رموز الجسد والدم " . وقال أثناسيوس (سنة ٣٧٠ م) فى شرحه إنجيل يوحنا ص ٦ ما معناه " إنَّ مناولة جسد المسيح ودمه حقيقةً أمرٌ لا يُقبل . وإن قصد المسيح فى هذه الآيات لا يُفهم إلا روحياً " .

وقال غريغوريوس النازيانزى (سنة ٣٨٠ م) " إنَّ عناصر الأفخارستيا رموز جسد المسيح ودمه " . وقال يوحنا ذهبى الفم (سنة ٤٠٠ م) " إنَّ الخبز المقدس يستحق أن يُسمى جسد الرب ، مع أنَّ الخبز لم يزل على حقيقته " . وقال باسيليوس (سنة ٣٧٥ م) " إننا نأكل جسد المسيح ونشرب دمه إذا صار لنا شركة بالكلمة والحكمة بواسطة تجسده وحياته البشرية " . وقال مكاريوس الأكبر (سنة ٣٨٠ م) ما معناه إنَّ الخبز والخمر أُشير بهما إلى جسد المسيح ودمه ولا نأكل منهما إلا روحياً " .

وقال أغسطينوس (سنة ٤٢٠ م) " إنَّ قول المسيح إنه يعطينا جسده لنأكل لا يجوز فهمه جسدياً ، لأنَّ نعمته لا تُقبَل بالأسنان " ، وإنَّ قول المسيح " هذا هو جسدى " كان بمعنى أنَّ " الخبز وُضع علامةً لجسده " . وذكر الوليمة التى فيها " قدم المسيح لتلاميذه جسده ودمه مجازاً " .

وقال ثاودوريتوس (سنة ٤٥٠ م) " العناصر هى رموز سرية " وأشار إليها بتلك العبارة بعد تقديسها وأثبت أنه لا يحدث فيها تغيير جوهرى فى الأفخارستيا . وقال غيلاسيوس أسقف روما (سنة ٤٩٥ م) " إنَّ جوهر الخبز وجوهر الخمر لا يزالان فيهما ، فالحق أننا نحتفل بالأسرار المقدسة بصورة جسد المسيح ودمه ورمزهما " .

على أننا لا ننكر أنَّ قليلين من الآباء كتبوا ما يُظن أنه تعليمٌ بالاستحالة . منهم غريغوريوس النسى وكيرلس الأورشليمى وأمبروز وهيلاريوس الذين نبغوا فى أواخر القرن الرابع . على أنَّ ما قصدوه بعباراتهم فى هذا الموضوع لم يزل تحت الشك ، وإن ظهر فيها ما يقرب من معنى الاستحالة . ولا يبعد عن الظن أنَّ عبارات هؤلاء الآباء وأقوال الليتورجيات القديمة فى عشاء الرَّب لا تفيد إلا حضور المسيح سِرَّياً أو بالمعنى المجازى (وهذا يوافق اعتقاد الكنيسة اللوثرية) . وقد استعملوا المجاز البليغ إكراماً لمقام ذلك السِّر العظيم وتوضيحاً لأنه رمزٌ لجسد المسيح المكسور ودمه المسفوك لأجل خلاص العالم وبنفس الروح الذى به قال المسيح له المجد " هذا هو جسدى " .

٢ ـ **يناقض شهادة الحواس** : لأنَّ الخبز بشهادة الحواس لا يزال خبزاً والخمر لا تزال خمراً ، فهذه شهادة النظر والذوق والشم واللمس . وإذا تُرك ذلك الخبز فسد كالخبز المعتاد . وجواب التقليديين على هذا هو : إن حواسكم بجملتها تغشكم ، فإن شهدَتْ أنَّ الخبز لم يزل خبزاً بعد التقديس فلكم دليل إبطال تلك الشهادة وهو قول المسيح " هذا هو جسدى " . فيجب عليكم أن تعتبروا شهادة الإنجيل أكثر من شهادة الحواس .

وتسهيلاً لقبول هذا القول صرحت الكنيسة أنَّ الاستحالة تقع فى جوهر الخبز والخمر لا فى أعراضهما ، وقصدت بأعراض الخبز اللون والطعم والشكل والخواص الطبيعية الخارجية التى تميزه ظاهراً عما سواه من المواد . وقصدت بالجوهر أمرٌ سِرِّىٌ لا تدركه الحواس ، تقوم به أعراض الخبز . وجعلت ذلك الأمر السِّرى مركز الاستحالة دون ظواهر المادة . ولا نرى كيف يتغير الجوهر ولا

تتغير معه الأعراض لأنَّ هذا يخالف كل نواميس الطبيعة . فاستحالة الجوهر تقتضي تغيير الأعراض لا محالة .

وإذا قيل إنه يجب على المسيحى المؤمن أن يصدق أحياناً ما هو فوق إدراكه بالعقل والحواس سلَّمنا . ولكن لا نُسلِّم أنَّ المؤمن مكلَّف بقبول ما يخالف عقله وحواسه ، فنحن نؤمن بقيامة المسيح ، ولكن إيماننا هذا مبنى على شهادة الحواس . لأنَّ كثيرين من البشر شاهدوا المسيح وعرفوه بالحواس بعد قيامته . والمسيح نفسه سمح لتوما أن يلمسه ليؤمن . وهكذا يُقال فى جميع معجزات الكتاب لأنها تمّت أمام البشر ، فامتحنوها بحواسهم وبنوا إيمانهم على شهادة حواسهم . ولو بقى الخمسة الآلاف جياعاً بعد إطعامهم الأرغفة الخمسة والسمكتين لما صدقوا المعجزة ، وكذلك لو بقى لعازر ميتاً فى القبر لما صدقوا إنَّ المسيح أقامه . والمسيح بقوله " جسونى وانظروا " استشهد بالحواس (لو ٢٤: ٣٩ ، ٤٠ ؛ يو ٢٠: ٢٧) .

٣ ـ **يناقض العقل** : لأنه يُلزمه أن يسلم بلا برهان بأمرٍ لم يذكره الإنجيل ولو كان صحيحاً لوجب أن يكون عليه دليلٌ واضحٌ مقنعٌ . فمن المستحيل أن يتغير الجوهر مع بقاء الأعراض المادية على حالها . ونحن لا ننكر قدرة الله على تحويل خبز أو حجر أو حديد إلى لحم ، لكننا نقول إنه فى حالة حدوث ذلك تتغيَّر الأعراض مع الجوهر .

ونقول أيضاً إنَّ العهد القديم ينهى عن أكل الدم أو شربه خصوصاً دم البشر ، فيحقّ لنا أن نسأل : هل أجاز الله أكل لحم البشر فى زماننا وأعلن جواز شرب دمهم ؟ وإذا أكلنا جسد المسيح وشربنا دمه بموجب تعليم الاستحالة ، فماذا يا ترى يحدث بعد ذلك ؟ لأننا إذا أخذنا المسيح فى أجسادنا حقيقة ، فهل تتصرف الطبيعة بحسب عادتها ، أو هل يتخلص المسيح من هذا المصير بمعجزة خاصة ؟ والعقل البشرى ينفر من التأمل فى مثل هذه الأفكار ..!!

ونسأل أيضاً : قال المسيح " هذا هو جسدى المكسور لأجلكم " فإذا حدث حقيقة أنَّ الخبز والخمر تحوّلا إلى جسد المسيح ودمه عندما وضع المسيح هذا السِّر . فهل انكسر جسده وهل سُفك دمه وهو لم يزل حياً أمام تلاميذه ..!!؟ فيكون قد مات وهو مع تلاميذه فى العلية قبل صلبه بعدة ساعات ..!! فكيف كان جسده مكسوراً وميتاً ودمه مسفوكاً مع وجوده حياً أمامهم ..!!؟

ومن ذلك أنَّ الإنجيل يقول إنَّ جسد المسيح بعد قيامته تغير وصعد إلى السماء فى غاية المجد ، وهو لا يزال ممجَّداً فى جسده . ورأيناه فى وقت التجلى أخذ هيئة لا تحتملها العين البشرية بسبب لمعانها وبهائها السماوى . فإذا صار المسيح على هذه الهيئة الآن فهل يترك مجده السماوى كلما حدث قُدّاس على الأرض ويحضر بهيئة لا تختلف عن ظواهر الخبز ..!؟ وحين يحضر القداديس الأرضية هل تفرغ السماء منه ، أو هل تتكاثر ظهوراته فى الأرض ، مع وجوده الدائم فى السماء ..!!؟

ويقول الإنجيل فى وضع العشاء الربَّانى إنَّ المسيح أخذ خبزاً وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وقال " خذوا كلوا هذا هو جسدى " (مت ٢٦:٢٦) . فماذا صار يا ترى حينئذ ..؟ هل أخذ المسيح جسده فى يده ووزعه على التلاميذ ..!!؟ وهل كان جالساً فى كمال جسده ومع ذلك أمسك جسده بيده فى ذلك الوقت عينه ..!!؟ وهل فهم التلاميذ كلامه على هذا المعنى وحسبوا الخبز جسده الحقيقى الجالس أمام عيونهم ..!!؟ وكل ذلك حمل ثقيل على العقل السليم يخالف كل أحكامه .

٤ ـ تعليم الاستحالة يناقض تعليم الكتاب المقدس :

(أ) .. تفسير قول المسيح " هذا هو جسدى " بمعنى حرفى هو تفسيرٌ غير صحيح . لأنَّ قصد المسيح فى هذا الكلام البسيط هو أنَّ الخبز يرمز إلى جسده الذى كان سيقدّمه ذبيحة عن الخطية ، وقد استخدمه ليكون علامة محسوسة تدل على جسده . وليذكِّر المشتركين بذلك . وقد ورد المجاز كثيراً فى الكتاب على هذا الأسلوب . والاصطلاح المجازى موجودٌ فى كل لغات البشر ، ومن أمثلته فى الكتاب المقدس : " يهوذا جرو أسد .. يساكر حمار جسيم .. نفتالى أيَّلة مُسيَّبة .. يوسف غصن

شجرة مثمرة " (تك ٤٩: ٩، ١٤، ٢١، ٢٢) و " الرب صخرتى " و " الرب الله شمس ومجن " و " كلامك سراج " (مز ١٨: ٢ و٨٤: ١١ و١١٩: ١٠٥) ... و " أنتم ملح الأرض ، أنتم نور العالم " (مت ٥ : ١٣، ١٤) و " أنا هو خبز الحياة . وأنا باب الخراف . وأنا الكرمة وأنتم الأغصان " (يو ٦: ٣٥ و١٠: ٧ و١٥: ٥) و " هاجر جبل سيناء فى العربية " (غل ٤ : ٢٥ قارن رؤ ١ : ٢٠ ، ١٧ : ١٢ ، ١٨ ، ١٩: ٨ ، ٢٢ : ١٦) .

فقول المسيح " هذا هو جسدى " هو اصطلاح روحى رمزى . ولذلك بقى تلاميذ المسيح قروناً يقرأون هذا القول ويمارسون هذا السِّر دون أن تخطر الاستحالة على بالهم ..!!

(ب) .. علمنا الكتاب أنَّ جسد المسيح صعد إلى السماء وسيبقى هناك إلى أن يجىء ثانية ، بدليل قوله " الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء " (أع ٣ : ٢١) . وقوله " إذاً نحن من الآن لا نعرف أحداً حسب الجسد . وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد ، لكن الآن لا نعرفه أيضاً " (٢ كو ٥ : ١٦) . وقوله " إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله " (كو ٣ : ١) .

فجسد المسيح بموجب هذه الآيات فى السماء إلى أن يجىء ثانية . ومن خواص الجسد أنه لا يشغل مكانين فى وقتٍ واحدٍ ، وقد قيل عن المسيح نفسه بعد قيامته " ليس هو هنا لأنه قام " (مت ٢٨ : ٦) . فالمسيح لم يقم بجسده فى أماكن كثيرة فى وقت واحد كما يظهر من أقوال الكتاب فى جسده بعد قيامته من الأموات (لو ٢٤ : ٣٩ ، ٤٠ ؛ يو ٢٠ : ٢٧) .

(ج) .. حوّلت الكنيسة التقليدية أقوال المسيح فى يوحنا ٦ إلى برهان على تعليم الاستحالة مع أنه ليس فى هذا الأصحاح ما يشير إلى العشاء الربَّانى . بل إنَّ المسيح دعا نفسه فيه " **خبز الحياة** " و " **الخبز النازل من السماء** " ليوضح علاقته بالمؤمنين باستعارة الخبز وفائدته فى التغذية التى تقوم بها الحياة . وقدم المسيح نفسه للعالم لنأكل منه بالإيمان روحياً كما نأكل من الخبز جسدياً .

ولم يشر المسيح بأقواله فى يوحنا ٦ للعشاء الربَّانى الذى لم يكن قد وضعه بعد . وحينما قال السامعون " يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز " قال لهم " أنا هو خبز الحياة . من يُقبل إلىَّ فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً " (يو ٦: ٣٤، ٣٥) . فاعتبر المسيح أكل جسده والإقبال إليه والإيمان به بمعنى واحد .

ولئن صحَ أنَّ عشاء الرَّب هو المقصود من قول المسيح " إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم " (يو ٦ : ٥٣) تكون النتيجة أنَّ كل من لا يشترك فيه ليس له حياة أبدية . ويكون اللص التائب على الصليب قد هلك لأنه لم يأكل جسد المسيح كما هو مقدَّم فى عشاء الرَّب ، وكذلك أطفال بلا عدد لا ينالون الخلاص لأنهم لم يتناولوا ..!

فتخصيص كلام المسيح فى هذا الأصحاح بسِرّ الأفخارستيا يُفضى إلى نتائج تخالف نفس الاعتقاد التقليدى . وكذلك إذا صحَ أنَّ عشاء الرب هو المقصود من قول المسيح " إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يَحيا إلى الأبد . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير " (الفقرتان ٥١ ، ٥٤) يكون المعنى أنَّ كثيرين كانوا فى حضن الكنيسة التقليدية وخرجوا منها وصاروا إنجيليين ، مثل لوثر وألوف مثله قد نالوا الحياة الأبدية ، لأنهم تناولوا فى الكنيسة التقليدية . وهذا يخالف رأى الكنيسة التقليدية ..!!

ويقول المسيح فى (يو ٦ : ٦٣ ـ ٦٤) " الروح هو الذى يحيى . أمَّا الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة ، ولكن منكم قوم لا يؤمنون " .

(د) .. أقوال المسيح عند وضع السِّر تمنعنا من قبول التعليم الحرفى إنَّ العناصر صارت جسده حقيقة ، لأنَّ المسيح بعد ما قال " هذا هو جسدى " و " هذا هو دمى " قال أيضاً " من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى " (مت ٢٦: ٢٩) .

وهذا دليل قاطع على أنَّ المسيح اعتبر الخمر بعد صلاته عليها لا تزال خمراً . وكذلك قال الرسول بولس بعد تكريس العناصر " الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح ..؟ " (١كو ١٠: ١٦) . وهذا برهان على أنَّ الرسول اعتبر الخبز بعد كسره لا يزال خبزاً . وكذلك دعا الرسول الخبز خبزاً بعد تكريسه والكأس كأساً (١كو ١١: ٢٣-٢٦) .

٥ - **ينتج عن تعليم الاستحالة نتائج مضرة** . فليس هذا التعليم ضلالاً فقط لكنه يؤدى إلى ضلالٍ أبعد منه ، مثل :

(أ) .. عبادة العناصر عبادة أصنامية ، لأنها عبادة دينية لمادة بسيطة . فلو صحَّت الاستحالة لوُجد المسيح حقيقةً فى الخبز والخمر ، ولجاز السجود لهما . ولكن إذا لم يصح شيءٌ من تعليم الاستحالة فتلك العبادة صنمية ..!!

(ب) .. تقديم جسد المسيح بعد الاستحالة المزعومة ذبيحة كفارية لأجل خطايا الأحياء والأموات ، وهذه الذبيحة - على قولهم - لا تختلف عن ذبيحة الصليب معنى وفاعلية .

ولا يخفى أنَّ فى ذلك إهانة هائلة لذبيحة المسيح الحقيقية ، لأنَّ الكنيسة التقليدية تعلم لزوم تكرار ذبيحة المسيح فى ذبيحة القداس ، التى تحسبها وسيلة لرفع الدينونة عن الأحياء - وعن أهل المطهر فى الاعتقاد الكاثوليكى - . على أنَّ ذبيحة المسيح بموجب تعاليم الكتاب لا تتكرر ، بل هى وحدها كافية ولها فاعلية دائمة وغير محدودة .

(ج) .. هذا التعليم يؤدى إلى رفض الوحى والدين والحق ، لأنه يلزم العقل البشرى بقبول التعليم بلا برهان ، وقبول معجزات كثيرة بدون دليل ، بل لمجرد سلطان الكنيسة وباسم الديانة .

ونحن نقول - **لا يزال الكلام لصاحب كتاب اللاهوت النظامى** - إنَّ المسيح لما تأنس لم تستحِل ألوهيته إلى الإنسانية ولا إنسانيته إلى الألوهية ولا بعد صعوده إلى السماء . فكيف يصير الخبز إلهاً حينما يصعد على أيادى القسوس ..!؟ وأية قوة فى

أيديهم حتى يصنعوا من تراب الأرض (الخبز والخمر) إلهاً خالق السموات والأرض ..!؟ وأية علامة عندهم لإثبات ذلك ..!؟

نقول أيضاً - **لا يزال الكلام لصاحب كتاب اللاهوت النظامى** - إنه لا يمكن وجود جسم مادى مخلوق فى مكانين معاً فى وقت واحد . والمسيح الإله المتجسد لما كان على الأرض لم يكن قط فى مكانين معاً فى وقت واحد . فكيف يحضر جسده بعد صعوده إلى السماء فى ألوف الأمكنة فى دقيقة واحدة ..!!؟ ونقول أيضاً إنَّ الجسد والدم يؤكلان ، وأمَّا اللاهوت والنفس اللذان (على زعمهم) يوجدان فى القربان ، فكيف يمكن أكلهما وهما روحيان ..!؟ إذا لا بد أن الأكل بالروح وليس بالأسنان ..!!

وربما يوجد مَن يقول إن فى الديانة بعض أمور عسرة الفهم تفوق العقل البشرى ، ومنها مسألة الاستحالة . ونحن نقبل هذا ، غير أنَّ ذلك يكون فى ما يخص جوهر اللاهوت لا خبز القربان الذى هو عنصر التراب الذى قال عنه المسيح " اصنعوه لذكرى " لا " اعبدوه عوضاً عنى " انتهى النقل [1] .

قلت جمال : وربما نعرف شيئا عن نشأة هذا السِّر بتصفحنا لتاريخ الكنيسة الأولى .. فقد كانت الكنيسة الأولى عبارة عن منزل خاص .. فأول مكان تعبدى مسيحى جاء ذكره عند جاستن (I, chs. 65; 67) فى قوله أنهم كانوا يجتمعون فى **منزل** خاص يسمعون بعض الخطب والمواعظ ثم صلوات ثم قبلة السلام ثم **تعاطى الخبز والخمر** . هذا هو واقعهم وأخبار **كنيستهم الأولى** حتى نهاية القرن الأول .

ثم تحول هذا العشاء البسيط إلى طقس تعبدى فيما بعد وأصبح من أسرار الكنيسة السبعة ..!! ومن أسباب تحوله إلى طقس تعبدى هو أنَّ كثيرا من المسيحيين كانوا تحت وطأة الرِّق أى كانوا عبيدا يخدمون عند أسيادهم . فكان من غير الممكن أن يخرجوا ليلا للصلاة والاجتماع فى المكان الخاص . فكان يكفى المشاركة فى الأكل مرة واحدة على الأقل ..!! إضافة إلى أنَّ توقيت الاجتماع

---

(١) .. انتهى النقل بتصرف من كتاب اللاهوت النظامى .

للعشاء عند الأمميين كان ليلة يوم السبت وصبيحة الأحد ، وهذا الأمر لم يكن متوفرا عندهم لعدم موافقته لليوم اليهودى الذى أكل فيه المسيح عشاؤه مع التلاميذ .

ونعود إلى طقسنا ـ المقدَّس !! ـ لنلاحظ أنّه مِن الأمور المهمة عندهم فى خدمة ذلك السِّر ثلاثة أشياء :

ـ تكريس الخبز والخمر بالصلاة عليهم وقول كلمات ما أنزل الله بها مِن سلطان . فيتحول رغيف الخبز بعد صَبّ الخمر عليه إلى لحم ودم يسوع فيسجدون للرغيف بعد تكريسه . ليعبدوا صنما فى هيئة رغيف ..!!

ـ ثم يقومون بكسر الرغيف وتوزيعه على المشتركين فى القدّاس لأكله . فأكلوا صنمهم الذى عبدوه وسجدوا له ..!!

ـ حُسن قبول المشتركين للطعام المقدس والاحتفاظ به فى بطونهم أطول فترة ممكنة . فيتم لهم بذلك السِّر أكل جسد يسوع على حد زعمهم وشرب دمه الزكى تحت أعراض الخبز والخمر .

يقول حبيب جرجس مدير الكلية الأكليريكية للأقباط الأرثوذكس سابقاً فى كتابه (أسرار الكنيسة السبعة) فى صفحة ٦٥ : " اننا نؤمن أنه بعد تقديس سِرّ الشكر واستدعاء حلول الروح القدس على القرابين يستحيل الخبز والخمر استحالة سِرّية إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين . حتى أنَّ الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزاً وخمراً بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه تحت شكلي الخبز والخمر "

ويقول الأنبا غريغورس فى (سرّ القربان طبعة يناير ١٩٦٦ ص١٤) : " بصلوات الكاهن المرتبة والقداس الإلهى على الخبز والخمر يحلّ الروح القدس عليها فيتحوّل ويتبدّل جوهر الخبز إلى جسد المسيح وجوهر الخمر إلى دمه " (انظر كتاب الكنيسة وفرائضها ص ٤٥) .

قلت جمال : ومن هنا نفهم منظر سجود بطركهم الأكبر ومَن معه مِن قساوسة وكهنة للرغيف بعد تقديسه على شاشات التليفزيون المصرى أثناء احتفالاتهم بعيد القيامة ..!!

ويقول حبيب جرجس فى صفحة ٧٢ من كتابه المذكور أنَّ هذا الإيمان هو إيمان جميع الآباء فى كل عصر منذ نشأت الكنيسة حتى الآن ... وكذلك ترى هذا التعليم واضحاً فى إقرار المجامع فقد ورد فى قرارات المجمع المسكونى الأول : " لا ينبغى أن ننظر على المائدة المقدسة إلى الخبز والكأس كأنهما مقدمان على بسيط الحال ، بل يجب أن نرفع الروح فوق الحواس . ونتفهم بالإيمان أنَّ حَمَل الله الرافع خطية العالم يستريح ههنا مذبوحاً من الكهنة وأنهم يتناولون جسد الرب نفسه ودمه الكريم نفسه " .

قلت جمال : وبما أنّ شرب الدم محرّم فى العهدين القديم والجديد (تكوين ٩:٣ ؛ لاويين ١٧:١٠ ؛ أعمال ١٥:٢٠) . فالإدعاء بتحويل الخمر إلى دم الربّ فعلياً وتناوله يعتبر جريمة شنعاء فى حقّ الربّ وتعاليمه ..!!

ولا يخفى ما فى هذا الهراء والتعليم السخيف من إهانة هائلة ليسوع الذى يذبح يوميا مرات عديدة على يد الكهنة ، وفى مئات بل الآلاف مِن الكنائس فى جميع أنحاء العالم فى وقت واحد . ومع ذلك فالكنيسة التقليدية تعلم لزوم تكرار ذبيحة يسوع فى ذبيحة القداس التى تحسبها وسيلة لرفع الدينونة عن الأحياء (وعن أهل المطهر فى الاعتقاد الكاثوليكى) .

إنَّ ذبيحة المسيح بموجب تعاليم كتابهم (الرسالة العبرانية) لا تتكرر ، بل هى وحدها كافية ولها فاعلية دائمة وغير محدودة . فأى فائدة من نزول الاله الى الأمعاء البشرية ليُهضَم ومِن ثم ينطرد إلى مصيره المحتوم فى مجارى الصرف الصِحِّىَ ..!؟

وكيف يمكن أكل الاله وهم يقولون أنَّ الاله روح وليس بمادة ..!؟ والحق إنَّ **هذا السِّر يؤدى إلى رفض الوحى والدين والحق والعقل** . لأنه يُلزم العقل البشرى بقبول السِّر بلا برهان ، بل لمجرد سلطان الكنيسة .

وأذكر للقرَّاء بعضا مما فى القداس القبطى يتلوه كاهن الاعتراف وهو يحمل الصينية المقدسة على يديه وعليها رغيف الخبز ايَّاه فيقول :
" أمين أمين أمين ، **أؤمن أؤمن أؤمن أؤمن ، وأعترف إلى النفَس الأخير** أنّ هذا ـ مشيراً إلى رغيف الخبز ـ هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح من سيدتنا وملكتنا والدة الإله القديسة مريم الطاهرة وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . واعترفَ الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطى وأسلمه عنّا على خشبة الصليب المقدس بإرادته وحده عنّا كلنا . بالحقيقة أؤمن أنّ لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين ويعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياةً أبديةً لمن يتناول منه . **أؤمن أؤمن أؤمن أنّ هذا هو** بالحقيقة آمين " .
لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وأستغفر الله مِن نقل هذا الكفر المبين .

ويقول صاحب كتاب اللالىء النفيسة وأسرار الكنيسة السبعة " إنّ ذبيحة الصليب كانت دموية أمَّا ذبيحة القداس فغير دموية " . وعبارة أخرى تقول : إنّ ذبيحة الصليب كانت للتكفير عن خطايا العالم ووفاء عدل الله وفاءً أبدياً . وأمَّا ذبيحة القداس فتُقدم استعطافاً لله عن خطايا الذين قُدِّمَت لهم وبواسطتهم ولذلك سمّاها الآباء ذبيحة استعطاف . وتطوّر الفكر التقليدى فقال : إنّ ذبيحة القداس ليست غير ذبيحة الصليب فهما ذبيحة واحدة . ويقول مجمع نيقية لأنه لا فرق حينئذ بين مسيح يُعلق على الصليب والمسيح المتحوّل فى القداس إلى رغيف الخبز والخمر .



بابا الكنيسة القبطية شنودة الثالث أمام القربان المقدس
استعداد لالتهام جسد يسوع ربهم وإلههم ..!!
لاحظ عدد الأرغفة .. إنها ثلاث
إنهم يأكلون الأقانيم الثلاثة ..!!

قلت جمال : وفى الحقيقة نجد أنَّ مِن أشدّ الأسرار خطراً على الإيمان المسيحى هو سِرّ الافخارستيا . لقد اختلق آباء الكنيسة تلك الأسرار ليفرضوها على تابعيهم حتى يتسلطوا عليهم ، لأنهم ربطوا كل البركات الدنيوية والأبدية بالانصياع لهم وقبول أسرارهم ، والتى تعتبر كمخدّر لأتباعهم حتى لا ينشغلوا عن مطالبتهم بطاعة وصايا الله وفروضه ، وحتى تطمئن ضمائرهم المضطربة من جرّاء الدينونة التى تطاردهم بسبب عصيانهم لوصايا الله الصريحة .

ويقولون بأنَّ الأسرار تمنح النعمة من ذاتها وبقوتها لأنَّ صدور النعمة معلق على مباشرة السرّ . (انظر الافخارستيا والقداس لمتى المسكين ص٢٤) . فالنعمة معطّلة بدون ممارسة هذه الأسرار ..!!



شنودة الثالث يُناول أحد قسسه لقمة من جسد يسوع ..!!

لقد أنزل الله تعاليمه وإرشاداته الواضحة فى العهد القديم بخصوص الحمل المقدم فى عيد الفصح . فكان يلزم أن يكون الحمل ابن حول واحد بلا عيب صحيحاً . وكذلك فخبز التقدمة أو الفطير يكون دقيقاً ملتوتاً بالزيت وليس فيه خميرة البتة . وأيضا عصير العنب يجب أن يكون طازجاً بلا تخمّر يُذكر . فكيف بهؤلاء القوم يصرفون النظر عن تعاليم وإرشادات كتابهم المقدس ويستخدمون أشياء مرفوضة جملةً وتفصيلاً ثم يدعون بعد كل هذا الخرق أنّ الكاهن المُصيرّ على كسر شريعة الله ، أعطِىَ له السلطان أن يحوّلها إلى شخص الإله الكامل القدوس جسداً وروحاً دماً ولحماً ..!؟

أمَا آن الأوان أن يستفيق المسيحيون من سباتهم وسيرهم وراء قادة عميان . لقد قال لهم المسيح عليه السلام : " **اتركوهم هم عميان قادة عميان** . وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة " (متى ١٥:١٤) .

ويذكر أحد القداسات (كتاب علم اللاهوت صفحة ٣٨٦) بأنَّ القربان المقدس يتصف بالصفات المختصة بالأجساد .. وتلك المختصة بالأرواح أيضاً . وهو حيّ إلاّ أنّه بحالة ميتة .. أى أنه لا يسمع ولا يتكلم ولا يحسّ ولا يتحرّك ومع ذلك فهو حيّ ويمنح الحياة لكل من يتناوله ..!!
فهل فهم القارىء شيئا من تلك الخزعبلات ..!!؟
وهل هناك مَن يجلب العار على المسيحية برمّتها أكثر من هذه الشعوذة ..!؟

تقول الكنيسة إنَّ خدمة ذلك القداس الإلهى هى من أجلّ وأهم الخدم الكنسية . بل إنَّ جميع الخدم الكنسية الأخرى كصلاة الغروب وصلاة النوم وصلاة نصف الليل وصلاة السحر وصلاة الساعات : الأولى والثالثة والسادسة والتاسعة ، هى كلها صلوات استعدادية لخدمة القداس الإلهى الذى يأكلون فيه جسد إلههم ويشربون دمه ..!!

ولهذا السِرّ أسماء متعددة : فيُدعى بـ سِرّ الشكر الإلهى ؛ والعشاء الربَّانى والعشاء السِّرى ؛ والذبيحة غير الدموية ؛ والقربان المقدس ؛ والشركة الإلهية ؛ ... وغير ذلك من الأسماء .

لقد سبقت الاشارة إلى أنَّ ذلك السِّر جاء به بولس مِن عندياته . وهنا ربما يتساءل البعض ويقولون إنَّ المسيح قد قال فى الأناجيل " الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ، من **يأكل** جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ، لأنَّ جسدى **مأكل** حق ودمى مشرب حق . من **يأكل** جسدى ويشرب دمى ، يثبت فىّ وأنا فيه " . فأقول له إنَّ تلك المقولة من تأثير بولس على كتبة الأناجيل فهو أول وأقدم مَن كتب عنْ المسيحية . ومَن أراد التحقيق فإنَّ كلمة **يأكل** فى أصلها الآرامى هنا بمعنى يفهم ويحفظ ويتدبر ، كلها أفعال عقلانية وذهنية . مثل قولنا فى لساننا العامى أكلت الكتاب أكلا وهضمته هضما أى قرأته وفهمته جيدا . وهذا المعنى متداول فى نصوص العهد القديم .

ومن أحد معانى الكلمة اليونانية المستخدمة هنا (يستقبل ؛ يقبل) وهى مترجمة عن الآرامية لغة المسيح . أى أنَّ الكلام يدور حول قبول تعليمات المسيح وفهمها والعمل بها ، لا الأكل بالأضراس والسنون والبلع فى البطون ثم الخروج المجارى ..!!

ومسيحيو مصر الأورثوذكس يؤمنون إيمانا جازما بأنَّ رغيف الخبز والخمر يتحولان حقيقة إلى جسد يسوع ودمه . وأنَّ يسوعهم المسيح يكون حاضرا لا بوجه الرمز أو الاشارة أو الرسم أو الصورة أو المجاز ولا بأنه مستتر فى الخبز بل يكون حاضرا حضورا فعليا ..!!

وللأقباط استعدادات لتناول جسد يسوع :
فيجب عليهم صيام الأصوام التى فرضتها الكنيسة مع الاعتقاد بهذا السِّر والاحترام اللائق له ، وأن ينقطعوا تماما عن الطعام والشراب لمدة لا تقل عن تسع ساعات قبل أكل يسوع . وقراءة صلاة المطالبسى قبل أكلهم يسوع . وبالنسبة للمتزوجين يجب عليهم هجر فراش الزوجية ثلاثة أيام قبل الأكل أو على الأقل ليلة أكلهم يسوع . وعلى النساء أن يتركن زينتهن على اختلاف انواعها وقت أكلهن يسوع وإلا وجب منعهن من الأكل .

أمَّا بعد أكلهم جسد يسوع :
فيجب عدم تقبيل الأيقونات بعد التناول أو تقبيل يد الكاهن أو رئيس الكهنة . وعدم البصق أو اخراج شيء من الفم (كـالبُصَاق والترجيع) أو من الدبر (كالخرءة والضرطة والفسوة) بعد أكلهم يسوع . حتى يمكث يسوع فى بطونهم أطول فترة ممكنة ويفطس حتى الموت فى الأمعاء النتنة ..!!

وتعتبر رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنتس هى الكتابة الأقدم تاريخا بين الكتابات الأخرى فى العهد الجديد . فلقد حرّرها بولس ما بين سنتى ٥٦ و ٥٧ وبالتالى هى قبل الأناجيل ، وبالتالى كان تأثيرها على الأناجيل كبيرا .

وبولس لم يستند فى كتاباته إلى شهود المسيح وتلاميذه بل إنَّ مرجعيته هى **الجنى يسوع النصرانى** الذى ترائى له فى طريق دمشق . ثم تلبَّسَ جسده وكان ينغص عليه عيشته فكان يشتكى منه ، وكان ذلك الجنى **يسوع النصرانى** يعطيه تعليماته عبر الرؤيا والأحلام فقط [١] .

لذلك قال بولس " فإنّى تسلّمت من الربّ ـ أى يسوع النصرانى ـ ما سلّمته إليكم . وهو أنّ الربّ يسوع فى الليلة التى أُسلِمَ فيها أخذ خبزاً وشكر ثم كسر وقال " هذا هو جسدى ، إنّه من أجلكم . اعملوا هذا لذكرى " . وصنع مثل ذلك على الكأس بعد العشاء وقال " هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى [٢] كلّما شربتم فاعملوه لذكرى " (١ كورنتس ١١/ ٢٣-٢٥) . ومن هنا عرف المسيحيون العشاء الافخارستى .

ويؤكد بولس على أنّه " تسلّم من **يسوع النصرانى** " ما يقوله لأهل قورنتس وهو يشدد على الأمر كأنّه هو شاهد . فعمليّة خلاص البشريّة المزعومة جاء بها بولس ولا أصل لها عند المسيح ابن مريم عليه السلام .

الأناجيل وحديثها عن القربان :

مِن الملاحظ أنَّ الأناجيل الثلاثة متى و مرقس ولوقا تتحدّث عن العشاء الأخير ليسوع مع تلاميذه . ولوقا يشبه إلى حدّ بعيد بنصه نصّ بولس .
راجع مرقس (١٤/ ٢٢-٢٥) ومتى (٢٦/ ٢٦-٢٩) .

ومن تأثير بولس على كتبة الأناجيل أنّه قد فرَّق فى اليونانية بين أكل اللحم وأكل البقول ، فأكل اللحم أو الجسد يُطلق عليه (فاجو φαγω) وأكل البقول يُطلق عليه كلمة (اسثيو εσθιει) كما ورد فى رسالتيه (١ كورنتوس ٨ : ١٣ ؛ رومية ١٤ : ٢) . واستخدم بولس كلمة **فاجو** فى سِرّ الإفخارستيا أى اختار الكلمة

(١) .. راجع التفاصيل المذهلة فى كتابى " يسوع النصرانى مسيح بولس " .
(٢) .. لم يتكلم بولس عن العهد الذى تكلم عنه ابن مريم والأنبياء من قبله . وإنما تكلم عن " العهد الجديد " عهد يتحقق بالدم .

المعبرة عن أكل اللحم وليس الخبز أو الفطير . وتابع كتبة الأناجيل بولس فقالوا **فاجو** (φαγω) مع أنَّ أكل لحم الأجساد محرَّم تحريما قاطعا فى العهد القديم ..!!

كما يلاحظ أنَّ الإنجيلى يوحنا لا يذكر العشاء الأفخارستى بنصّ خاص مثل الأناجيل الثلاثة الباقية . فهو يذكر شرحه لمعجزة تكثير الخبز والسمك وأنّ المسيح هوَ الخبز النازل من السماء مَن يأكل منه تكون له حياة جديدة وهى الحياة الأبديّة . إنها بقايا اشارات عن المائدة السماوية ..!!

ويختم ابن مريم ﷺ لقاءه بتلاميذه بصلاته الربَّانية بالفصل ١٧ حيث يعبّر عن العطاء والتقدمة وعن الشكر للآب ، وفيها يقول أعطنا **لقمة** ولكن مترجمى الأناجيل إلى العربية قالوا خبزا ..!! **واللقمة** كلنا نعرفها فهى محددة خلاف الخبز ، المهم أنه قال أعطنا **لقمة** بالآرامية ولم يقل أعطنا لحما أو قطعة لحم أو حتى خبزا ..!! إنها اشارة أخرى إلى المائدة السماوية ، كما نجد فى العشاء الأخير اشارة صريحة لشكر النعمة ولتكون لهم عيدا وذكرى كما جاء فى القرآن عن المائدة التى طلبها الحواريون .

الغرض مِن سِرّ الإفخارستيا :

فيه الدلالة الواضحة على أنَّ نظام العهد القديم وتعليمات إنجيل المسيح ابن مريم ﷺ قد استبدلا بنظام العهد الجديد البولسى . بمعنى أنَّ أكل **خروف الفصح** الإسرائيلى تحول إلى أكل **يسوع النصرانى** الذى قال به بولس .

ولكن ابن مريم ﷺ ثبت عنه قوله " ما جئت لأنقض الناموس ولكن لأكمل " فقال ﷺ **لأكمل** ولم يقل **لأوكل** ..!! فالفصح باقى وأحكام الناموس كما هى وكل ما هنالك هو الإيمان بالإنجيل بما فيه من تخفيف ورفع الإصر والأغلال التى وضعها شيوخ بنى إسرائيل عن قومه .

جاء فى إقرار الإيمان الوستمنسترى ، أنَّ الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها وضع سِرّ جسده ودمه ، وسمّاه العشاء الربَّانى لكى يمارَس فى كنيسته إلى منتهى العالم لأجل ذكر تقديمه نفسه بموته ذكراً دائماً . ولختم كل فوائد ذلك

للمؤمنين الحقيقيين ولغذائهم الروحى ونموهم فيه . ولتجديد التزاماتهم بجميع الواجبات التى له عليهم . وليكون رابطاً وعربوناً لشركتهم معه ، وشركة بعضهم مع بعض ، باعتبار كونهم أعضاء جسده السرى (فصل ١:٢٩) .

وقد أفاد بعض المحققين أنَّ المسيح لم يقل **الخمر** هى دمى وإنما قال **عصير العنب هو العهد** (the fruit of the vine is the covenant) وفقا لما جاء فى نسخة (Douay-Rheims) للكتاب المقدس .

قلت جمال : الحقيقة أنَّ مسألة العشاء الربَّانى كانت هاجساً فى العالم الوثنى القديم فكانوا يعتقدون أنَّ كل من يأكل من جسد الإله الميت ويشرب من دمه يتحقق له الخلود . فعلى سبيل المثال وليس الحصر " كان قدماء المصريين يعبدون الملك عُزير [١] ويصنعون له جسداً من عجين القمح ثم يأكلونه قرباناً مقدساً معتقدين أنهم يستمدون السطوة من جسد عُزير ودمه [٢] .

فحبوب القمح كانت رمزاً لـ **عزير** والخبز المصنوع من القمح كان طعاماً مقدساً فى حين أنَّ الجعة المخمرة من الشعير ـ البوظة ـ كانت شراباً مقدساً ، ربما كانوا يعتقدون أنَّ الخبز والبوظة هما جسد ودم عزير حرفياً وليس مجازياً .

وفى الحقيقة أيضا ومع التحقيق نجد أنَّ الإفخارستيا كان معترفا بها فى العالم الوثنى اليونانى .. فالربَّة كيريس (Ceres) إلاهة الحقول والزرع والرَّب باخوس (Bacchus) إله الخمر . كان يُحتفل فى عيدهما بصنع كعكة من الدقيق يأكلونها وهم يقولون تلك الكعكة هى جسد ربتنا كيريس . ثم يشربون الخمر ويقولون وهذا هو دم ربنا باخوس (راجع كتب الأساطير اليونانية) .

---

(١) .. راجع التفاصيل المثيرة فى كتابى " تابوت سيدى يهوة " .
الاسم المصرى الحقيقى لأوزيريس هو **عزير** ، وحيث أن حرف العين المضموم لا يوجد فى اليونانية فقالوا أوزير كما كتبه سليم حسن فى موسوعته عن تاريخ مصر الفرعونية . وحرف السين فى آخره هو لاحقة اعراب يونانية فقالوا أوزوريس . ولكن فى الهيروغريفية رسم الحرف الأول على هيئة العين للدلالة على أنَّ الحرف الأول هو العين أى عزير ..!!

(٢) .. وإلى عهد قريب أذكر أننا فى صعيد مصر كنا نصنع مع كحك العيد دمية على هيئة إنسان من العجين نأكلها يوم عيد الفطر . إنها إشارة واضحة تراثية إلى أكل جسد عزير (أوزير ـ يس) . اضافة إلى شرب مشروب البوظة الغير مختمر والشهير فى صعيد مصر .

وقال المحققون المسيحيون بأنَّ الإنجيل (Q) [1] الذى استطاعوا إعادة تركيبه وتجميعه لا يوجد فيه اشارة إلى الصليب أو لحم ودم يسوع . كما لا توجد أدنى اشارة إلى سِرّ الإفخارستيا فى إنجيل توما المكتشف فى نجع حمادى . وكذلك لا يوجد ذكر لأكل لحم يسوع وشرب دمع فى إنجيل يعقوب .

فشرب الدم فى الشريعة الموسوية محرَّم تحريما قاطعا ، والمسيح ابن مريم وُلِدَ وعاش تحت أحكام التوراة والشريعة الموسوية ، ولم ينقضها أو يأمر بخلافها وإنما كما قال جاء مكملا لها ، فمن المستحيل أن يأمر ابن مريم عليه السلام بشرب الدم وعلى الأخص دمه هو شخصيا . فكل تلك الخزعبلات جاءت مِن قِبل بولس ومسيحه يسوع النصرانى .

فى حوالى سنة مائة ميلادية وما بعدها كانت الكنائس الأولى تستخدم الخبز والماء فى ذلك السِّر ، ثم فى القرن الرابع استخدمت الخبز والخمر تحت حجة أنَّ الماء كان يُستخدم من قِبل الوثنيين . وتم تحريم استخدام الماء تماما فى نهاية القرن الرابع واستبداله بالخمر .

هذا مع العلم بأنَّ تقدمة الخبز والخمر لم يأت بها بولس من بعيد فهى موجودة فى العهد القديم وجرت أحداثها بين كاهن الرب ملكى صادق ملك القدس التى كانت تُسمَّى حينذاك بـ ساليم ، وبين إبراهيم خليل الله ﷺ (تكوين ١٤ : ١٨) . فهذا الأمر إذا ليس من العهد الجديد فى شيء . وكاهن الكنيسة يكون كما يقولون على رتبة ملكى صادق كاهن الرب العلىّ وليس على رتبة المسيح عيسى الهارونى السلالة [2] .

كما أنَّ تحريم شرب الدم موجود فى مقررات مؤتمر أورشليم الذى حضره تلاميذ ابن مريم عليه السلام (أعمال ١٥ : ٢٨ ـ ٢٩) " الامتناع عن أكل ما ذبح للأصنام وعن الدم وعن المنخنقة وتحريم الزنا " . وقد ذكِرَت تلك الفقرة فى ثلاثة مواضع من سفر الأعمال (١٥ : ٢٠ ؛ ٢٨ ـ ٢٩ ؛ ٢١ : ٢٥) .

---

(١) .. هو الأصل المفترض " الإنجيل المفقود " الذى نقلت منه الأناجيل الحالية .
(٢) .. راجع كتابى " المسيح هارونى أم داودى " وكتابى " الرد الوجيز على القس فريز " .

يرى كثير من النقاد المسيحيين الذين عقلوا وتعقلوا الأمور أنَّ العشاء المقدس بدعة منقولة عن الوثنية الميترائية والإغريقية ولذلك نرى أنَّ بولس يكثر فى رسائله من الحديث عن جسد المسيح وحلوله فى أتباعه ولبس أتباعه لجسد المسيح . مما يدل على تأثره بالوثنيتين الميترائية والإغريقية . وإذا كانت الكنيسة تزعم أنَّ الغاية من ذلك هو أن يدخل المسيح فى أجساد الآكلين فيتمتعوا بالألوهية ..!!

إنَّ الكنيسة استغلت بلاهة وسذاجة أتباعها ، ففرضت عليهم مثل هذه العقائد الغريبة الممجوجة ، لكن الفطرة البشرية لابد أن تستيقظ مهما طالت غفلتها وذلك ما تم بالفعل ، فقد أدَّى إسراف الكنيسة فى الاستخفاف بعقول البشر ومعاندة الفطر الإنسانية إلى تلك الثورة العارمة ضد الكنيسة فى الغرب التى انتهت بانهيار الكنيسة وفقدانها معظم نفوذها وهيمنتها فى القرن الماضى .

وأخيرا هناك أمر آخر وهو ما يُعرف بـ صناديق حفظ القربان المقدَّس ..
وهى صناديق صغيرة من الفضة غالبا تحفظ فيها بقايا الذخيرة المقدَّسة أى الخبز والخمر بعد تحولهما إلى جسد المسيح ودمه . وكان المسيحيون فى القرون الثلاثة الأولى يحملون معهم إلى بيوتهم أجزاء من الجسد المقدس بعد قداس يوم الأحد ليتناولوها بأنفسهم طوال بقية أيام الأسبوع ، ولهذا السبب صنعت صناديق صغيرة من الخشب أو العاج أو أحد المعادن مزودة بسلسلة يمكن بواسطتها حمل هذه الصناديق حول العنق ، كما يفعل الكهنة الأنجليكان حاليا ...
ولحسن الحظ فالكنيسة القبطية تمنع حاليا الاحتفاظ بالأسرار المقدسة طبقا لقوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية (١) .

قلت جمال : وللقارىء أن يتخيل أنَّ المسيحى يحمل بقايا جسد ربه وإلهه حول عنقه ليأكل منه طوال الأسبوع وربما تطول المدة تبركا بما يحمل ، وفى الحقيقة فإنه لا يحمل فى الصندوق سوى خبز منقوع فى الخمر قد تعفن وتحلل ..!!

---

(١) .. نقلا عن معجم المصطلحات الكنسية ص ١٢٤ .

ولذلك احتاطت الكنيسة القبطية للأمر فأمرت بعدم الاحتفاظ بالذخيرة المتعفنة حتى لا يرتاب فيها المؤمنون .

قرّائى الأعزّاء ..

تعلموا لتعرفوا ، واعرفوا لتتعلموا

السِّرّ الخامس

﴿ سِرّ مِسحة المرضى ﴾

ولاستحكام قبضة الكنيسة على أتباعها منذ مولدهم بالتعميد والتثبيت والاعتراف والتناول ، تدخلت أيضا فى شئونهم الحياتية الخاصة وإلى لحظة الموت فعند المرض المؤدى إلى الوفاة قالت الكنيسة بهذا السِّر ووجوبه ..!!

وهناك تسميات عديدة أعطيَت لهذا السِّر فى الشرق والغرب . فسُمّىَ بـ " سِرّ الزيت " و" سِرّ الزيت المقدّس " و" سِرّ المسحة " و" زيت المسحة " و " مسحة المرضى " . وترجع تلك المسميات إلى التقليد المتبع .

ومصدر هذا السِّر هو مرقص الإنجيلى حين قال : " إنَّ الرسل - تلاميذ المسيح - دهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم " . وقال " فمضوا - أى التلاميذ - وبشّروا بالتوبة وطردوا شياطين كثيرة ومسحوا المرضى الكثيرين بالزيت فشفوهم " (٦/ ١٢-١٣) . وزعمت الكنيسة أنَّ مِسحة هؤلاء المرضى تدل على إيمان التلاميذ ، وفى بعض الحالات تدل على إيمان المرضى إذا شفوا .

وفى هذا السِّر يَمسحُ الكاهنُ المريضَ بزيت مقدس ويستمد له الشفاء من الرب يسوع روحياً وجسدياً . ولكن يسوع المسيح لم يَمسح أحداً بالزيت قط ولا أمر به . حتى وإن حدث ذلك فالأمر ليس بسِرّ تحتفظ به الكنيسة لنفسها فهو أمر يشابه الرقى فى الإسلام . أو سكب الماء على المُصاب بعد قراءة بعضا يسيرا من آيات القرآن الشفائية عليه . فالقسس يُصَــلّون على المريض بعد أن يمسحوه بالزيت باسم الربّ وغالبا باسم الآب والابن والروح القدس .. ثم يبسطون عليه أيديهم وهو ممدّد على فراشه كى يقوم على رجليه إن كان فى ذلك خير له .

فالسرّ عندهم يكمن فى هذه الحركة الرمزية وليس فى الدعاء وطلب الشفاء من الثالوث المقدَّس . إنها حركة أخذوها عن المسيح ابن مريم عليه السلام بدون فهم أو وعى . فقد كان مِن خصائصه عليه السلام أنه عندما كان يمسح عيون العميان وآذان

الطرش بيده الشريفة وأحيانا بريقه وبالتراب المبلل يُبرىء المرضى بإذن الله تعالى [1] . وتلك خاصية اختص بها المسيح ابن مريم ﷺ دون غيره من البشر . فهو مسيح يمسح الآخرين وليس بمسيح ممسوح كما يقول جميع المسيحيين فى جميع أنحاء العالم .

وهذا الزيت عباره عن زيت يصلى عليه الكاهن ، ويوضع فيه سبع فتائل من القطن ويصلى عليهم سبع صلوات مرتبه متفق عليها عند معظمهم . ويوقدون سبع فتائل رمزا لكمال حلول مواهب الشبح المقدَّس لشفاء المريض باسم الرب يسوع ، ويزعمون أنَّ صلاة الإيمان هذه تشفى المريض . واعتبروا أنَّ سِرّ المسحة هو الواسطة الوحيده من الرب يسوع للشفاء ، **ولا يتم** الا بواسطة خدامه ووكلائه من الكهنة .

يقول متكلموهم إنَّ المهمّ والمعنى النهائى لطقس المسحة يرجع أولا الى أنه يطبّق لقب الربّ " المسيح " أى الممسوح . فالمسيح " الممسوح " هو الذى يعمّد ويثبّت ويرسم الكهنة ويغفر ويشفى المرضى . وقولتهم " الممسوح " هذه خاطئة مائة فى المائة ، فليس المعنى الأوحد لكلمة مسيح هو الممسوح حسب لغة ابن مريم ﷺ التى كان يتكلمها هو وقومه . وقد بينت ذلك فى كتبى السابقة وذلك من داخل نصوص الأناجيل اليونانية . فهو بحث فريد فى معناه ومبناه لم يسبقنى إليه أحد بحمد الله تعالى على ما أنعم وأفاض على عبده .

ويطلق على ذلك السِّر مُسمَّى " **سِرّ الذين على وشك الرحيل** " (sacrament of those departing) . ويمسح الكاهن بيده على رأس المريض وساقيه بالزيت وهو يقول هذه الكلمات : بتلك المسحة **لعل الرب** فى حبه ورحمته يساعدك بنعمة الروح القدس آمين . **لعل الرب** الذى حررك من الخطيئة يخلصك لتنهض من رقادك آمين .

---

(١) .. راجع كتبى " المسيح والمسيا " و " معالم أساسية ضاعت من المسيحية " لتتعرف على المعنى الجديد لكلمة مسيح فى أصل لغتها .

ورغم وجود المستشفيات وتقدم الطب وتكنولوجياته فلا تزال الكنائس تقوم بمهمتها بمسحة الشفاء حتى داخل أبنية المستشفيات ، فيعطون للمرضى جزءا من القربان المقدس (الرغيف إيَّاه أى جزء من جسد يسوع ليأكله قبل موته) ثم يُمسح ويُصلى عليه بالشكل المذكور آنفا أو بالكلمات التالية : **ربما الرب** الآب يُنعم عليك . **ربما الرب** الابن يُشفيك . **ربما الرب** الروح القدس يُنورك . **ربما الرب** يحميك من المرض وينمى خلاصك . **ربما هو** يُنير قلبك وتفوز بالحياة الأبدية .

قلت جمال : أسأل الله تعالى أن يُشفى المسيحيين جميعا مِن الخضوع للكنيسة وسيطرتها على قلوبهم وعقولهم ..!! فكلّما تورّطت المسيحيّة فى الغابة الوثنيّة . تضخمت أهمية الأسرار . وسيطرة الكنيسة . **فربما الرب** ينير قلوبهم وعقولهم فيفهمون ماذا يفعلون ..!!

السِّرّ السادس

﴿سِرّ الزواج﴾

وهذا السِّر وُضِع للتشديد على المسيحيين من الكنيسة ، وللرقابة عليهم فى أمورهم الخاصة .. فلا يصحّ الزواج إلا عن طريق الكنيسة ولا يصلح الطلاق إلا لعلة الزنا وعن طريق الكنيسة أيضا . ولذا ذهب المسيحيون فى الغرب إلى اجراء الزواج والطلاق فى مكاتب المحاماة على أساس أنه عقد مدنى بين الطرفين . فخرجوا عن سيطرة الكنيسة فى تلك الجزئية فقط ..!! فالزواج عند كل الناس وفى جميع الملل والنحل يعتبر ناموساً طبيعياً ليس من الأسرار فى شىء .

وأثيرت هذا العام فى مصر قضية الزواج الثانى .. فهناك حالات طلاق قد تمت بين المسيحيين التابعين للكنيسة القبطية يبلغ عددهم كما أذيع على شاشة التلفزيون المصرى حوالى مائة ألف حالة ، منذ أن تولى شنودة كرسى البابوية . وتم الطلاق أمام المحاكم المصرية تبعا للقانون المعمول به وبموافقة المجلس المِلى أيام البابا كيرلس السابق لشنودة . والمشكلة أنّ هؤلاء المساكين يريدون أن يتزوجوا ويستكملوا مسيرة حياتهم ولكن كنيسة شنودة لم تعترف بطلاقهم أمام المحاكم وبالتالى لا تعطيهم التصريح بالزواج الثانى ..!!
إنه مثال صارخ دال على سيطرة الكنيسة على أتباعها .

كيفية إتمام خدمة سِرّ الزواج المسيحى :

- صلاة العربون : يسمى هذا القسم بصلاة العربون لأنّ فيه توضع فى يد كل من العروسين العلامة أى الخاتم الذى هو علامة الخطبة . وذلك بأن يقف العروسان الرجل عن اليمين والمرأة عن اليسار ويقول الكاهن بعد تلاوة بعض الأفاشين وفى يده الخاتمين : يعربن **فلان** على **فلانة** بإسم الآب والابن والروح القدس . آمين (ثلاثا) ثم : تعربن **فلانة** على **فلان** بإسم الآب والابن والروح القدس . آمين (ثلاثا) ، ثم يضع الكاهن الخاتم الذهى فى بنصر الخطيب اليمنى

والخاتم الفضى يضعه فى بنصر الخطيبة اليمنى . ثم يتقدم الاشبين فيغير الخاتمين بجعل الذهب فى بنصر الخطيبة والفضى فى بنصر الخطيب .

وكانت العادة قبلا أن تقام صلاة العربون عند عقد الخطبة منفصلة عن الإكليل . أما الآن فقد ألغيت هذه العادة بتاتا فى الكنائس الأرثوذكسية الشرقية ولم تعد الكنيسة تسمح بها نظرا لكثرة ما يحدث بين الخطيبين من الاختلافات التى تؤدى حتما إلى فسخ العربون مع أنه جزء من الإكليل . ويكتفى عند عقد الخطبة بصلاة بسيطة فقط .

- <u>**صلاة الاكليل**</u> : بعد " مباركة مملكة الآب ... " والطلبات وتلاوة بعض الأفاشين ، يمسك الكاهن بالتاجين ويكلل العروسين : يكلل **فلان** على **فلانة** بإسم الآب والابن والروح القدس . آمين (ثلاثا) وتكلل **فلانة** على **فلان** باسم الاب والابن والروح القدس . آمين (ثلاثا) ثم يبارك **الخمر** ويسقى كلا من العروسين ثلاث جرعات ، الرجل ثم المرأة . بينما يرتل المرتلون : " كأس الخلاص أقبل وباسم الرب أدعو " بعضهم يسقى الاشبينين أيضا . والأصح عند بعضهم أنَّ هذه الكأس يجب أن تمنح للعروسين فقط عملا بما جاء فى أفشين المباركة .

وبعد تناول الخمر يدور بهما الكاهن حول المنضدة ثلاثة مرات والعريس واضع خنصره بخنصر العروس والاشبين ماسك بيساره الإكليل فوق رأس العريس ، والأشبينة ماسكة بيمينها الإكليل فوق رأس العروس .

بعد الانتهاء من الدورة الثالثة ورجوع العروسين مع اشبنيهما إلى مواقعهم أمام المنضدة ، يلتفت الكاهن نحو العريس فيرفع الإكليل عن رأسه مباركا إياه بالعبارة التالية : " لتعظم أيها العريس مثل إبراهيم . وتبارك مثل اسحق . وتكثر مثل يعقوب . سالكا بسلام وصانعا بعدل وصايا الله " .

ثم يتجه نحو العروس فيرفع الإكليل عن رأسها مباركا إياها بالكلمات التالية : " وأنت أيتها العروس ، لتعظمى مثل سارة ، وتسرى مثل رفقة . وتكثرى مثل راحيل . مبتهجة برجلك هذا وحافظة حدود الناموس لأنَّ الرب هكذا ارتضى " .

- صلاة حل الإكليل : هذه الصلاة تتلى على العروسين عند حضورهما إلى الكنيسة فى اليوم الثامن من اقترانهما ، وهى قبل صلاة الختم .

بعض الملاحظات بشأن سِرّ الزواج :

- كقاعدة عامة عندهم لا يجوز عقد الزواج بين الأقارب .
- لا يجوز اتمام هذا السِّر في يومى الأربعاء والجمعة وليلة كل أحد أى مساء السبت وكل عيد مسيحى عظيم على مدار السنة
- يجب إتمام هذا السِّر نهارا لا ليلا . وفى الكنيسة لا فى البيت .
- وأفضل وقت لاتمام هذا السِّر هو بعد الانتهاء من خدمة القداس الإلهى ، إذ يتناول العروسان الأسرار الطاهرة ومن ثم يمنحان سِرّ الإكليل المقدس .

قلت جمال : والحقيقة أنَّ الزواج ليس بسِرّ على الاطلاق فهو معلن ومعترف به بين الناس جميعا ، متدينهم وكافرهم لا ينكره أحد ، بل هناك الكثيرات من المسيحيات يتزوجن من غير المسيحيين وزواجهم صحيح عند الجميع بدون اجراء سِرّ الزواج عليهم . فذلك السِّر هو محاولة لاكمال قبضة الكنيسة على شعبها ولمعرفة دقائق أمور حياتهم من مواليد (تعميد) وزواج ومرض وموت وحتى سلوكياتهم فى هذه الحياة (الاعتراف) .

والزواج لا طلاق فيه إلا بموافقة الكنيسة وبالشروط المعمول بها لديها . من أجل ذلك القيد الكنسى على موضوع الزواج والطلاق فإنَّ هناك طوائف مسيحية لا تؤمن بذلك السِّر ضمن الأسرار الكنسية ، ويتزوجون ويتطلقون فى مكاتب المحاماة .

قال بولس مشيرا إلى سِرّ الزواج (أفسس ٥ : ٣٢) : لذلك يستقل الزوج عن أبيه وأمِّه ويتحد بزوجته فيصير الاثنان جسدا واحدا . هذا السِّر عظيم ولكننى أشير به إلى المسيح والكنيسة " فزوَّج بولس يسوع للكنيسة . ولكن الكنائس لا تزال تعمل بذلك السِّر ضاربة عرض الحائط بكلام بولس .

هناك شاعر فرنسى اسمه جاكويس بريفرت كتب عن الحبَ قائلا :

" تقول أنك تحب الزهور وتقطفها . تقول أنك تحب الأسماك وتأكلها . تقول أنك تحب العصافير وتحبسها فى قفص . عندما تقول لى أحبك أنا أخاف " . فهكذا تحب الكنيسة رعاياها .. تقطفهم كالزهور وتحبسهم فى قفصها كالطيور وتأكلهم كما أكلت يسوع ..!!

السِّرّ السابع

﴿ سِرّ الكهنوت ﴾

سِرّ **الكهنوت** هو مصيبة المصائب وأعجوبة العجائب وأوسع باب دخل منه الشيطان للكنائس المختلفة ليضل الناس عن طريق الله . ففيه ينال القسس سلطة مغفرة الخطايا والذنوب عن الناس ..!!
فالمغفرة عندهم حق من حقوق الكنيسة تعطيها لمن تشاء ، ولذا راحت قديما فى القرون الوسطى تبيع صكوك الغفران فى الغرب .

وهذا السِّر له ارتباط وثيق بسِرّ الاعتراف . ويزعمون أنه عمل مقدس . به يضع الأسقف أو القِسّ الأكبر درجة يده على رأس الشخص المنتخب للكهنوت ويطلب من أجله . فينال النعمة الإلهية التى ترفعه إلى دراجات الكهنوت : الأسقفية والقسوسية الشماسية .

فهو عندهم **تاج الأسرار** لأنه خاص برجال الكنيسة وبدونه لا يمكن للكنيسه أن تستمر ولا يمكن لاحد أن ينال مواهب الشبح المقدَّس بدونه .
يقول الأرشمندريت عطا الله : " أنَّ شرف الكهنوت يفوق بكثير شرف سائر الرتب والمراكز البشرية بل والملائكية أيضا ..!!
فهم كهنة يدركون أنه أعطى لهم أكثر مما أعطى للشيروبيم والسيرافيم (أى الملائكة المقربون) ..!! وهم كهنة خدام الرب يسوع الذين يغفرون للناس ذنوبهم وآثامهم " . (نقلا عن مقالة له على شبكة المعلومات) .

ودرجة الكهنوتية هذه تتم وتأخذ قوتها بوضع اليد استنادا لقول بولس " لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاه لك بالنبوَّة مع وضع أيدى الكهنة عليك " (١ تى ٤ : ١٤) . فسِرّ الكهنوت هو ذلك السِّر الذى يكفل استمرار الديانة المسيحية وسيطرة الكنيسة على المسيحيين .

مِن أقوال القِسّ **روفائيل وهب** : الكهنوت سِرّ مقدس ، مؤسس من الرب يسوع نفسه .. آباءنا الرسل كانوا يتممونه مع باقى الأسرار منذ الكنيسة الأولى . الكاهن يوجه نظره إلى الرب يسوع الذى هو الينبوع الوحيد والمثل الوحيد لكل كهنوت ، لكى يصبح **مع** يسوع و**بـ** يسوع ، **وفى** يسوع كاهناً **لـ** يسوع . (لاحظ استخدامه للوسائط **مع** ؛ **بـ** ؛ **فى** ؛ **لـ**)

فتبدأ صلوات سيامة الكاهن عقب صلاة الصلح فى القداس الإلهى كتعبير عن أنه يسقى كنائباً وسفيراً لله [1] . أمَّا خلوة ما بعد السيامة : فالكاهن الجديد يختلى عن الجميع وعن بيته بعد انصراف الشعب يوم السيامة فى مكان خلوة مناسب (وليكن أحد الأديرة) لمدة أربعين يوماً متتلمذاً للأباء عاكفاً على دراسة الكتب المقدسة . ولكى يتسلم تقليد الكنيسة العقيدة والطقس والألحان . ومدة أربعين يوماً أسوة بتجربة المسيح فى البرية بعد تعميده على يد يحيى المعمدان .

وبالتالى تعتبر فترة الخلوة عقب سيامة الكاهن هدفها الامتلاء ، ولا يوجد امتلاء بدون اختلاء يصاحبه إخلاء من كل المسئوليات والرباطات لكى تحقق تلك الفترة هدفها الروحى ولكى ينعم ببركة تلك الأيام فى حياته ولكى يبدأ خدمته بقوة روحية . وعلى الكنيسة القيام بإجتماعات للصلاة المستمرة خلال هذه الفترة من أجل ذلك الكاهن حتى يشبع من الروحانيات .

ولأهمية هذه الفترة نجد أنَّ الكنيسة تخصص كاهناً متخصصا يلازم الكاهن الجديد فى خلوته خلال صلوات القداس كل الأيام الأربعين . يلاحظه ملاحظة تامة ويسلمه الطقس السليم . وإذا تأكد من سلامة الأداء يسمح له بصلاة القداس الإلهى منفرداً ليتمرن على أدائه . ويسمى ذلك اليوم بيوم استلام الذبيحة . والذى تعتبره الكنيسة يوم فرح عظيم ، ولذلك رتبت له طقساً جميلاً (!!) يسمى طقس استلام الكاهن الجديد ذبيحة القداس الإلهى لأول مرة منفرداً .

---

(١) .. معنى عبارة " سفير الله " حسب الأصول اليونانية للأناجيل هو أن يكون أبوستليوس أى نائبا مفوضا عن الله يحرم ويحلل ويتكلم باسم الله . فهى رتبة أعلى مِن رتبة الأنبياء والمرسلين الذين يبلغون كلام الله ورسالاته للناس . وقد سبقت الاشارة إلى أنّ الكهنة أعلى منزلة مِن الملائكة المقربين ..!!
(راجع مبحث السفارة عن الله (أبوستوليوس) فى كتابى يسوع النصرانى) .

وبعد انتهاء هذا القداس الإلهى يُزف الكاهن الجديد بالصلبان والبيارق داخل الهيكل ثلاثة دورات وفى البيعة ثلاث دورات بألحان " إك ازماروؤت وإبؤورو " . ثم يخرجون به إلى قاعة مجاورة للكنيسة ، ثم يقرأ طرح خاص بهذه المناسبة بألحانه ومرداته الجميلة (!!) .

وفى هذا الطرح نداء بالفرح من أجل نوال درجة الكهنوت للكاهن الجديد وما يتبعها من مواهب صالحة والتى يعطيها الله لمن يشاء (!!) . كما يحتوى على صلاة من أجل أن يحفظ الرب كهنوته بالبر والعدل والطهارة . كما يحتوى على صلاة لبطركهم الأكبر (شنودة الثالث حاليا) . وصلوات من أجل أن يكون لجميع الحضور نصيب فى ملكوت السموات ، ويستشفعون بالسيدة العذراء مريم (أم الله عندهم) وبالشهيد مار مرقس الإنجيلى كاروز الديار المصرية وسائر رؤساء الملائكة والأنبياء والرسل والشهداء والقديسين والسواح والمجاهدين .

ويتوسط ذلك ألحان ومردات وفى نهاية كل مقطع يقول الجميع أمين ثلاث مرات ... إلخ . ثم يقال لحن **خين إفران** ثم **أكسياس** للعذراء وبعدها **أكسيوس** للكاهن الجديد . كما تقال أرباع من المجمع للعذراء وشفيع البيعة وقداسة البابا البطريرك والأسقف والكاهن الجديد . ثم يقال **كيرياليصون** باللحن الفرايحى ٣ مرات ويختم بـ " أمين **الليلويا ذوكصابترى** ......" ثم ينال الكاهن الجديد البركة .

وبعد أن يقضى الكاهن الجديد تلك الأربعين يوماً عاكفاً خلالها على دراسة كلمة الرب والتأمل فيها ودراسة القوانين الكنسية مع استلام تعاليم الكنيسة وطقوسها وألحانها . يعود الى كنيسته حيث يستقبل بلحن " **إبؤورو** " إلى باب المذبح ، حيث يتم باقى الطقس الخاص باستقبال الكاهن الجديد فى بيعته وإستلام زوجته و ...... إلخ [١] .

---

(١) .. انتهى النقل بتصرف من موقع مسيحى قبطى على الانترنت . وعلامات التعجب التى بين قوسين منى .

قارئى المسيحىّ : إن كنت تريد التحقق من صدق كلامى فاسأل الذين تقابلهم فى كنيستك هذين السؤالين : هل أنت متيقن من نوالك الغفران الكامل والحياة الأبدية بعد اعترافك أمام الكاهن ..!؟ وعلى أى أساس تبنى هذا اليقين ..!!؟

سيحزن قلبك وأنت تسمع جواب الكثيرين .. وسترى جهلهم الكبير . وستسمع من الكثيرين منهم أنهم لا يعرفون مصيرهم . إنهم يعيشون مسيحية معدومة الرجاء . ولذلك فهم لا يبشرون الآخرين بإنجيل اليقين . الذى كان مع ابن مريم عليه السلام لأنَّ فاقد الشىء لا يعطيه . ورغم ذلك فهم يقولون لك فى سِرّ الكهنوت : ينال المشرطن نعمة وحكمة وقوة ليقوم بأعمال وظيفته خير قيام .
قلت جمال : والمطلوب الدليل القاطع على ذلك القول .

تطور العبادة عند القائلين بالكهنوت الحرفى :

إنَّ القسس الذين نادوا بأنهم كهنة أخذوا يقتبسون فى أواخر القرن الثالث الكثير من طقوس العبادة التى كانت تستعمل فى الهيكل اليهودى قديماً بعد صبغها بصبغة مسيحية ، وبذلك يكون كهنوت هؤلاء القسس تقليداً للكهنوت اليهودى . وقد وافقهم على ذلك معظم المتنصرين من اليهود . وذلك لتأثرهم مثل أجدادهم الذين عاشوا فى العصر الرسولى بالأنظمة التوراتية التى ألفوها منذ نعومة أظفارهم . فالعبادة التى كانت فى منتهى البساطة أول أمرها ، أخذت تحل محلها ابتداء من أواخر القرن الثالث عبادة طقسية معقدة ، يقوم بها الكثيرون بطريقة آلية ، بعيدة كل البعد عن العبادة التى كان عليها ابن مريم عليه السلام وحوارييه .

ولما ساند الإمبراطور الرومانى قسطنطين المسيحية فى القرن الرابع اتجهت الأنظار إلى اجتذاب معظم الملوك والأمراء إليها ، فبذل بعض الأساقفة كل ما لديهم من جهد لإظهار العبادة المسيحية فى أجمل مظهر يسر العيون والآذان . فشيدوا الكنائس الفخمة ، وزينوها بالصور والتماثيل الجميلة . كما ارتدوا عند قيامهم بالصلاة ملابس خاصة مزركشة بخيوط ذهبية وأحجار كريمة . فضلاً عن ذلك فقد

استعملوا البخور والشموع كما جمعوا الكثير من الألحان الموسيقية ، ووقعوا عليها الصلوات والتسابيح التى عملوها .

وبعد ذلك أضافوا إلى الطقوس التى وصلت إليهم طقوساً أخرى تشد الحواس البشرية وتستهويها ، فثار المؤمنون ضد الأساقفة المذكورين وحاولوا العودة بالعبادة المسيحية إلى بساطتها الأولى أو بالحرى إلى روحانيتها الأولى لكنهم لم يفلحوا كثيراً . لأنَّ الأغلبية الساحقة من الناس فى كل دين من الأديان كانت تجرى وراء المظاهر الدينية ، بما تحويه من أنظمة وحركات ونغمات جذابة . وقد وصف المؤرخون العبادة فى هذا القرن فقالوا إنَّ الصلوات فقدت الكثير من بساطتها الأولى وصارت مفخفخة ، أو بالحرى ذات رونق جذاب .

هذا هو تاريخ الكهنوت بالمعنى الحرفى أو التقليدى الذى صاغه بعض رجال الدين ابتداء من منتصف القرن الثالث . ولذلك فالقول إنَّ التاريخ الكنسى يثبت أنَّ هناك فئة من المؤمنين كانت تدعى كهنة بالمعنى الحرفى منذ القرن الأول لا نصيب له من الصواب . لأنَّ كل المؤمنين الحقيقيين كانوا فى القرن الأول يدعون كهنة بالمعنى الروحى .

وإليكم القارىء الكريم جدولا يوضح أهم الفروق بين الكهنوتين المسيحى و اليهودى (انظر الصفحة التالية) :

الكاهن المسيحى	الكاهن اليهودى
ليس بإسرائيلى ولا من ذرية هارون قطعا . وليس بشرط خلوه من العيوب الجسدية . وكل ما يشترط فيه أن يكون حافظاً للقداس وملماً لبعض الحقائق المسيحية الجوهرية وأن يكون حسن السلوك إلى حد ما .	أن يكون إسرائيلى الجنسية ومن ذرية هارون تحديدا . وأن يكون بلا عيب من الناحية الجسدية .
يؤدى خدماته وفق طقوس وضعها بعض رجال الدين ، وبملابس أوصوا باستعمالها . ولا يشترط فيه أن يكون طاهرا من النجاسة أو الجنابة عند أدائه للصلاة .	كان يؤدى خدماته الكهنوتية وفق طقوس خاصة وبملابس خاصة كان الله قد أمر بها فى العهد القديم . وأن يكون طاهرا من النجاسة والجنابة عند أدائه للصلاة .
لا يبتدئ كهنوته أو ينتهى عند سِن معينة ، بل يبتدئ كهنوته عند تعيينه فى أى سِن وينتهى بمفارقة الحياة لأنه على رتبة ملكى صادق .	يبتدأ كهنوته وينتهى عند سِن معينة إن لم ينته قبل هذه السِّن بمفارقة الحياة .
لا يقدم ذبائح بل يقدم العشاء الربَّانى لاعتقاده أنه ذبيحة الصليب الكفارية .	كان يقدم ذبائح وتقدمات مادية بعضها للتكفير والبعض الآخر للشكر .

مما تقدم يتضح لنا أنَّ السبب الرئيسى فى قيام الكهنوت المسيحى يرجع إلى اعتبارهم قول المسيح عن العشاء الربَّانى أنه جسده ودمه بالمعنى الحرفى . فلم يلتفتوا إلى الاصطلاحات اللغوية ، أو إلى حقيقة الخلاص بالإيمان الحقيقى دون سواه .

ومعنى كلمة **كاهن** هو خادم .. وكلمة كاهن مشتقه من الكلمه العبريه كوهين أى المنبىء بأمر الرب ، وهو شبيه **العرَّاف** فى العربية . والكاهن عندهم له منزله النبىّ وله امتيازات أكثر من الأنبياء إذ أنَّ الكاهن مؤتمن على أسرار الدين وأنَّه يغفر ذنوب الناس وتلك درجة لم ينلها الأنبياء والمرسلون ..!!

أول رئيس كهنة فى الكتاب المقدس هو ملكى صادق كاهن الله العلى الذى كان على عصر أبى الأنبياء إبراهيم (تك ١٤) وهو كما تقول التوراة الحالية : بلا أب وبلا أم وبلا نسب .. وهو مشبه بابن الله .
ما هذه الخزعبلات ..!!؟ أهو آدم آخر لم يخبرنا الله به ..!؟

فالكاهن المسيحى كما هو منصوص عليه عندهم لا يكون إلا على رتبة ملكى صادق ذلك **الكاهن الخرافى** ، ولماذا لا يكون الكهنة على رتبة المسيح لأنه أعقل وأبسط فالمسيح عندهم له أب وأم وأخوة وأخوات ..!!

وطقس سيامة الكاهن اليهودى قد ذكر فى الكتاب المقدس حيث يمسح بالمسحه المقدسة وتصنع هذه المسحه من أفخر الأطياب من المر والسليخه والقرفة العطرة وقصب الزريرة ومن زيت الزيتون " ويبدأ الكاهن اليهودى خدمته من بعد الثلاثين سنه من عمره (عدد٤ :٣) .

كما أنَّ الكهنوت ليس أرض عمل المرأة ، فلن تسمح الكنيسة بأن تكون فيها امرأة كاهنة على رتبة ملكى صادق ..!!
كما أنَّ هناك فى الغرب المسيحى شكوى مُرَّة مِن عدم سيامة الرجال السود للكهانة فمعظم الكهنة عندهم لا يكونون إلا بيض البشرة ..!!

مع سِرّ الكهنوت ..

صلاة الصلح .. تبدأ كل صلوات سيامات خدام المذبح الشمامسة والكهنة بعد صلاة الصلح لتعبر عن مفهوم هذه السيامة المقدسة أنها إقامة سفير عن الله يسعى لخدمة الملكوت قائلاً للناس : " تصالحوا مع الله .. " .

أمَّا سيامات الأباء البطاركة والأساقفة .. فتكون عقب الإبركسيس على اعتبار أنهم خلفاء الرسل وامتداد الكنيسة وعمل الروح القدس فيها .

صلاة الأسقف عن نفسه : يبدأ طقس سيامة الكاهن بأن يصلى الأب الأسقف (سراً) صلاة عميقة منسحقة عن نفسه يعترف فيها أمام الله بعجزه

وضعفه ويقر فيها بإيمانه الأرثوذكسى المستقيم ، ويتعهد فيها بتكميل عمل الرسل الكرازى .

تعهد الكاهن : يتلو المرشح للكهنوت تعهداً أمام باب الهيكل وفى حضور الشعب (هذا التعهد قد صاغه البابا شنوده الثالث وأضيف حديثاً إلى طقس السيامة) :
" أنا المسكين ... المدعو لنعمة الكهنوت على المذبح المقدس فى كنيسة ... بحى ... مدينة .. أتعهد أمام الله رب الأرباب وراعى الرعاة وأمام ملائكته وقديسيه وأمام أبى قداسة البابا ... (أو نيافة الأنبا...) وأمام الاكليروس وكل الشعب . بأن أثبت على الإيمان الأرثوذكسى إلى النفس الأخير . وأن احترم قوانين الكنيسة المقدسة وأحافظ على تقليدها وطقوسها وتعليمها . وأن أبذل كل جهدى فى تعليم الشعب الإيمان السليم وقيادته فى حياة القداسة والبر . وأكون أنا نفسى قدوة فى كل عمل صالح . وأتعهد بأن أحب الرعية ، وأعاملها بالرفق والحكمة ، وأبذل ذاتى فى افتقاد الشعب ، والاهتمام به من كل ناحية حسب طاقتى . وأن أبحث عن الضال ، وأسعى لرده ، وأجمع خراف الله المتفرقة ، ولا أغفل عن العاجزين والمنطرحين والذين ليس لهم أحد يذكرهم .

وأن أكون طويل الروح ، وواسع الصدر فى معاملة الناس ، ولا تكون لى جماعة مختارة بل اهتم بالكل . وأتعهد بأن أضع صالح الكنيسة فوق كل اعتبار . وأن أبعد عن محبة المال ، ومحبة النصيب الأكبر. ولا أتعالى على الشعب ، ولا أهملهم ولا أكلفهم بما لا يطيقون ، ولا آمرهم بما يخالف وصية الرب . ولا أرفض التائب إذا رجع . ولا أقصّر فى خدمة أحد منهم .

وأتعهد بأن أخضع لرئاسة الكهنوت ممثله فى قداسة البطريرك (وأبى نيافة الأنبا....) مع احترامى وتوقيرى لشركائه (أو شركائهم) فى الخدمة الرسولية الآباء المطارنة والأساقفة . وأطلب من الرب أن يهبنى قوة بصلواتكم حتى أقوم بهذه المسئولية الخطيرة . وأؤدى بأمانة كافة ما يتطلبه منة عمل الكهنوت الجليل . صلوا عنى يا آبائى وأخوتى القديسين . ها **ميطانيه** لكم جميعاً " . انتهى التعهد .

ويقولون بأنَّ **الكاهن هو إناء للشبح المقدَّس** يمتلئ به حتى يفيض بمواهبه على كل شعب الكنيسة رعاية وتعليماً ووعظاً ومواهب الأسرار المقدسة . والكاهن في الكنيسة هو **رجل الله** الذى تطلب من فمه الشريعة لأنه **رسول رب الجنود** . وهو **وكيل سرائر الله** ... وهو المتمم لكل صلوات الكنيسة والأسرار المقدسة .. هو الذى يعمل ويدهن بالميرون وهو الذى يقبل التائب ويعطيه الحل والغفران . وهو الذى يقدس القرابين ويقرب الشعب منها ، وهو الذى يزوج ويبارك المنازل ويدهن بالزيت ويرفع البخور فى كل مكان ... وهو الذى يصلى على الناس ويباركهم .

ويقولون أيضا أنَّ الشماس ينبه شعب الكنيسة بين الصلوات قائلاً لهم : صلوا .. فيردون **كيرياليصون** . وكذا رئيس الشمامسة يصرخ قائلا : اطلبوا كلكم لكى تحل عليه موهبة الشبح المقدَّس . فيعلن الحضور موافقتهم وتأييدهم بقولهم **اكسيوس** (أى يستحق) ثلاث مرات ..!!
فسيامة الكهنوت هى بداية الطريق لاضلال الناس وليست نهايته ..

وقد اعتادت الكنيسة أن تعطى اسماً جديداً للكاهن الجديد .. أسوة ببولس الذى تحوَّل اسمه مِن شاول إلى بولس وسمعان إلى بطرس .. ورئيس الشمامسة هو الذى يعلن الاسم الجديد . أما السيامة ووضع اليد بالاسم الجديد فيتممها الأب الأسقف .

قلت جمال : لقد انصاع القسس والرهبان إلى الدنيا مستعبدين أتباعهم المؤمنين ، ولقد ساعد وجودهم ضمن الامبراطورية الرومانية قديما على تثبيت مراكزهم وتدعيمها . وذلك بأنهم اقتبسوا من الأنظمة والهياكل السياسية للدولة فكرة إنشاء الإدارة الكهنوتية . وكما كانت هيئة الدولة تمثل هرماً قمته الامبراطور وقاعدته الجنود كانت الإدارة الكنسية تمثل هرماً مقابلاً قمته البابا أو البطرك وقاعدته الرهبان .

بيد أنَّ مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين ، وإن احتفظت ببعض تعاليم يسوع فى الأناجيل كنواة لها ، كانت فى صلبها ديانة كهنوتية من طراز مألوف

معروف للناس منذ آلاف السنين ، ولها هيئة تتطور بسرعة مكونة من الشمامسة والقساوسة والأساقفة .

وكان من الأسس الباطلة التى بنى عليها رجال الكهنوت مبررات وجودهم مبدأ التوسط بين الله والخلق ، الذى يقتضى ألاَّ يذهب الإنسان إلى القسيس ليعلمه كيف يعبد الله ، بل ليعبد الله بواسطته . وليس للمذنب أن يتجه بتوبته إلى الله مباشرة ، طالباً منه مغفرة ذنوبه ، بل عليه أن يتوجه إلى الكاهن معترفاً أمامه بذنبه ليقوم بالتوسط لدى الله فيغفر له .

وحسب ذلك المبدأ نصب الكهنة والقسيسون أنفسهم أنداداً لله تعالى وأوقعوا أتباعهم فى الشرك الأكبر ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ (التوبة / ٣١) وفوق كونه مبدأً باطلٌ شرعاً ، ساقطٌ عقلاً ، فإنه ليس فى الأناجيل ما يدل على أنَّ المسيح أقره أو دعا إليه . وقد ترتب على هذا المبدأ احتكار القسوس لحق قراءة وتفسير الأناجيل (كما هو الواقع عند الأقباط الأورثوذكس) .

فالوسيلة إلى الله تعالى هى مِن أهم المسائل التى تألق فيها الإسلام على غيره مِن الأديان ، إذ ليس بين الله وعباده وسيط ، وليس فى الإسلام قساوسة ولا كهنة ، إنَّ هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الأديان وإنهم لكذلك مهما كانت عقيدتهم ومهما كان إخلاصهم وحسن نياتهم .

أمَّا عن السلطة الكهنوتية الطاغية :

إنَّ الافتراء على الله من جهة وسوء الفهم والخطل فى الاستنباط من جهة أخرى أمران ملازمان للكنيسة ملازمة الظل لأصله . وقد أخذ الله تعالى على أهل الكتاب هذه الأخطاء المتكررة ﴿ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ (الأنعام/٩٣) و ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (النساء /٤٦) . فامتلأت الكنائس بالوثنيات ذات الأسرار والأساليب الخفية والرموز الغامضة .

فللمسيحية أسرار كثيرة متعددة الأصول الوثنية . منها ما يتعلق بأمور العقيدة كَسِر الثالوث وهو أكبر أسرار المسيحية وأخطرها ، ومنها ما يتعلق بشئون

العبادة والطقوس كالأسرار السبعة موضوع كتابنا . والكنيسة تعمد إلى تبرير كل طقس من طقوسها يأباه العقل وتنفر منه النفوس بأنه سِرّ إلهى حتّى تقاوم كل اعتراض عليها .

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم

وختاما ...

وبعد أن تعرفنا سويا على معنى كلمة كنيسة حسب أصولها اللغوية وعلمنا الفرق بين معناها عندهم والمعنى الذى أشارإليه المسيح ﷺ من أنها ستدعى بيتا للصلاة عند جميع الأمم أى أنَّ اسمها سيكون **مسجدا** أى بيتا للصلاة وليس كنيسة للتشريع والسيطرة على العباد . وعلمنا الفرق العقدى بين كنيسة الإسكندرية والكنيسة القبطية ، وكشفنا اللثام عن حقيقة اللغة القبطية وبينت أنها ليست بلغة مصرية أصلا ولا تمثل أى امتداد أو تطور لأى لغة مصرية .

وبعد أن طوَّفت بالقارىء حول أسرارها السبعة ، أستطيع بعون الله أن ألخص للقارى أهم ما ترمى إليه الكنيسة من أغراض بذلك الشأن :

ـ تسجيل دقيق لتعداد مواليد المسيحيين عن طريق سِرّ التعميد للأطفال . وتسجيل لمن يدخلون فى دين الكنيسة . وحتى مراسم دفن الموتى لا تتم إلا عبر الكنيسة لتسجيل شطبهم مِن سجلات الكنيسة . فهى تقوم بعملية احصاء كاملة لتعداد أتباعها .

ـ جمع أدق المعلومات التفصيلية والشخصية عن أفراد شعب الكنيسة وعن تصرفاتهم الشخصية عن طريق سِرَّى الاعتراف والزواج . وتلك معلومات تعجز عن جمعها أحدث الأجهزة المخابراتية .

ـ السيطرة التامة على شعب الكنيسة ، فلا إيمان بدون الوقوع بين براثن تلك الأسرار ، فمن لم يتعمَّد ويُمسح بالميرون لا نصيب له فى المسيحية ودين الكنيسة . ولا خلاص ومغفرة الذنوب بدون الاعتراف أمام كاهن الكنيسة . فالكاهن هو الوحيد الذى يستطيع منح الخلاص ومغفرة الذنوب .

ـ لا تفكير ولا تدبر فى الكتاب والدين بدون تدخل الكنيسة وقوانين إيمانها . فللكنيسة الحق الأوحد فى تفسير الكتاب وشرح معالم دينها . فهى المعصومة مِن الخطأ دائما . وهى قبل المسيح كشرط للإيمان .

وكل ما سبق يعتبر إطار سيطرة تامة على الأفراد وتوجيه الولاء الأوحد للكنيسة وهذا هو المعنى الحقيقى الأصلى والقديم لكلمة ساكريمنت اللاتينية السابق شرح معناها تفصيلا فى مقدمة الكتاب [1] .

قرّائى الأعزّاء .. قارنوا وتأملوا بين دين الكنيسة والدين الإسلامى الذى لا وجود فيه لكهنة أو سيطرة مجموعة من البشر على المسلمين . الدين الذى لا وجود فيه لقوانين إيمان وأسرار دينية وضعها بشر .

ومَن يتأمل فى الأناجيل الحالية سوف يلاحظ أنَّ ابن مريم عليه السلام لم يفرض التعميد على أحد وإنما جعله وسيلة لطهارة القلب والبدن وللتوبة بين العبد وربِّه وليس بين العبد وكاهن الكنيسة . ولا وجود للأسرار السبعة فى أقوال المسيح عليه السلام مما يدل على أنَّ الإيمان بدين المسيح لا يتطلب أسرارا وكهنة ولا حتى كنيسة تحشر نفسها وتتدخل بين الله وعباده المؤمنين .

إنَّ غسل عيسى عليه السلام فى نهر الأردن على يد يحيى عليه السلام كان لبدأ رسالة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام . وليس بمعنى التعميد الذى تقول به الكنائس للبس المسيح ، فمن الذى لبسه المسيح عند تعميده ..!!؟ إنه للطهارة ولاستقبار أمر إلهىّ جديد ، مثل حادثة شق الصدر لنبى الإسلام ﷺ لاستقبال المهام الربَّانية التالية .

ومع أنَّ دين الكنيسة لا وجود فيه لكلمتى **الحلال والحرام** مِن بعد أن ألغى لهم بولس أحكام الشريعة التى وُلِدَ تحت سلطانها ابن مريم عليه السلام . إلا أنَّ الكنيسة فرضت قوانين إيمانية وأسرارا كنسية بدلا من أحكام الشريعة .

وبدلا من تواجد علاقة حية متبادلة مع القسسين والرهبان ، من تعليم الناس أمور دينهم وفضائل الأخلاق ومكارمها ، لجأ المسيحيون إلى القسس والرهبان للتوسط لهم عند الإله ..!! وبدلا من أن يقف القسس والرهبان وراءهم ليدفعونهم

---

(١) .. جاء فى مجمع ترولو الذى عقد سنة ٦٩٢ م فى قانونه رقم (٣٨) : " ... عندما تجدد مدينة جديدة بأمر إمبراطورى فالنظام فى تدبير الشئون الكنسية يتبع النظام المدنى العام " .
(معجم المصطلحات الكنسية ص ١٤١) .
قلت جمال : فلماذا لا يُطبق هذا القانون الآن ، بدلا من حجب شئون الكنيسة وماليتها عن أجهزة الدولة ..!!؟

نحو الله ، صاروا يقفون بينهم وبين الله نيابة عنه . شاهرين سلاح الأسرار أمام أعين الناس ليسترهبونهم ..!! وصارت الديانة تقليدا وأمانة وأسرارا واسترهابا .

ولإخوانى فى المواطنة أقول لهم من القلب :

إنَّ الله وحده ينظر إلى القلب وأنه لا يطلب من البشر إلا : **الإيمان** بالمسيح ابن مريم عليه السلام وما جاء فى إنجيله ، **والتوبة** إلى الله . وهذا هو الذى جاء به المسيح ابن مريم عليه السلام فى أناجيلكم ولا شىء غيره . فالناس لا يحتاجون إلى توسُّط الكهنة بينهم وبين الله ولا لتلك الأسرار . " **آمِن بالرب فتخلص** " .

وأنَّ الاعتقاد أنَّ حالة الإنسان أمام الله تتوقف على شىء خارجى كعضوية كنيسة أو طائفة ، أو ممارسة طقس أو نظام احتفالى .. **خطأ يقينا** . فليس فى الأسرار أى قوة حقيقية ذاتية تجعلها فعالة فى توصيل الإيمان إلى الناس . أو محو الذنوب عنهم . وإنما الغرض الوحيد منها هو سيطرة الكنيسة على العباد .

ولا أصل لما تروجه الكنيسة القبطية من أنَّ المصريين هم الأقباط فتلك كلمة أجنبية غير مصرية فرضها الاحتلال البطلمى والرومانى على المصريين .. وأنَّ اللغة القبطية ليست بلغة الكنيسة المصرية ولكنها لغة المبشرين اليونان صنعوها لتكون وصلة الخطاب بينهم وبين المصريين .

ولقد كان المجتمعُ المصرى حتى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين متسماً بقدرٍ كبيرٍ من السماحةِ والقبولِ والاحترامِ المتبادل بين المصريين مسلمين ومسيحيين . **ولم نسمع** عن مصطلح **فتنة طائفية** بمصر إلا فى وقتنا الحاضر **ولم نشاهد** ذلك الحقد الدفين المستعر للمسلمين ونبى الإسلام ﷺ . مما يلفت الأنظار إلى **تغيّر نوع التعليم الدينى** الذى يتلقاه المصريين فى كنائسهم .

فيجب على العلماء الأتقياء من المسيحيين توعية أتباعهم وإفاقتهم من مخدر **التعليم المغشوش** السائد فى الكنيسة القبطية اليوم ، وتنبيه أتباعهم لكافة حقوقهم التى خولها لهم الكتاب المقدس وأقوال المسيح عليه السلام التى سُلِبَت منهم تحت إدعاء عصمة الكنيسة وسلطانها عليهم . حتى تعود السماحةِ والوئام والحب

المتبادل بين المسيحيين العرب والمسلمين تحت الشعار المقدَّس ﴿ لكم دينكم ولىَ دين ﴾ .

وأمَّا عن الأسرار التى كانت عند هؤلاء القدماء المتكلمين باللغة القبطية فهى خمسة وليست سبعة كما يزعمون الآن .. فقد جاء فى إنجيل فيليب القبطى (من مكتشفات نجع حمادى) أنَّ الرب قد أسس **خمسة أسرار** عظيمة هى **المعمودية** و **سِرّ المسحة** و **الأفخارستيا** و **الخلاص** و **غرفة الزفاف** . ويقول مترجم الإنجيل إلى العربية " لا نعرف على وجه الدقة إن كان هذا التقديس النهائى لغرفة الزفاف قد تم تفعيله طقوسياً من قبل الرجل والمرأة ، أو هو مجرد رمز لتجربة لغزوية ، أو مزيجاً من الإثنين . ولا تعطى لنا النصوص القبطية إلا تلميحات عن هذا السِّر ما يفترض به أن يكونه [١] .

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولقرائى الكرام

اللهم تقبل منى ذلك العمل المتواضع واجعله مقبولا عند الناس

واجعلنى ممن تكون آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) .. ابراهيم سالم الطرزى " أناجيل الأبوكريفا " .

فهارس الكتاب

معانى الاختصارات الأجنبية

أهم المراجـــــع الأجنبية

أهم المراجـــــع العربية

قائمـة بأسماء كتب المؤلف

فهرس موضـوعات الكتـاب

معانى الاختصارات الأجنبية

IGENT	Interlinear Greek - English New Testament .
RSV	Revised Standard Version .
NRSV	New Revised Standard Version .
KJV	King James Version .
NKJV	New King James Version .
NEB	New English Bible .
PME	Phillips Modern English .
NIV	New International Version .
JB	Jerusalem Bible .
TEV	Today's English Version .
NASB	New American Standard Bible .

أهم المراجـــع الأجنبية

1 - **Eight Translation New Testament .**

- King James version .
- Phillips Modern English .
- Rivesed standard version .
- The Jerusalem Bible .
- The living Bible .
- New international version .
- Today's English version .
- The New English Bible .

USA Tyndale House publishers Inc. (1985) .

2 - **The Hebrew - Greek . Key study Bible .**

New American standerd Bible .

AMG publishers .(1990) USA .

3 - **The New King James Version .**

USA (1997) .

4 - **New Revirsed Standard Version .**

Zondervan publishers USA (1996) .

5 - **Interlinear Greek - English . New Testament .**

By George Richer Berry - Baker House - USA (1994) .

6 - **Strong's Exhaustive Concordance .**

James H. strong - BAKER House . USA (1992) .

7 - **Thayer's Greek - English Lexicon of the New Testament**

Joseph H. thayer - Baker House . USA (1994) .

8 - **Gesenius Hebrew-Chaldee Lexicon to Old Testament**
H.W.F. Gesenius - Baker House . USA (1994) .

9 - **B.A.K.E.R. Encyclopaedia of the Bible .**
BAKER book house . USA (1989) .

10 **The International Standard Bible Encyclopaedia**
Grand Rapids , Michigon . USA (1992) .

11 **New Bible Dictionary .**
Inter - varsity , Leicester , England (1985) .

12 **Pictorial Bible dictionary .** Merrill C. Tenney .
The Zondervan publishing house . USA (1994) .

13 **Smith's Bible Dictionary .**
William Smith , LL.D. - Tove Book . USA (1982) .

14 **The New Century Bible Commentary ,** USA (1987) .
- The Gospel of Matthew (David Hill) .
- The Gospel of Mark (Hugh Anderson) .
- The Gospel of Luke (E. Earle Ellis) .

15 **The Dead Sea Scrolls and the Bible .**
Charlies F. Pfeiffer - Baker House USA (1994)

16 **The Dead Sea Scrolls today .**
James C. Vanderkam - SPCK . USA (1996) .

17 **The Dead Sea Scriptures .**
Theodor H. Gaster . Anchor Books . USA (1976)

18 **The Lost Books of the Bible .**
Gramercy Books . New York .

أهم المراجع العربية

١- **الكتاب المقدس .**

النسخة الوطنية المعتمدة فانديك (AV) .

جمعية الكتاب المقدس فى الشرق الأدنى . ط ١٩٧٧.

النسخة المصرية البروتستانتية (كتاب الحياة) .

جى.سى.سنتر - مصر الجديدة - القاهرة . ط ١٩٩٢.

نسخة الكاثوليك .

دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط - لبنان . ط ١٩٩٣.

طبعة الآباء اللبنانية . دار المشرق ش م م - بيروت ط ١٩٩١.

نسخة التفسير التطبيقى للعهد الجديد (NAV) .

طبع بريطانيا ١٩٨٦ .

٢ - **قاموس الكتاب المقدس .**

مجموعة من العلماء - دار الثقافة بالقاهرة .

٣ - **معجم اللاهوت الكتابى .**

الأب كنزافيه ليون دوفر اليسوعى - دار المشرق - بيروت ط ١٩٨٦

٤ - **اللاهوت النظامى .**

القس جيمس أنِس / مراجعه القس منيس عبد النور / دار الثقافة .

٥ - **المسكونية فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية .**

القمص بولا عطية / مطبعة الكرمة بالفيوم .

٦ - **معجم المصطلحات الكنسية (ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣) .**

الراهب اثناسيوس من الكنيسة القبطية / مطبعة دار نوبار بشبرا .

٧ - **أسرار الكنيسة .**

الأرشيدياكون / حبيب جرجس / مكتبة المحبة / القاهرة .

٨ - **الميرون المقدَّس .**

القس جورجيوس عطا الله و الشماس رشدى واصف / القاهرة .

٩ - **تاريخ الأمة القبطية .**

كامل صالح نخلة ، فريد كامل / مكتبة المحبة / القاهرة

١٠ - **شرح إنجيل متى .**

ترجمة القمص مرقس داود . مكتبة المحبة .

١١ - **دراسة فى الإنجيل كما رواه متى .**

للأب اسطفان شربنيية . بيروت .

١٢ - **.. التفسير الحديث / إنجيل متى .**

دار الثقافة / القاهرة .

١٣ - **تاج العروس من جواهر القاموس .**

محمد مرتضى الزبيدى . دار مكتبة الحياة . بيروت .

١٤ - **مقالات شتى من شبكة المعلومات الدولية .**

مؤلفين شتى من الشرق والغرب .

قائمة بأسماء كتب المؤلف

مسلسل	أولا : دراسات فى المسيحية
١ -	الإنجيل كتاب أم بشارة ..!؟
٢ -	عيسى أم يسوع ..؟
٣ -	المسيح الهارونى أم المسيح الداودى ..!؟
٤ -	المسيح والمِسّيًا .
٥ -	المسيح إله أم نبىّ ..!؟
٦ -	التوراه مصرية .
٧ -	تابوت يهوه (البعبع) .
٨ -	يسوع النصرانى مسيح بولس .
٩ -	نبىّ أرض الجنوب .
١٠ -	كلمة التوحيد فى الأصول المسيحية .
١١ -	سنوات الصمت (موسوعة سيرة المسيح عليه السلام) .
١٢ -	معالم أساسية فى الديانة المسيحية .
١٣ -	قضايا مثيرة فى الإسلام والمسيحية .
١٤ -	يَحْيَى أم يوحَنّا ..!!؟
١٥ -	الرَّد الوجيز على القِسّ فريز .
١٦ -	المؤَيِّد القرآنىّ والبارقليط الإنجيلى .
١٧ -	اسم الدين الذى جاء به المسيح عليه السلام .
١٨ -	مَن قتل يسوع ..!!؟
١٩ -	الكنيسة وأسرارها السبعة .
٢٠ -	زواج يسوع ..!!
٢١ -	ولكن شُبِّهَ لهم (نقض اسطورة الصلب والقيامة) .
٢٢ -	بولس صانع الأسطورة وخادم السِّر .

٢٣ - جمع وتقنين كتب العهد الجديد .

٢٤ - مُسَحَاء كتب العهد الجديد ..!!

ثانيا : دراسات فى الإسلام

٢٥ - هذا عطاؤنا فى الرضاع .

٢٦ - العشرة المبشرون بالجنة .

٢٧ - أهل الصُّفَّة .

٢٨ - أصحاب الكهف والرقيم .

٢٩ - ذو القرنين ويأجوج ومأجوج .

٣٠ - يا ليت قومى يعلمون ..!؟

٣١ - كشف النقاب عن مزاعم عبد الوهاب .

٣٢ - الخطاب الدينى والتيَّارات الثقافية المعاصرة .

أهم موضوعات الكتاب الصفحة

